

موسوعة العلامة الكبير

الشيخ محمد حسن الياسين

المؤلفات

دراسات تاريخية

تأليف المشهد الكاظمي
القاضي والناجي والأناز
تأليف المحكم البوكهي في العراق
مُصوّر الرّدة في كتاب الطبري
الأرقام العربيّة
تأليف الصّحافة في الكاظميّة
لمعات من كتاب الكاظميّة

المجلد الثالث عشر

دار المورخ العربي

بيروت

الشيخ محمد حسن الياسين
موسوعة العلامة الكبير



موسوعة العلامة الكثرية
الشيخ محمد بن حسين بن ياسين
المؤلفات

(١٣)

موسوعة العلامة الكبير

الشيخ محمد حسن الباقري

المؤلفات

دراسات تاريخية

تلخيص الشهيد الكاظمي
التعريف بالكاظمي والآثار
تلخيص التكملة الباقري في العراق
نصوص الزكاة في تاريخ الطبرستان
الأقوال العرفية
تلخيص الصافي في الكاظمين
ملحقات من تاريخ الكاظمين

المجلد الثالث عشر

دار المشرق العربي
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للناسخ
الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م



دار المؤرخ العربي

بيروت - بئر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاذ العربية - بناية مخملت
تلفاكس: (٥٤١٤٣) - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - صوب: ٢٤ / ١٢٤
البريد الإلكتروني: al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com

دليل موسوعة العلامة الكبير

الشيخ محمد حسن آل ياسين

المؤلفات

المجلد صفر (٠): سيرته الدراسية والعلمية

المجلد الأول: أصول الدين

- الله بين الفطرة والدليل
- العدل الإلهي بين الجبر والاختيار
- النبوة
- الإمامة
- المعاد

المجلد الثاني: في رحاب الرسول (ص)

المجلدات الثالث والرابع والخامس: (سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام)

المجلدان السادس والسابع: من المؤمنين رجال (سيرة ٢٩ صحابياً).

المجلد الثامن: مفاهيم إسلامية

- في رحاب القرآن
- عباد الرحمن
- نهج البلاغة.. لمن؟
- المهدي المنتظر (عج) بين التصور والتصديق

المجلد التاسع: في رحاب الإسلام

- المادة بين الأزلية والحدوث
- الإنسان بين الخلق والتطور
- هوامش على كتاب نقد الفكر الديني

المجلد العاشر: الأعمال الفقهية

- على هامش كتاب العروة الوثقى
- مذكرات في الفقه الاستدلالي (١ و ٢)
- مناسك العمرة المفردة
- بين يدي «المختصر النافع»

المجلد الحادي عشر: أعلام من القرائث

- صاحب بن عبّاد حياته وأدبه
- محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)
- منهج الطوسي في تفسير القرآن
- السيد علي بن طاووس (حياته، مؤلفاته، خزانة كتبه)

المجلد الثاني عشر: دراسات وصناعات

● شعر تراثي:

- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب في صنعتين
- من المستدرك على ديوان الخيزارزي المتوفى سنة ٣٣٠ هـ
- ديوان متمم بن نويرة
- ديوان مالك بن نويرة

● الأعمال اللغوية:

- صيغة (فَعَل) في العربية
- (فَعِيل) أم (فَعِيل)
- ملاحظات في المعجمات المحققة المطبوعة
- المعجم الذي نظم إلىه
- جوهرة الجماهرة للصاحب إسماعيل بن عبّاد ٣٢٦ - ٣٨٥ هـ
- مسائل لغوية في مذكرات جمعية
- (إبريق) لفظ عربي فصيح
- السلسيل لفظ عربي فصيح

المجلد الثالث عشر: دراسات تاريخية

- تاريخ المشهد الكاظمي
- المعنى والأحاجي والألغاز
- تاريخ الحكم البويهّي في العراق
- الأرقام العربية: فوائدها، نشأتها، تطورها
- تاريخ الصحافة الكاظمية
- لمحات من تاريخ الكاظمية
- لمحات من تاريخ الطبري

المجلدان الرابع عشر والخامس عشر: تاريخ الشعر الكاظمي ٣/١

المجلدان السادس عشر والسابع عشر: معجم الذنات ٢/١

تَلْوِيحُ الشَّهِيدِ الْكَافِي

«ما همّني أمرٌ فقصدتُ قبر موسى بن جعفر فتوسّلتُ
به إلاّ سهّل الله تعالى لي ما أحبُّ».

أبو علي الخلال شيخ الحنابلة

«مشهدٌ عظيم فيه [من] قناديل الذهب والفضة وأنواع
الآلات والفرش ما لا يُحدُّ».

قاضي القضاة ابن خلّكان

موطنٌ تنزل الملائك فيه

ومقامٌ يُسرُّ فيه الفؤاد

الشاعر عبد الغفار الأخرس الموصلّي

روضةٌ للصدور فيها ورودٌ

بأكفّ الألحاظ ذات قطوفٍ

كلما زرتّها أقول لعيني:

هذه كعبة الجلال فطوفي

الشاعر عبد الباقي العمري الفاروقي



المقَدِّمة

- تمهيد
- عقرفوف
- الشونيزي
- تمصير بغداد
- مقابر قريش
- دفن الإمامين (ع)
- تطور المنطقة
- خطوط البحث الرئيسة -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
الطيبين الطاهرين.

مدينة الكاظمية - أو ما كان يسمّى «مقابر قريش» ثم «المشهد
الكاظمي» - بلدة قديمة ذات ماضٍ عريق ومجد أثيل، وهي جزء لا
يتجزأ من بغداد قديماً وحديثاً، ولكنه جزء مهمل - أدبياً - لم يلق أيّ
اهتمام حتى من أبنائه، ولم ينشر عنه ما يستحق الذكر عدا كراسات
صغيرة تدور حول تاريخ المشهد بالدرجة الأولى، وهذه الكراسات -
على قلتها - قليلة المادة والمعلومات، كثيرة الخطأ والسهو، بحيث لا
تكاد تسمن أو تغني من جوع.

ودفعني هذا الإهمال الذي مُنيث به «الكاظمية» إلى التصدي لكتابة
تاريخ واسع يشمل سائر جوانب الحياة فيها منذ اتضحت فيها معالم
الحياة. وكل أملي بالله تعالى أن يمدّني بالعون والتوفيق؛ لأسارع في
إصدار تلك البحوث التي أودعتُ فيها جهود سنين طويلة من عمر
الشباب، عسى أن يكون فيها ما يذكّر بما سلف من مجد هذه البلدة
المقدسة؛ ويسجّل ما أهمل من أخبارها وما اندثر من آثارها، وأن
يساهم مع الدراسات التاريخية الأخرى في كشف الصفحات المجهولة
من تاريخ بغداد والبلدان العراقية.

وسيجد القارئ أثر إهمال المؤرخين للكاظمية بارزاً للعيان، حيث يكون ذلك سبباً في بروز بعض الفجوات أثناء البحث؛ بسبب نقص منابعه الرئيسة الضيقة التي لم تتجاوز التنف المقتضبة والذكر العابر القصير.

ولقد حظيت المنطقة التي تُدعى بعض أجزاءها اليوم بـ«الكاظمية» باهتمام خاص من الحكومات المتعاقبة منذ عشرات القرون، حيث نجد أن الملك الكشي كوريكالزو الأول قد بالغ في العناية بهذا الجزء من رقعة ملكه بنائه لمدينة «عقرقوف» العظيمة التي كانت تسمى «دور - كوريكالزو». ولا تزال آثارها باقية حتى اليوم في جوار الكاظمية على نحو ستة أميال عنها من جهة الغرب، وهي تنطق بالمهارة الفائقة المبذولة في بناء هذه المدينة الكبيرة وصرحها الشاهق.

وتدلنا ضخامة أبنية المدينة وجودة بنائها والإسراف فيه على أن المدينة ظلت مأهولة حيناً طويلاً من الدهر، ويرجح كثيراً أنها كانت عاصمة السلالة الكشية منذ بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد وإلى نهاية السلالة الكشية.

وبهذا تصبح «عقرقوف» ممثلة لعهد من عهود العراق القديمة التي تعدُّ مصادر معرفتنا به قليلة جداً؛ بحيث يكاد يكون من هذه الناحية من العهود المظلمة المجهولة، على الرغم من كونه من العهود المهمة في تاريخ العراق^(١).

ثم تظل «عقرقوف» أيضاً هي الأثر الأول الذي وصل إليه علمنا في أصل الأرض التي سُميت بعض جوانبها بـ«الكاظمية» بعد ذلك بعشرات القرون.

(١) دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق: ٢٧ - ٣٠.

وبقيت هذه الأرض مجهولة التاريخ لدينا في العهود التالية كالعهد السلوقي والأحميني والفرثي والساساني، وإن رجح - في أكثر الظن - أنها كانت موضع العناية والرعاية؛ وغير خالية من الحياة والسكان؛ ولو لغرض الزراعة على الأقل.

وكان الاسم الأخير لهذه المنطقة قبل بناء بغداد هو «الشونيزي»، ويرجح أن تكون هذه التسمية قد أُطلقت بعد انتهاء العهد الساساني، لأن الاسم عربي، والشونيز في اللغة هو الحبة السوداء، والنسبة إليها شونيزي^(١).

ويروي الخطيب البغدادي سبب التسمية بـ«الشونيزي» فيقول: «سمعتُ بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديماً تُعرف بمقبرة الشونيزي الصغير، والمقبرة التي وراء التوتة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير، وكان أخوان يقال لكل واحدٍ منهما «الشونيزي» فُدُن كلُّ واحدٍ منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونُسبت المقبرة إليه»^(٢).



وفي عام ١٤٥هـ ابتداء المنصور العباسي بتأسيس مدينة بغداد^(٣)، وتمَّ البناء - في رواية الخطيب البغدادي - في عام ١٤٦هـ^(٤)، ولكن الطبري يصرح في حوادث سنة ١٤٩هـ أن المنصور قد استتمَّ في هذه السنة بناء سور المدينة وفرغ من خندقها وجميع أمورها^(٥).

(١) بحثت تاريخ هذه المنطقة قبل الإسلام وبعده بالتفصيل في كتابٍ باسم (تاريخ مدينة الكاظمية).

(٢) تاريخ بغداد: ١/١٢٢، ومثله في وفيات الأعيان: ٢/١٠٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٦/٢٣٤ وتاريخ بغداد: ١/٦٦.

(٤) تاريخ بغداد: ١/٦٦.

(٥) تاريخ الطبري: ٦/٢٨٥ ومثله في معجم البلدان.

ومهما يكن من أمر، فإن المنصور لما انتهى من عمارة مدينته بالجانب الغربي من بغداد اقتطع مقبرة الشونيزي الصغير فجعلها مقبرة^(١)، ولعله افترضها خاصةً بأسرته وذوي قرياه فأسمها «مقابر قريش»، وربما اختار لفظه «قريش» ليشير إلى مشاركة سائر القرشيين - والعباسيون والعلويون في طليعتهم - في هذه المقبرة. وقد تُسمى أيضاً مقابر بني هاشم^(٢).

ودرس مع مرور الأيام اسمها الأول «الشونيزي الصغير» واشتهرت باسمها الجديد.

وكان أول مَنْ دُفن في هذه المقبرة جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور في سنة ١٥٠هـ^(٣)، ثم دُفن فيها بعده الهيثم بن معاوية في سنة ١٥٦هـ^(٤)، ثم توالى الدفن فيها بعد ذلك.

والظاهر أنَّ أول بناء إسلامي أُحْدِث في هذه المقبرة هو قبة جعفر، ولعلها القبة التي ضُمَّت بعد ذلك سائر مَنْ دُفن هناك من العباسيين، ونستفيد وجودها من قول ابن خلكان عند ذكره وفاة الإمام الكاظم (ع): «ودُفن في مقابر الشونيزية خارج القبة»^(٥)، ولا شك أنه يقصد بذلك فيه جعفر بن المنصور، لأنه أول مَنْ دُفن في هذه المقابر،

(١) معجم البلدان: ١٠٧/٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٣٠١/٦ والبداية والنهاية: ١٠٧/١٠، ويقول الأربلي في كشف الغمة: ٢٤٩ «وكانت هذه المقبرة لبني هاشم»، ويقول المفيد في الإرشاد: ٣٢٣ «إنها لبني هاشم والأشراف من الناس».

(٣) الطبري: ٢٨٨/٦ وتاريخ بغداد: ١٢٠/١ ومعجم البلدان: ١٠٧/٨.

(٤) الطبري: ٣٠١/٦.

(٥) وفيات الأعيان: ٣٩٥/٤.

بل كان أشهر أولئك المدفونين حتى تاريخ وفاة الإمام، خصوصاً وأن وفاته كانت في حياة أبيه وخلافته.

وبعد وفاة الإمام موسى بن جعفر (ع) ودفنه هناك؛ ثم دُفِنَ حفيده الإمام محمد بن علي الجواد (ع) إلى جانبه؛ تغيّر اسم المنطقة مرة أخرى فُسِّبَت إلى الإمام الكاظم (ع)، وأصبحت مهوى أفئدة المؤمنين ومطمح أنظارهم، ثم بدأ السكن فيها يزداد مع مرّ الأيام ليكون بعد ذلك مدينةً من المدن المهمة في تاريخ العراق، مما تتكفل هذه الدراسة والدراسات التالية ببيان تفاصيله.



وبالنظر إلى سعة جوانب البحث في «تاريخ الكاظمية» وتعدُّد أطرافه فقد جعلت هذا الكتاب خاصاً بالحديث عن الروضة المقدسة والحرم المطهّر، حيث تناولت فيه تاريخ المشهد منذ دفن الإمامين (ع) وإلى يومنا الحاضر، متدرجاً فيه حسب تسلسل العصور والعهود التاريخية، وقد حاولت جهدي أن أشرح - بكل تفصيل - تطور عماراته وتجديد بناياته وتوسُّع مرافقه وشؤونه، وما قيل في كل ذلك من منظوم ومنثور، وما يوضح كل ذلك من مخطّطات وصور. ثم أردفت البحث بأربعة ملاحق: تحدثت في أولها عن أولاد الإمام الكاظم (ع) المدفونين في مقابر قريش، وفي ثانيها عن مشاهير المدفونين بالمشهد من علماء وأدباء وزعماء بارزين، وفي ثالثها عن نقباء المشهد وسدنته منذ أيامه الأولى وإلى هذا اليوم، وفي رابعها عن نفائس خزانة المشهد. كل ذلك لتكون الصورة أجلى أمام القارئ الكريم وأدلّ على المطلوب.



وإني إذ أشكر - في الختام - للمجمع العلمي العراقي مساعدته
إيائي على طبع هذا الكتاب، ولفضيلة سادن الروضة الكاظمية ومديرية
الآثار القديمة العامة مساهمتهم معي في تهيئة بعض مصادر الكتاب
ووثائقه، أرجو أن يستتبع هذا الكتاب الأول من سلسلة «دراسات في
تاريخ الكاظمية» كتب أخرى لا تزال موادها الأولى تحت المسودة
الآن، والله تعالى هو الموفق والمسدد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكاظمية

محمد حسن آل ياسين



المشهدُ الكاظمي
في
العصر العباسي

وفاة الإمام الكاظم (ع) ودفنه

في عام ١٨٣هـ لخميس بقين من رجب^(١) توفي الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)^(٢)،

(١) الطبري: ٤٧٢/٦ والإرشاد: ٣٢٣ وتاريخ بغداد: ٣٢/١٣ والكمال: ١٠٨/٥
والبداية والنهاية: ١٨٣/١٠ ووفيات الأعيان: ٣٩٥/٤.

(٢) موارد ترجمة الإمام الكاظم (ع) والحديث عنه في كتب التفسير والفقه والشريعة والكلام والتاريخ كثيرة لا يسع المجال ذكرها واستقصاءها، وتجتزئ هنا بمقتطفات مما قاله الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٢٧/١٣ - ٣٢:

«موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، الهاشمي، يقال: أنه ولد بالمدينة في سنة ثمان وعشرين - وقيل: سنة تسع وعشرين - ومائة، وأقدمه المهدي ببغداد، ثم رده إلى المدينة وأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصوراً من عمرة شهر رمضان سنة تسع وسبعين فحمل موسى معه إلى بغداد وجسه بها إلى أن توفي في محبسه كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده وكان سخياً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بضرة فيها ألف دينار، وكان يصصر الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة؛ وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان صررة فقد استغنى محمد بن عبد الله البكري قال: قدمت المدينة أطلب بها ديناً فأعياني؛ فقلت لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى بن جعفر فشكوت ذلك إليه، فأنتبه فذكرت له قصتي فدفع إلي صرة فيها ثلاثمائة دينار الفضل بن الربيع عن أبيه: أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب وهو يقول: يا محمد (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)؟، قال الربيع: فأرسل إلي ليلاً فراعني ذلك فجننته فإذا هو يقرأ هذه =

وَحُمِلَ جثمانه الطاهر إلى مقابر قريش فُدِّنَ هناك حيث قبره الشريف الآن.

وذهب أحد المؤرخين إلى أنه «دُفِنَ في موضع كان ابتاعه لنفسه في مقابر قريش بمدينة السلام»^(١)، ولم أعثر على ما يؤيد ذلك في المصادر الأخرى، فإن صححت هذه الرواية فإنها لتدل على مقدار الأهمية التي حُظِيَتْ بها هذه الأرض خلال مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة عقود من السنين. واشتهر مدفن الإمام بعد ذلك باسم «مشهد باب التبن»^(٢) و«مشهد

= الآية - وكان أحسن الناس صوتاً -، وقال: عليّ بموسى بن جعفر، فجنثته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ عليّ كذا، فتؤمنني أن تخرج عليّ أو علي أحد من ولدي؟ فقال: الله لا فعلت ذلك ولا هو من شأنِي، قال: صدقت، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف وردّه إلى أهله إلى المدينة..... حجّ هارون الرشيد فأتى قبر النبي (ص) زائراً له وحوله رجال قريش وأفياء القبائل، ومعه موسى بن جعفر، فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عمي. افتخاراً على مَنْ حوله، فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبا. فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً..... حُجِسَ أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي، فسألته أخته أن تتولى حبسه - وكانت تتدبّر - ففعلت، فكانت تلي خدمته، فحكى لنا أنها قالت: كان إذا صَلَّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصليّ حتى يصلي الصبح، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهبأ ويستاك ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه. فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل..... بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة كانت: أنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون..... إلخ».

(١) إثبات الوصية: ١٦٤.

(٢) سُمِّيَ بذلك نسبة إلى باب التبن الذي كان في شرفه مما يقرب من دجلة. ويراجع

موسى بن جعفر» و«قبر موسى بن جعفر». وانفرد الطبري الإمام بتسميته في أثناء إحدى رواياته بـ«مسجد أبي إبراهيم موسى بن جعفر»^(١)، ولعل كلمة «مسجد» تصحيف لـ«مشهد» كما يرجح في الظن، أو أن المقصود به مسجد باب التبن^(٢)؛ وقد نسبة للإمام لوقوع قبره الشريف بالقرب منه.

وليس لدينا من أحاديث المؤرخين ما يصلح أن يكون وصفاً لقبر الإمام (ع) حين دفنه؛ وما أضيف إليه وأُسبغ عليه من بناء وعمران بعد ذلك بسنوات، ولكننا قد نستفيد من الروايات الآتية ما يعطي لمحةً مختصرة مما كان عليه القبر الشريف في تلك الفترة:

١ - عن أحمد بن عبدوس عن أبيه قال: قلت للرضا: جُعِلَتْ فداك إن زيارة قبر أبي الحسن ببغداد علينا فيها مشقة^(٣)، وإنما نأتيه فنسلم عليه من وراء الحيطان.. إلخ^(٤).

٢ - عن الحسين بن يسار الواسطي قال: سألت أبا الحسن الرضا: ما لِمَنْ زار قبر أبيك؟ قال: فقال: زوروه، قال قلت: فأي شيء فيه من الفضل؟ قال: فقال: فيه من الفضل كفضل مَنْ زار والده يعني رسول الله (ص)، قلت: فإن خفتُ ولم يمكن لي الدخول داخلاً، قال: سلّم من وراء الجدران^(٥).

٣ - عن الرضا (ع) في إتيان قبر أبي الحسن (ع) أنه قال: صلُّوا في المساجد حوله^(٦).

(١) دلائل الإمامة: ٢٩٦.

(٢) صدى الفؤاد: ١١.

(٣) المشقة التي يقصدها السائل هي الخوف من السلطة الحاكمة وبطشها بالزائرين.

(٤) كامل الزيارات: ٣٠٠.

(٥) كامل الزيارات: ٢٩٩.

(٦) كامل الزيارات: ٢٩٩ ومَنْ لا يحضره الفقيه: كتاب الزيارات.

ولا تفيدنا هذه الروايات وما كان على شاكلتها أكثر من وجود
حيطانٍ تدور حول القبر الشريف وجدارٍ مختصّ به ومساجد يصلي فيها
الناس. وليس لدينا من المعلومات ما يزيد على ذلك.



دفن الإمام الجواد (ع) (١)

وفي عام ٢٢٠هـ (٢) في آخر ذي القعدة أو لخمس أو لست خلون من ذي الحجة توفي ببغداد أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر (ع)، ودُفن «في تربة جدّه أبي إبراهيم موسى بن جعفر (ع)» (٣).

(١) مراجع ترجمة الإمام الجواد (ع) كمراجع ترجمة جده الكاظم (ع) كثيرة لا تحصى، ونكتفي هنا بإثبات ما ذكره الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول: ٧٤/٢ - ٧٥؛ قال:

«أبو جعفر، محمد الثاني، تقدم في آبائه (ع) أبو جعفر محمد؛ وهو الباقر بن علي، فجاء هذا بإسمه وكنيته وإسم أبيه فُعِرِفَ بأبي جعفر الثاني. وهو وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر. وأما ولادته ففي ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة مائة وخمس وتسعين للهجرة، وقيل: عاشر رجب منها... وله لقبان: القانع والمرضى. وأما مناقبه فما اتسعت حلبيات مجالها، ولا امتدت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقاءه... فقلّ في الدنيا مقامه، وعجّل القُدومَ عليه والزيارةَ حمائمُه، فلم تطلُ بها مدته... غير أن الله عز و علا خصّه بمنقبة متألقّة في مطالع التعظيم بارقة أنوارها، مرتفعة في معارج التفضيل قيمة أقدارها، بادية لعقول أهل المعرفة آية آثارها، وهي وإن كانت صغيرة فدلالتها كبيرة [ثم ذكر المنقبة بالتفصيل].»

(٢) الإرشاد: ٣٣٩ وإثبات الوصية: ١٨٦ وتاريخ بغداد: ٥٥/٣ وتذكرة الخواص: ٣٦٨ والفصول المهمة: ٢٥٧ ومطالب السؤول: ٧٥/٢ ووفيات الأعيان: ٣١٥/٣

(٣) إثبات الوصية: ١٨٦.

ولم نعثر على وصفٍ لما أصبح عليه المشهد بعد دفن الإمام الجواد (ع)، مباشرة أو بعد ذلك بحين، ولكنَّ المتيقن أن القبرين الشريفين كانا في بنية خاصة بهما^(١)، وكان يتردد لزيارتهما كثير من الناس في هذه البنية الخاصة؛ ويستفاد من كلام بعض المؤرخين - وقد أسلفنا نقله - من ذكر «تربة أبي إبراهيم موسى . . إلخ» أن هناك قبة خاصة شملت القبرين؛ لأن التربة لا تطلق إلاً على قبر مختص عليه قبة^(٢)، كما يستفاد من رواية مسكويه^(٣) أثناء حديثه عن المحسن بن الوزير ابن الفرات وجود سكان حول المشهد وبجانب مقابر قريش.

ولا يخلو حديث أبي الحسين بن أبي البغل الكاتب عن كيفية استتاره وزيارته لمقابر قريش من بعض الفوائد المرتبطة بما نحن بصدده حيث قال:

«تقلدتُ عملاً من أبي منصور بن الصالحان، وجرى بيني وبينه ما أوجب استتاري فطلبني وأخافني، فمكثتُ مستتراً خائفاً، ثم قصدتُ مقابر قريش ليلة الجمعة، واعتمدتُ على المبيت هناك للدعاء والمسألة، وكانت ليلة ريح ومطر، فسألت ابن جعفر القيم أن يغلق الأبواب ففعل وقفل الأبواب، وانتصف الليل، وورد من الريح والمطر ما قطع الناس عن الموضع، ومكثتُ أدعو وأزور وأصلي، فبينما أنا كذلك إذ سمعتُ وطأة عند مولانا موسى (ع) وإذا رجلٌ يزور، ثم خرج، فخرجت لابن جعفر أسأله عن الرجل . . . فرأيت الأبواب

(١) وردت في دلائل الإمامة: ٢٦٢ قصة تاريخها سنة ٢٨٦هـ يستفاد منها وجود بناء خاص بالمشهد.

(٢) مشهد الكاظمين: ٣.

(٣) تجارب الأمم: ١٣١/٥.

على حالها مغلقة... فأنبهتُ ابن جعفر القيم فخرج إليّ من بيت الزيت.. إلخ»^(١).

ويستفاد من هذا الحديث تعدد البيوت «ويعني بها الحُجْر» حول المشهد، وإذا كان لزيت الإنارة بيت فلا بد من وجود أمثاله للفرش والأثاث وسائر الموقوفات التي تحتاج إلى الحفظ والعناية، ولعل تكرار كلمة «الأبواب» دليل صريح على سعة بناء المشهد وتعدد البيوت المحيطة به.



(١) دلائل الإمامة: ٣٠٤ - ٣٠٦.

في العهد البويهي

وفي عام ٣٣٤هـ تمّ لمعز الدولة البويهي احتلال بغداد والسيطرة على شؤونها، وأصبح له التصرف المطلق في سائر أمورها، فكان من جملة أعماله أمره في عام ٣٣٦هـ بإعادة تشييد المشهد الكاظمي من جديد، فجدّدت العمارة، ووضع على القبرين ضريحان خشبيان من خشب الساج وقبتان فوقهما من الساج أيضاً، وأدير عليهما حائط كالسور. ثم أمر بإنزال بعض الجنود الديالمة ومعهم بعض المراوزة هناك لغرض الخدمة والحفاظ على الأمن. وكانت هذه العمارة الجديدة سبباً في انتشار الدور حول المشهد وتوسّع مجال السكنى هناك، لاستتباب الأمن وارتفاع أسباب الخوف^(١).

وكانت هذه العمارة أول عمارة كبيرة تشيّد على القبرين بعد دفن الإمامين (ع).

ولمّا توفي معز الدولة سنة ٣٥٦هـ دُفن في داره أولاً، ثم نُقل جسده في سنة ٣٥٨هـ إلى تربة بُنيّت له في مقابر قریش^(٢).

والظاهر أنّ القبتين اللتين كانتا على الضريحين كبيرتان يسع فضاؤهما عدداً كبيراً من المصلّين والزائرين؛ كما تشعر به رواية الصدوق

(١) صدق الفؤاد: ١١ - ١٢.

(٢) وفيات الأعيان: ١٥٨/١ والبداية والنهاية: ١١/٢٦٢.

في زيارة الإمامين^(١) ورواية الذهبي في احتفالات عيد الغدير في سنة ٣٥٢هـ^(٢).

وتوالت الهدايا على المشهد بعد عمارة معز الدولة، حتى رُوِيَ أن من جملة ما كان في المشهد بعد تجديد عمارته هذه قنديلٌ صفرٌ مربعاً بديع الصنعة غايةً في حُسْنِه، وهو من عمل أبي الحسن علي بن عبد الله بن وصيف الناشي شاعر أهل البيت المتوفى سنة ٣٦٥هـ^(٣)، وكان الناشي يعمل الصفر ويخرمُهُ وله فيه صنعة بديعة.

ولما زادت دجلةُ زيادتها العظيمة في عام ٣٦٧هـ غرقت جهات كثيرة من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضاً مقابرُ باب التبن بالجانب الغربي منها^(٤)، ولعلَّ هذا الغرق هو الذي حدا بأبي شجاع عضد الدولة إلى بناء سور حول المشهد^(٥) ليقيه من غرق مقبل؛ أو أنه كان له سور تهدم بالغرق السالف الذكر فأعاد عضد الدولة تشييده.

وليس ببعيد أن يقوم عضد الدولة بإحداث أعمالٍ أخرى في المشهد لم يسجلها المؤرخون، لأنه أمر في سنة ٣٦٩هـ بعمارة منازل بغداد وأسواقها وابتدأ بالمساجد الجامعة «وكانت أيضاً في نهاية الخراب فأنفق عليها مالاً عظيماً، وهدم ما كان مستهدماً من بنيانها، وأعادها على إحكام، وشيّدتها وأعلاها وفرشها وكساها، وتقدّم بإدراار أرزاق قوامها ومؤذنيها والأئمة والقراء فيها وإقامة الجرايات لمن يأوي إليها من الغرباء والضعفاء، وكان ذلك كله مهملاً وعوّل في هذه

(١) من لا يحضره الفقيه: كتاب الزيارات.

(٢) هامش تجارب الأمم: ٢٠٠/٦ نقلاً عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٣) معجم الأدباء: ٢٨٥/١٣.

(٤) الكامل: ٩٣/٧.

(٥) صدى الفؤاد: ١٢.

المصالح على عُمَّال ثقات أشرف عليها نقيب العلويين^(١)، ولا شك أن المشهد الكاظمي كان في الطليعة من تلك المساجد، ولعلَّ هذا الإدرار للأرزاق وإقامة الجرايات قد زاد من الرغبة في الإقامة والسكنى حول المشهد، خصوصاً وأنه أمر بعد ذلك بأن تطلق الصلوات «لأهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوي الفاقة...» وكذلك فعل بالمشهدين بالغري والحائر على ساكنيهما السلام وبمقابر قريش^(٢).

وما بين عامي ٣٧٦ - ٣٧٩ هـ وهي أعوام مكث شرف الدولة بن عضد الدولة ببغداد قام حاجبه التركي أبو طاهر سباشي بحفر ذنابية لنهر دجيل وسوّق الماء منها إلى المشهد^(٣).

وفي سنة ٤٣٥ هـ توفي أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة فدفن في داره ثم نقل تابوته في سنة ٤٣٦ هـ من داره إلى مشهد باب التبن إلى تربة له هناك، ولما توفي ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور سنة ٤٤١ هـ، دفن عند أبيه بمقابر قريش بمشهد باب التبن أيضاً^(٤).

وفي سنة ٤٤١ هـ مُنع الشيعة من إقامة ما جرت العادة بفعله يوم عاشوراء في المشهد الكاظمي وغيره^(٥)، وحدثت على أثر ذلك فتنة كبرى لعلها كانت مفتاح الفتن التي ستأتي الإشارة إليها.

وفي سنة ٤٤٢ هـ «وقع الصلح بين أهل السنة والشيعة وصارت

(١) تجارب الأمم: ٤٠٤/٦ - ٤٠٥.

(٢) تجارب الأمم: ٤٠٧/٦.

(٣) فحرة الغري: ١٣.

(٤) الكامل: ٣٧/٨ و ٤٠.

(٥) الكامل: ٥٣/٨ والمتنظم: ١٤٠/٨.

كلمتهم واحدة، وسبب ذلك أن أبا محمد النسوي وُلِّي شرطة بغداد وكان فاتكاً، واتفقوا على أنه متى رحل إليهم قتلوه، واجتمعوا وتحالفوا... ومضى أهل السنة والشيعة إلى مقابر قريش^(١) وأدّنوا في المشهد حيّ على خير العمل^(٢).

وفي أواخر العهد البويهي - أو في أوائل الربع الثاني من القرن الخامس على وجه التحديد - كانت عمارة المشهد قد بلغت غاية فخامتها وروعيتها وزينتها وجلالها، وأصبحت زاخرة بالقناديل والمحارِب والستور من الفضة والذهب، بالإضافة إلى القبتين والضريحين الساج، كما كان للمشهد يومذاك سور يدور حوله، وأبواب للدخول والخروج، وبوابون مسؤولون عن كل ذلك، وترب، ودور يسكنها الناس، وإلى غير ذلك مما لم يصل إلينا علمه.

وقد دلّنا على بعض ذلك ما سبق منا ذكره من نصوص وروايات، كما دلّنا على بعضه الآخر ما رواه المؤرخون في وصف الفتنة العمياء التي وقعت في شهر ربيع الأول سنة ٤٤٣هـ والتي حدثنا عنها ابن الأثير بالتفصيل، وكان مما قال:

«قصدوا [أي أصحاب الفتنة] مشهد باب التبن فأغلق بابه، فنقبوا في سورها وتهدّدوا البوّاب فخافهم وفتح الباب، فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحارِب ذهب وفضة وستور وغير ذلك، ونهبوا ما في الترب والدور، وأدركهم الليل فعادوا».

«فلمّا كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والأدراج، واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي الجواد

(١) النجوم الزاهرة: ٤٩/٥.

(٢) المنتظم: ١٤٥/٨.

والقبتان الساج اللتان عليهما، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معز الدولة وجلال الدولة ومن قبور الرؤساء والوزراء وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة، وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله، فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحضروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه، وسمع أبو تمام نقيب العباسيين وغيره من الهاشميين والسنية الخبر فجاؤوا ومنعوا عن ذلك... إلخ»^(١).

وفي نص آخر:

«أراد بعض مَنْ لا يتَّقِي الله عزَّ وجل ولا يراقب رسوله (ص) نبش قبر الإمامين... بعد إحراق القبة بالنار؛ إلى أن صرفه الله عن ذلك»^(٢).
وفي رواية أخرى:

«ونقب مشهد باب التبن، ونهب ما فيه... وطرح النار في التراب القديمة والحديثة، واحترق الضريحان والقبتان الساج»^(٣).

(١) الكامل: ٥٩/٨. وقد نظم هبة الله المؤيد داعي الدعاء الفاطميين المتوفى سنة ٤٧٠ أو ٤٩٠ هـ قصيدة يستنكر فيها هذا الأمر الفظيع وردت في ديوانه: ٢٥٦، مطلعها:

وما للسجبال تُرى لا تسيرُ
وللشمس ما كُوِّرَتْ والنجوم
وللأرض ليست بها رجفة
وما للدماء لا تحاكي الدموع
إلى أن يقول:

ولمَّا أتى حشرُهُ والنشور
حرامٌ على زائريهِ السعيرُ
فموسى يُسْقُ له قبرُهُ
ويُسَقَرُ بالنار منه حريمُ

(٢) النبراس: ١٣٧.

(٣) المتظم: ١٥٠/٨.

«ولمّا انتهى خبرُ إحراق المشهد إلى نور الدولة دُبَيْس بن مزيد عَظُم عليه واشتدَّ وبلغ منه كلُّ مبلغ، لأنه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة، ففُطِعت في أعماله خطبة القائم بأمر الله، فروسل في ذلك وعوتب فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه أن يشقَّ عليهم؛ كما أن الخليفة لم يمكنه كَفُّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا، وأعادوا الخطبة إلى حالها»^(١).

وقام البساسيري والملك الرحيم بالمشاركة في تشييد المشهد، فجدّدا البناء، ووضعوا صندوقين جديدين على القبرين، وشيّدوا سياجاً للروضة نفسها وقبةً عليها، كما شيّدوا إلى جنب ذلك بهواً واسعاً من جهة الجنوب، وجعلوا إلى جنب ذلك مسجداً ومئذنة وكان ذلك كله - في رواية السماوي - سنة ٤٤٤هـ^(٢).

وفي رواية الدكتور مصطفى جواد أن البساسيري هو الذي قام بذلك بمفرده عندما استوسقت له الأمور في بغداد سنة ٤٥٠هـ^(٣)، ويؤيد ذلك أن فتن الهدم والتخريب قد استمرت حتى عام ٤٤٩هـ.



(١) الكامل: ٥٩/٨ - ٦٠.

(٢) صدى الفؤاد: ١٢ - ١٣.

(٣) مشهد الكاظمين: ٧.

في العهد السلجوقي

وفي عام ٤٦٦هـ «غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد، وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة، وانفتح القورج عند المسناة المعزّية، وجاء في الليل سيلٌ عظيم... وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدّم سوره، فأطلق شرف الدولة^(١) ألف دينار تصرف في عمارته»^(٢).

وهذا النص يؤكّد أن المشهد قد تمّ بناؤه - بعد حوادث التخريب السابقة - بشكل كامل شامل لكل أطرافه قبل وقوع هذا الفيضان، إذ لو كان خراباً أو غير تام البنيان لأطلق شرف الدولة لهذا الغرض أيضاً ما يقتضيه من المال، بل لقدّم ذلك على بناء السور.

وفي سنة ٤٧٩هـ «دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذي الحجة بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة... وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر»^(٣).

وفي عام ٤٩٠هـ أمر مجد الملك أبو الفضل البراوستاني القمي بتعمير المشهد، فعُمّر، ورفعت فيه مئذنتان، وزيّنت القبة بالفسيفساء، ووُضِع على القبرين الشريفين صندوقان جديدان من الساج، وشيّد إلى

(١) هو شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل؛ المقتول يوم الجمعة ٢٤ صفر سنة ٤٧٨هـ.

(٢) المتنظم: ٢٨٦/٨ والكامل: ١١٩/٨.

(٣) المتنظم: ٢٩/٩ والكامل: ١٤٣/٨.

جانِب المشهَد محلًّا لاستراحة الزائرين^(١)، وكان مجد الملك خبيراً كثير الصلاة بالليل؛ كثير البرِّ ولا سيما بالعلويين، وقتل سنة ٤٩٢هـ^(٢).

ولما رجع الخليفة من حرب ديبس سنة ٥١٧هـ ثار المشاغبون ببغداد «فقصدوا مشهَد مقابر قريش ونهبوا ما فيه، وقلعوا شبائكه^(٣) وأخذوا ما فيه من الودائع والذخائر، وجاء العلويون يشكون هذا الحال إلى الديوان، فأُنهي ذلك، فخرج توقيع الخليفة بعد أن أُطلق في النهب بإنكار ما جرى، وتقدّم إلى نظر الخادم بالركوب إلى المشهَد وتأديب الجنّة، ففعل ذلك وردَّ بعض ما أخذ^(٤).

وفي رواية القلانسي:

«ونُهبت مقابر قريش ببغداد وما بها من القناديل الفضة والستور والديباج»^(٥).

وفي سنة ٥٥٤هـ أصيبت بغداد بفيضان هائل دمّر كثيراً من محلات الجانب الشرقي «وأما الجانب الغربي فغرقت فيه مقبرة أحمد بن حنبل وغيرها من المقابر، وانخسفت القبور المبنية؛ وخرج الموتى على رأس الماء، وكذلك المشهَد والحريية، وكان أمراً عظيماً»^(٦).

وفي سنة ٥٦٩هـ زادت دجلة زيادة عظيمة «وأسكرت الحريية والمشهَد، ووقع أكثر سور المشهَد، ونبع من داخله الماء فرمى الدور والتراب»^(٧).



(١) صدى الفؤاد: ١٤.

(٢) الكامل: ١٩٢/٨.

(٣) وفي رواية الكامل: ٣١١/٨ «وقلعوا أبوابه».

(٤) المنتظم: ٢٤٣/٩.

(٥) ذيل تاريخ دمشق: ٢٠٦.

(٦) الكامل: ٦٦/٩.

(٧) المنتظم: ٢٤٥/١٠.

في العصر العباسي الأخير

ولمّا آلت الخلافة إلى الناصر لدين الله في سنة ٥٧٥هـ قام بتجديد الصندوق الساج المطعم بالذهب، وبنى رواقاً جديداً وبهواً ومآذن متعددة، وزين كل ذلك بأبهى زينة، وشيّد الحُجْر والبيوت في أطراف المشهد^(١). والظاهر أن المنطقة قد أصبحت مأهولةً بالسكان بنحو يصح أن يقال فيه «أهل مشهد موسى بن جعفر» كما يقال «أهل الكرخ» أو «أهل المختارة»^(٢).

كما يظهر أن الرواق الذي بناه الناصر لدين الله كان يشبه من حيث التخطيط أروقة المشاهد في هذه العصور، حيث كان له باب يسمى الباب الأول^(٣)، وكان الدخول إلى الروضة من داخل الرواق ولها باب خاص يسمى الباب الثاني.

ولمّا أمر الخليفة في سنة ٦٠٤هـ ببناء دور في أطراف بغداد لإطعام الفقراء باسم دور الضيافة كان المشهد الكاظمي من جملتها كما تشعر به بعض النصوص^(٤)، ولمّا يُعَلَم من سلوك الناصر وحبّه لأهل البيت (ع).

وفي سنة ٦٠٨هـ «أمر الخليفة أن يُقرأ مسند الإمام أحمد بن حنبل

(١) صدى الفؤاد: ١٣.

(٢) مرآة الزمان: ٣٥٩.

(٣) الجامع المختصر: ١٤٦/٩.

(٤) الكامل: ٣١٩/٩.

بمشهد موسى بن جعفر بحضرة صفى الدين محمد بن معدّ الموسوي بإجازة من الخليفة»^(١)، وقد استفاد من هذا وجود حلقات دراسية في بعض جوانب المشهد، وقد يكون اختيار الخليفة لمسند أحمد محاولة منه لتخفيف حدة المآسي المذهبية.

وفي سنة ٦١٤هـ حدث ببغداد فيضان عظيم «ونبع الماء من البلايع والآبار في الجانب الشرقي... وأما الجانب الغربي فتهدم أكثر القرية ونهر عيسى والشطيات، وخربت البساتين ومشهد باب التبن»^(٢).
وقام الناصر لدين الله بتعمير المشهد بعد هذا الغرق والخراب، وأصلح سائر ما تأثر بالماء، كما شيّد سوراً جديداً للمشهد، وتمّ ذلك كله في نفس السنة ٦١٤هـ^(٣).

وكانت في المشهد الكاظمي في هذه الفترة داراً أو بيوت خاصة بالأيتام ولا سيما العلويين منهم، كما ترشدنا إلى ذلك الرواية التالية:
«حدّث بدر الدين آياز مملوك مؤيد الدين القمي قال: طلب [مؤيد الدين] ليلة من الليالي حلاوة النبات فعمل له في الحال منها صحون كثيرة وأحضرت بين يديه في ذلك الليل، فقال لي: يا آياز تقدر تدّخر هذه الحلاوة لي موقرةً إلى يوم القيامة، فقلت: يا مولانا وكيف يكون ذلك وهل يمكن هذا؟ قال: نعم تمضي في هذه الساعة إلى مشهد موسى والجواد (ع) وتضع هذه الأصحن قدام أيتام العلويين؛ فإنها تدّخر لي موقرةً إلى يوم القيامة. قال آياز فقلتُ السمع والطاعة، ومضيت - وكان نصف الليل - إلى المشهد وفتحت الأبواب وأنبهت الصبيان الأيتام ووضعتُ الأصحن بين يديهم، ورجعت»^(٤)، وكان الوزير مؤيد الدين

(١) مرآة الزمان: ٥٥٦.

(٢) الكامل: ٣١٩/٩.

(٣) صدى الفؤاد: ١٤.

هذا كثير التردّد على المشهد ومن الملتزمين بزيارته^(١).

ولمّا آلت الخلافة إلى الظاهر بأمر الله لم يستجد شيء في أيامه القصيرة «سوى احتراق القبة الشريفة بمشهد موسى والجواد (ع)، فشرع الظاهر في عمارتها، فمات ولم تفرغ فتّمّمها المستنصر»^(٢).

وكان الظاهر في ساعة بلوغ نبأ الحريق إليه قد حضر إلى المشهد وهو بادي التأثير جداً، وحاول معرفة أسباب الحريق وكيفية وقوعه فلم يصل إلى محصّل^(٣).

وحينما آل الأمر إلى المستنصر في سنة ٦٢٣هـ تولى إكمال المشاريع العمرانية في المشهد، فأكمل القبة^(٤) والرواق والمآذن، ووسّع البهو، وزاد في سعة الحرم، وكان الناظر على ذلك رجلاً اسمه أحمد جمال الدين^(٥)، وتمّ ذلك في سنة ٦٢٤هـ^(٦).

وكان من جملة أعمال المستنصر تنصيب صندوقين فخمين من الخشب الجيد على قبري الإمامين، وتشاء الصدف الحسنة أن يبقى أحد الصندوقين إلى اليوم؛ وهو صندوق قبر الإمام موسى بن جعفر (ع)، وقد تمّ صنعه سنة ٦٢٤هـ.

«والصندوق مصنوع من خشب التوت، ثخن ألواح ٥/٥ سم. وهو مستطيل الشكل منبسط السطح، يبلغ طوله ٢٥٥ سم وعرضه ١٨٣ سم وعلوه ٩٥ سم. يزين حافات غطائه كتابة نسخية غير متداخلة نُقِشت داخل

(١) الفخري: ٢٨٦.

(٢) تجارب السلف: ٣٤٠.

(٣) الفخري: ٢٨٧.

(٤) تجارب السلف: ٣٤٦.

(٥) مجالس المؤمنين: ٤٩٧/١.

(٦) احتمال بعض أصدقائنا الباحثين أنه السيد أحمد آل طاووس. ولم نجد دليلاً أو قرينة على ذلك.

(٧) صدى الفؤاد: ١٤.

شبكة من زخارف نباتية متناظرة متشابكة. ويزوق تاج الصندوق زخارف نباتية أيضاً، وهو يبرز مقدار ٣سم عن مستوى وجوه الجنوب، وفي الجنوب كتابات كوفية مشجّرة متداخلة متناظرة كبيرة الحروف في غاية الجمال والإتقان، وقد حُفرت داخل شبكة من زخارف شجرية أوطأ سطحاً من مستوى الكتابة. ويبلغ عرض السطر الواحد ٤٣سم، وطوله في الجنبين الصغيرين ٩٠,٥سم؛ وفي الجنبين الكبيرين ١٨٩سم، وكل سطر في داخل إطار مستطيل الشكل منقوش في أصل الخشب؛ مزخرف بزخرفة نباتية عرضه ١٢سم.

أما نصُّ الكتابة المنقوشة على الصندوق فهو:

أ - الكتابة النسخية التي حول الغطاء ابتداءً من عند الرأس:

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يريد الله ليذهب.
- ٢ - عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. هذا ما تقرّب إلى (الله) تعالى بعمله خليفته في أرضه.
- ٣ - ونائبه في خلقه سيدنا ومولانا إمام المسلمين المفروض.
- ٤ - الطاعة على الخلق أجمعين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ثبت الله دعوته سنة ستمائة وأربع وعشرين.

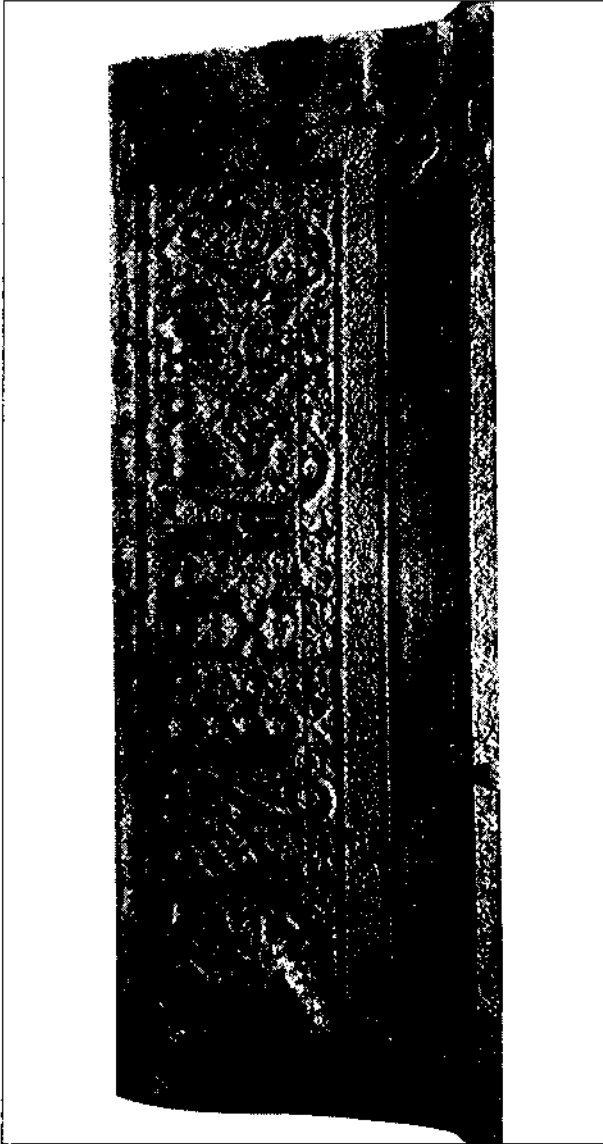
ب - الكتابة الكوفية في الجنوب:

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم.
- ٢ - هذا ضريح الإمام أبو (كذا) الحسن موسى بن جعفر.
- ٣ - ابن محمد بن علي بن.
- ٤ - الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)^(١).

(١) سومر: ٥٥/٥ «الآثار الخشب في دار الآثار العربية في خان مرجان ببغداد».

والصندوق الآن في الغرفة (١٦) في دار الآثار العربية ببغداد؛
ورقمه هناك: ٦٢٣ - ع.

«يراجع الشكل رقم ١ - و - ٢ -»



«صندوق قبر الإمام الكاظم (ع) الذي أمر المستنصر العباسي بصنعه»

«أيام كان على قبر سلمان الفارسي»



«صندوق قبر الإمام الكاظم (ع) وهو في محله الخاص من دار الآثار العربية»

وفي سنة ٦٣٥هـ كان في المشهد إيوان كبير متصل بالحضرة يقابل باب الدخول^(١)، وما أدري متى كان إنشاؤه، ولعله من جملة أعمال المستنصر التي مرت الإشارة إليها.

وفي شوال سنة ٦٤٦هـ «تواترت الغيوث حتى امتلأت البواليع واستجدَّ عوضها وامتلت أيضاً... وتجمَّر الماء بدجلة... وغرقت الشطانيات بالجانب الغربي من بغداد؛ ومن فتحة انفتحت فوق قبر أحمد بن حنبل غرق منها محلة الحريرة والكرخ والمارستان... ووقع قطعة من جامع فخر الدولة الحسن بن المطلب وقطعة من سور المشهد الكاظمي»^(٢).

«ثم زادت في ذي الحجة زيادة مفرطة أعظم من الأولى فانفتحت في القورج فتحة... وانفتحت أخرى إلى جانب دار المسناة وأحاط الماء ببغداد... وأمَّا الجانب الغربي فغرق بأسره، وأمَّا المشهد الكاظمي - على ساكنه السلام - فإنه هدم سوره ودوره؛ فأقام على الضريحين الشريفين بحيث لم يبق من الرمانين سوى رؤوسهما»^(٣).

وفي سنة ٦٤٧هـ بعد ذلك الغرق العظيم «أمر الخليفة بعمارة سور المشهد... فلما شرعوا في ذلك وجدوا برنيّة فيها ألفا درهم قديمة؛ منها يونانية عليها صور؛ ومنها ضرب بغداد سنة نيف وثلاثين ومائة؛ ومنها ما هو ضرب واسط يقارب هذا التاريخ، فعرضت على الخليفة فأمر أن تصرف في عمارة المشهد، فاشتراها الناس بأوفر الأثمان،

(١) الحوادث الجامعة: ١٠١ و ٢٦٥.

(٢) نفس المصدر: ٢٣٠.

(٣) نفس المصدر: ٢٣٣.

وأهدي منها إلى الأكابر فنفذوا إلى المشهد أضعاف ما كان حمل إليهم»^(١).

«وفي حادي عشر ذي القعدة [من تلك السنة] أمر الخليفة بحمل مشدّتين إلى مشهد موسى بن جعفر (ع) وتعليقهما على القبتين الشريفتين، ثم تقدّم بإزالتهما في خامس عشري الشهر المذكور»^(٢).



وهكذا تكون للمشهد خلال العصر العباسي خمس عمارات نلخصها فيما يأتي:

- ١ - العمارة الأولى بعد وفاة الإمام موسى بن جعفر (ع) مباشرة، وكانت عمارة بدائية صغيرة، ولعلّها كانت لا تتجاوز غرفة واسعة خاصة بالقبر الشريف عليها قبة ولها أبواب وإلى جانبها حجر متعددة يودع فيها الأثاث والزيت وينام فيها الخدم والقوامون، ويحيط بها عدد من المساجد يُعتبر مسجد باب التبن أشهرها.
- ٢ - وكانت العمارة الثانية بعد استيلاء معز الدولة البويهبي على بغداد، حيث أعاد تشييد المرقد سنة ٣٣٦هـ، ووضع على القبرين الشريفين ضريحين من خشب الساج و فوقهما قبتان من الساج أيضاً، وأدير عليهما حائط كالسور. وكانت هذه العمارة أول عمارة كبرى تشيّد على المرقد. ويستفاد من النصوص التاريخية أن القبتين كانتا كبيرتين يتسع فضاؤهما لعدد غفير من المصلّين والزائرين، وأن القبرين الشريفين كانا منفصلين في حجرتين. وكان من نفائس ما

(١) نفس المصدر: ٢٤٤.

(٢) نفس المصدر: ٢٤٤.

أُهدي إلى المشهد بعد انتهاء هذه العمارة بفترة قصيرة قنديلٌ صفر مربع غاية في حُسنه .

واستمرت العناية بهذه العمارة وإضافة ما ينبغي إضافته إليها وتوسيع ما يجب توسيعه منها حتى بلغت في سنة ٤٤٤٣هـ غاية فخامتها وروعيتها، وأصبحت زاخرة بالقناديل والستور والمحاريب وأكثرها من الفضة والذهب، وأصبح للمشهد سور «يدور حوله وأبواب للدخول والخروج وبوابون وقوَّام وترب» كثيرة للأشراف من الناس .

٣ - وقامت العمارة الثالثة في سنة ٤٥٠هـ وهي عمارة الباسيري، واشتملت «على بناء المشهد كاملاً من أساسه ووضع صندوقين جديدين على القبرين وتشييد بهو واسع من جهة الجنوب ومسجد ومثذنة، وأصبحت القبَّتان في هذه العمارة قبة واحدة .

٤ - أما العمارة الرابعة فهي عمارة مجد الملك القمي سنة ٤٩٠هـ، وقد اشتملت على صندوقين جديدين من الساج وُضعا فوق القبرين؛ ومثذنتين كبيرتين، كما اشتملت على تزيين القبة بالفسيفساء وتشييد دار بجوار المشهد لاستراحة الزائرين وإقامتهم. ولعل تسمية هذه الأعمال بالعمارة لا تخلو من مسامحة، لأنها في الحقيقة مجموعة مرافق أضيفت للعمارة السابقة التي لم يكن مرَّ عليها أكثر من أربعين عاماً .

٥ - وكانت العمارة الخامسة عمارة الناصر لدين الله سنة ٥٧٥هـ وما يليها من السنين، وهي عمارة وُسِّعتْ وأُضيف إليها الشيء الكثير خلال عهد الناصر الطويل وبعده، فكانت خاتمة عمارات العصر العباسي؛ بل أفخمها أيضاً .

ونلخص - فيما يأتي - بإيجاز وصفاً للمشهد في أخريات العصر العباسي من ناحية شكله وعمرانه وما دار عليه سوره من مرافق وملحقات:

كان على القبرين الشريفين قبة فخمة كبرى واحدة، بعد أن كانت في العهد البويهي اثنتين.

كانت على القبرين الشريفين صندوقان من الخشب الجيد.

كانت في المشهد مكتبة^(١).

كان إلى جوار المشهد محل خاص بالأيتام.

كانت في المشهد حلقات دراسية.

كانت التربة في المشهد كثيرة جداً.

كان يتصل بالمشهد صحن^(٢) فيه حجر وإيوان واحد أو أكثر.

كانت حول القبرين الشريفين أبهاء وأروقة.

كانت في المشهد دار لاستراحة الزائرين.

كان المشهد مجمعاً للزائرين والقاصدين في المناسبات الدينية والأعياد.

كان للمشهد خدام وبوابون ونقيب يشرف على شؤون المشهد.

(١) قال عبد الكريم بن طاووس في كتابه فرحة الغري: ١٢٣ «ومن محاسن القصص ما قرأته بخط والدي قدس الله روحه على ظهر كتاب بالمشهد الكاظمي . . إلخ» وذكر علي آل طاووس في الإقبال: ٥٩٩ أنه توجد نسخة عتيقة من كتاب الملاحم للبطائني في خزانة مشهد الكاظم (ع).

(٢) الحوادث الجامعة: ١٣٦.

أصبحت حول المشهد مدينة عامرة بالسكان يدور عليها سور.
كان للمشهد سور يحيط به^(١)، وهو غير سور البلدة السالف
الذكر.



ويصف ياقوت الحموي المشهد فيقول:

«ويُعرف قبره [أي الإمام الكاظم (ع)] بمشهد باب التبن مضاف إلى
هذا الموضع، وهو الآن محلة عامرة، ذات سور، مفردة»^(٢).
«مقابر قریش ببغداد، وهي مقبرة مشهورة؛ ومحلة فيها خلق كثير،
وعليها سور»^(٣).

ويصفه ابن خلكان فيقول:

«وقبره [أي الإمام الكاظم (ع)] هناك مشهور يُزار، وعليه مشهد
عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يُحَدَّ»^(٤).
ويصفه أيضاً نور الدين علي بن موسى بن سعيد المغربي الذي ورد
بغداد سنة ٦٥٤هـ مع كمال الدين عمر بن العديم الحلبي:

«لَمَّا وصلنا إلى باب مشهد موسى بن جعفر تلقَّانا من خدامه مَنْ
أنزلنا على بُعد، ووجدنا في الطريق إليه قبراً متطامناً يُداس، فسألنا عنه
فقال: هذا قبر الحسين بن الحجَّاج الشاعر أوصى أن يُدْفَن في طريق

(١) نفس المصدر: ١٨٥ و ٢٣٠ و ٢٣٣.

(٢) معجم البلدان: ١٤/٢.

(٣) نفس المصدر: ١٠٧/٨.

(٤) وفيات الأعيان: ٣٩٥/٤.

هذا المشهد لئيداس بأقدام زُوَّاره، فلَمَّا وصلْنَا إلى الباب تلقَّانا الزوَّار من ولد الكاظم فأمرونا بنزع الأخفاف، فلما دخلنا رأينا من الجمع المحتفل وأواني الذهب والفضة والستور والشموع والطَّيب ما ملك أبصارنا. ولما حللنا بالروضة التي فيها قبر الكاظم رأينا قبراً آخر ذكروا أنه قبر حفيده محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم، وفي ذلك المشهد ما يطول ذكره ويهول أمره^(١).



(١) مشهد الكاظمين: ١٠ - ١١ نقلاً عن كتاب «كنوز المطالب في أخبار آل أبي طالب».

المشهدُ الكاظمي
من بدءِ الاحتلالِ المغولي
إلى نهايةِ الاحتلالِ العُثماني

تبدأ هذه الفترة من الشهر الأول من عام ٦٥٦هـ عندما حوصرت بغداد من قبل الجيش المغولي، وأطبقت عليها أنياب هولاء وأتباعه، وسرعان ما أمكنهم ازديادها لقمة هنيئة سائغة، بعد أن مهَّدت لذلك ظروف وملايسات ليس هذا المقام مجال تفصيلها.

ففي منتصف شهر المحرم من العام المذكور استولى بوقاتيهور وبايجو وسونجاق على الجانب الغربي من بغداد، ونزلوا في ساحل دجلة في أطراف البلدة، وشرعوا بالرمي بالنشَّاب إلى الجانب الشرقي، ثم توجَّهوا نحو البيمارستان العضدي^(١). وكان ما كان مما لستُ أذكره.

وتَمَّ احتلال بغداد من قبل المغول يوم الاثنين الثامن عشر من المحرم^(٢) أو بعد ذلك بأيام، بعد أن استولى الخراب والجوع والفرع على البلد وسكَّانه، وكان من جملة آثار هذا الاحتلال احتراق «أكثر الأماكن المقدسة في المدينة مثل جامع الخليفة ومشهد موسى والجواد وقبور الخلفاء»^(٣).

(١) الحوادث الجامعة: ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) الإقبال لعلي بن طاووس: ٥٨٦ وكان معاصراً لفترة الاحتلال وحوادثها. وقد اختلَّت تعيين الأيام من ناحية أسمائها الأسبوعية في الحوادث الجامعة، فتارة يكون الأربعاء تاسع محرم «ص ٣٢٤»، وأخرى يكون الأحد سابع عشر محرم «ص ٣٢٦»، وإذا كان الأحد كذلك فكيف تكون الجمعة ثاني صفر «ص ٣٢٧»؟

(٣) جامع التواريخ: ٢٩٣/٢.

ولما وصل الأمير قراتاي إلى بغداد ونصب عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائباً عنه - وكان ذا دين ومروءة - عين القزويني هذا شهاب الدين علي بن عبد الله صدرًا في الوقوف، وتقدّم إليه بعمارة جامع الخليفة ومشهد موسى والجواد^(١).

وبعد ذلك بفترة وجيزة من نفس العام ٦٥٦هـ توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي في مستهلّ جمادى الآخرة ودفن في مشهد موسى بن جعفر (ع)^(٢).

ولما توفي الخواجه نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد الطوسي في ثامن عشر ذي الحجة سنة ٦٧٢هـ دفن في مشهد موسى بن جعفر (ع) في سرداب قديم البناء خالٍ من دفن؛ قيل أنه كان قد عُمل للخليفة الناصر لدين الله^(٣).

وفي سنة ٦٨٨هـ «عزم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق على التوجّه إلى الأردن، فقصده سعدُ الدولة المشرف عليه مشهد موسى بن جعفر (ع) وزار ضريحه الشريف وأخذ المصحف متفائلاً به، فخرج له: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَافِيلُ قَدْ أُنْجِنْتُكُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَانَ﴾^(٤) فاستبشر بذلك، وأطلق للعلويين والقوام مائة دينار»^(٥).

ولمّا قُتِلَ فخر الدين بن الطّراح صدر واسط والبصرة في سنة

(١) نفس المصدر: ٢/٢٩٥، وراجع الحوادث الجامعة: ٣٣٣.

(٢) الحوادث الجامعة: ٣٣٣.

(٣) نفس المصدر: ٣٨٠.

(٤) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٥) الحوادث الجامعة: ٤٥٧.

٦٩٤هـ دفن في مشهد موسى بن جعفر (ع)^(١).

وما أن انتهى القرن السابع ودخل الثامن حتى كان المشهد قد بلغ الغاية في العمارة والزينة والتنظيم كما ترشدنا إلى ذلك أقوال المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة كابن بطوطة الذي زار بغداد سنة ٧٢٧هـ، وكان مما قال:

«وفي هذا الجانب [أي الغربي] قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق؛ والد علي بن موسى الرضا، وإلى جانبه قبر الجواد، والقبران داخل الروضة، عليهما دكّانة ملبّسة بالخشب عليه ألواح الفضة»^(٢).

ويقول صاحب غاية الاختصار وهو من رجال أوائل القرن الثامن عند ذكر الإمام الكاظم (ع):

«دفن بمقابر قریش حيث مشهده الآن هو وابن ابنه الجواد محمد بن علي (ع) تحت قبة واحدة»^(٣).

وقال أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ عند ذكر الإمام الكاظم (ع):

«وقبره مشهور هناك، وعليه مشهد عظيم في الجانب الغربي من بغداد»^(٤).

والظاهر أن هذه المظاهر العمرانية التي يصفها هؤلاء المؤرخون - وقد سجّلها بعضهم إن لم يكن كلهم عن مشاهدة - كانت قائمة منذ العصر العباسي؛ وإن أضيف إليها شيء من التحوير والتجديد بعد إزالة

(١) نفس المصدر: ٤٨٥.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١٤١/١.

(٣) غاية الاختصار: ٩١.

(٤) تاريخ أبي الفداء: ١٦/٢.

آثار الحريق الذي أصاب المشهد إثر احتلال المغول بغداد - كما مر - .

وكل القرائن التاريخية - كتشيع كثير من الوزراء ونفوذ نصير الدين الطوسي وإشرافه على الأوقاف ونقابة آل طاووس على الطالبين في العراق وما شاكل ذلك - تؤيد فخامة المشهد وضخامة عمرانته وروعة بنيانه خلال هذه الفترة، ولكننا لا نعرف - مع الأسف - تفاصيل خطط العمارة، وإن كُنَّا نرجح كونها امتداداً للعمارة الناصرية المستنصرية السالفة الذكر في الفصل السابق، ولا جديد فيها سوى أن الصندوقين اللذين أمر المستنصر بصنعهما قد وُضعا تحت ضريح كبير واحد سمّاه ابن بطوطة «دكانة» وذكر أنه مُلبس بالخشب وعليه ألواح الفضة، وهذا كثير الشبه بما عليه ضرائح الأئمة (ع) اليوم حيث يجعل الضريح الفضي فوق الصناديق الخشبية.



وفي سنة ٧٢٥هـ «زادت دجلة حتى غرقت ما حول بغداد وانحصر الناس بها ستة أيام لم تفتح أبوابها... وذكر بعضهم أنه غرق بالجانب الغربي نحو من ستة آلاف وستمئة بيت»^(١) وغرقت مقبرة أحمد بن حنبل فيما غرق^(٢).

وفي سنة ٧٥٧هـ - وهي سنة جلوس السلطان أويس بن الشيخ حسن الجلايري - حدث فيضان عظيم استولى على بغداد وأغرق نحواً من أربعين ألفاً من أهلها^(٣).

(١) البداية والنهاية: ١١٨/١٤.

(٢) شذرات الذهب: ٦٦/٦.

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين: ٨٣/٢.

ولمّا أعلن الخواجة مرجان عصيانه على سلطان وقته أويس سنة ٧٦٥هـ فتح سدود دجلة فأغرق أطراف بغداد لمدة أربع ساعات^(١).

وفي سنة ٧٦٩هـ قام السلطان أويس الجلايري بتعمير المشهد فبنى قبتين ومنارتين، وأمر بوضع صندوقين من الرخام الجيد على القبرين الشريفين، وزيّن الحرم بالطابوق الكاشاني الذي كتبت عليه سورّ من القرآن الكريم، كما عمّر الرواق ورباطاً كان في الصحن، وأمر بإطلاق الأموال للخدام والسدنة وسائر العلويين الساكنين هناك^(٢).

وكانت هذه العمارة الجلايرية هي الأولى بعد انقضاء العصر العباسي. والظاهر أنّ سبب إنشائها تصدّع المشهد من جراء تتابع الغرق والفيضانات - كما مر -. والمشهد الكاظمي وإن لم يذكر باسمه في النصوص السالفة الذكر جزءً لا يتجزأً من تلك الأماكن التي خرّبتها المياه وأصابها الغرق الذي شمل بغداد وعمّ الجانب الغربيّ منها.

وفي سنة ٧٧٥هـ كان الغرق ببغداد؛ حتى قيل أن جملة ما تهدّم من الدور ستون ألف دار^(كدا)... وصارت الرصافة ومشهد أحمد ومشهد أبي حنيفة وغيرهما من المشاهد والمزارات لا يوصل إليها إلاّ في المراكب^(٣).

وفي يوم السبت السابع من ذي القعدة سنة ٨٠٣هـ دخل تيمور ببغداد فاتحاً لها للمرة الثانية بعد محاصرة دامت أربعين يوماً... وخرج

(١) نفس المصدر: ١١٠/٢.

(٢) صدى الفؤاد: ١٥، ويراجع مجلة سومر: ٥٥/٥.

(٣) العراق بين احتلالين: ١٣٢/٢ - ١٣٣.

منها في العشرة الأولى من ذي الحجة، ومن هناك زار مشهد الإمام الكاظم ومضى إلى الحلة^(١).

ولمّا احتلّ الأمير أسبان بن قرا يوسف بغداد ليلة الخميس ثاني عشر شعبان سنة ٨٣٦هـ هرب أخوه محمد شاه صاحب بغداد في سفينة وخرج إلى الجانب الغربي وتوجّه راجلاً إلى مشهد الإمام موسى الكاظم؛ وصحبه الشاه بوداق وابنه ومحمود الجمال، وكان السيد المعروف بالجوسقي في المشهد المذكور فأعطاه حماراً فركبه إلى الدجيل^(٢).

وينتهي في أوائل القرن العاشر عهد المغول والجلاليريين والتركمان، وأخبار المشهد خلاله قليلة نادرة، وليس عندنا من جديد فيه - بعد إصلاح ما خرّبه الاحتلال المغولي - سوى عمارة السلطان أويس الجلايري التي أعادت القبة قبتين وجدّدت سائر معالم المشهد البارزة، والظاهر أنه لم يكن فيها اختلاف مهم عن عمارتها السابقة سوى صندوقي الرخام والطابوق الكاشاني الذي كتبت عليه سور من القرآن المجيد، ولعلّه أول طابوق من نوعه يوضع في المشهد الكاظمي.

وما عدا هذه العمارة فليس لدينا من أخبار المشهد سوى ما سلف ذكره. والنصوص التاريخية نادرة جداً عن هذه الفترة المظلمة من تاريخ العراق.

(١) العراق بين احتلالين: ٢٤٠/٢.

(٢) مشهد الكاظمين: ١٣ وتاريخ العراق بين احتلالين: ٨٤/٣.

العهد الصفوي الأول

في اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ٩١٤ هـ انتهى عهد التركمان بدخول الشاه إسماعيل الصفوي بغداد فاتحاً محتلاً^(١).

وبعد مرور فترة من الزمن على بقاءه في العراق مضى لزيارة المشهد الكاظمي، فأنعم على مَنْ كان هناك بأنواع الإنعام، وعيّن الرواتب لخدماء المشهد، وأصدر أمره بقلع عمارة المشهد من أساسها وتجديدها تجديداً يشمل توسيع الروضة وتبليط الأروقة بالرخام وصنع صندوقين خشبيين يوضعان على القبرين الشريفين وتزيين الحرم وأطرافه الخارجية بالطابوق الكاشاني ذي الآيات القرآنية والكتابات التاريخية، كما أمر بأن تكون المآذن أربعاً بعد أن كانت اثنتين وبتشييد مسجد كبير في الجهة الشمالية للحرم متصل به. وأحال أمر تنفيذ ذلك إلى أمير الديوان خادم بيك، وعاد إلى إيران^(٢).

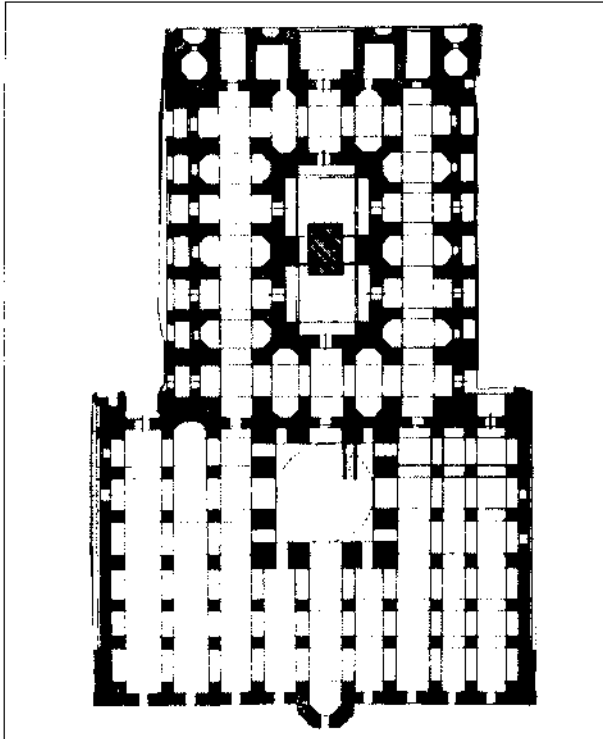
كذلك أمر الشاه أيضاً بتنظيم شؤون الصحن المحيط بالمشهد، وكان فيه رباط للحيوانات التي تقلُّ الزائرين إلى المشهد ومنه؛ فأمر بإبعاده وجعله خلف الصحن.

(١) العراق بين احتلالين: ٣١٦/٣ - ٣١٧.

(٢) صدى الفؤاد: ١٦ والعراق بين احتلالين: ٣٣٧/٣ - ٣٤٢.

كما أمر بتقديم ما يحتاجه المشهد من فرش وقناديل - وكان منها الفضي والذهبي -، وعيّن للمشهد عدداً من الحفّاظ والمؤذنين والخدام.

وبدأ العمل على قدم وساق، فتمّ تشييد هيكل الحرم وروضته وأروقته - وهو الهيكل القائم اليوم - (يراجع الشكل ٣) والقبتين والصندوقين والمسجد، وبلغت المآذن الكبيرة الأربعة ارتفاعاً يعلو عن سطح الحرم بمقدار ذراع، كما تمّ صنع الكاشاني ووضعها في محلّه المقرر، كذلك وُضِع الرخام في موضعه، ولم يبق شيء مما أمر به إلا وقد نُفِّذ منه - ما وسعه الوقت - بأمانةٍ ودقةٍ وإخلاص.



الشكل رقم (٣): «تخطيط هيكل العمارة الصفويّة».

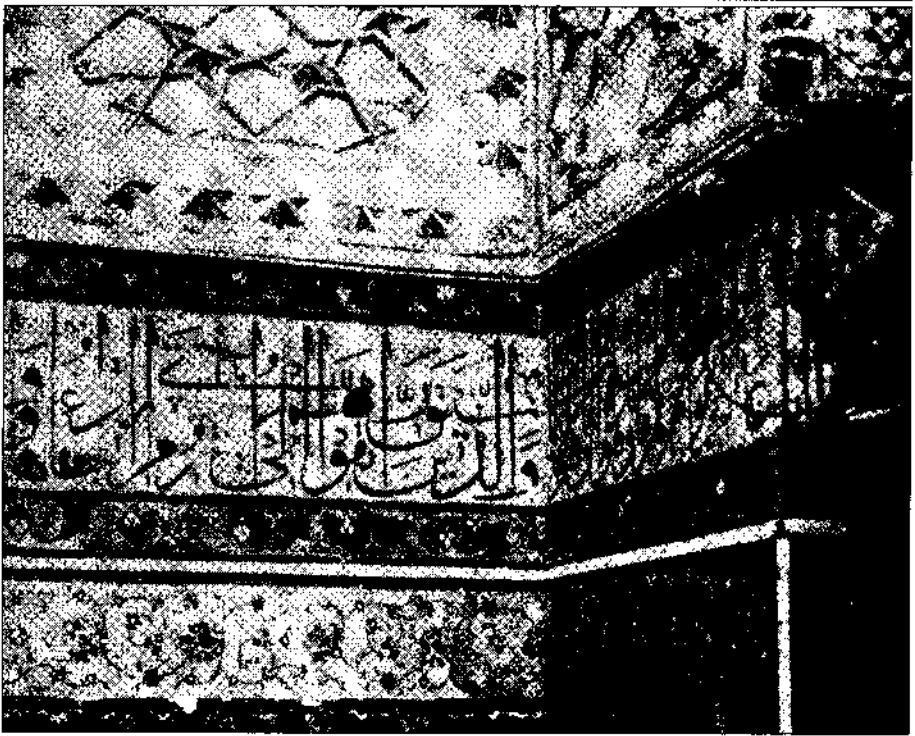
والآثار الصفوية المؤرخة الباقية إلى اليوم - بالإضافة إلى هيكل الحرم والجامع المتصل به - ثلاثة:

الأثر الأول:

الطابوق الكاشاني الموضوع على جدار الروضة المطهرة، وهو الطابوق الذي يحيط بالروضة من داخلها ويرتفع عن أرضها نحواً من مترين، وتزينه بأجمعه كتابة تبدأ من منتصف الجدار الغربي للروضة «جهة الرأس» وتفتتحها سورة الدهر حيث تنتهي في أواسط الجدار الشرقي مارة بالجدار الجنوبي، وتليها سورة النبأ التي تنتهي بنهاية الجدار الشمالي، ثم تبدأ ثلاث آيات من سورة الزمر ﴿وَسِيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ - إلى قوله تعالى -: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويلي ذلك رقم ٩٣٥ تاريخاً لانتهاه صنع هذا الكاشاني (يراجع الشكل ٤).

ويظهر من تاريخ هذا الطابوق أن الأعمال العمرانية قد تَمَّتْ بعد وفاة إسماعيل وفي عهد الشاه طهماسب، بل يمكن تحديد تاريخ نصب هذا الطابوق وانتهاء الأعمال العمرانية بعام ٩٣٦هـ؛ وهو العام الذي استعاد به طهماسب الأول حكم العراق من يد الأمير ذي الفقار رئيس قبيلة موصلو الكردية، وكان هذا الأمير قد انتزع حكم العراق من الصفويين ما بين ٩٣٠ - أوائل ٩٣٦هـ.





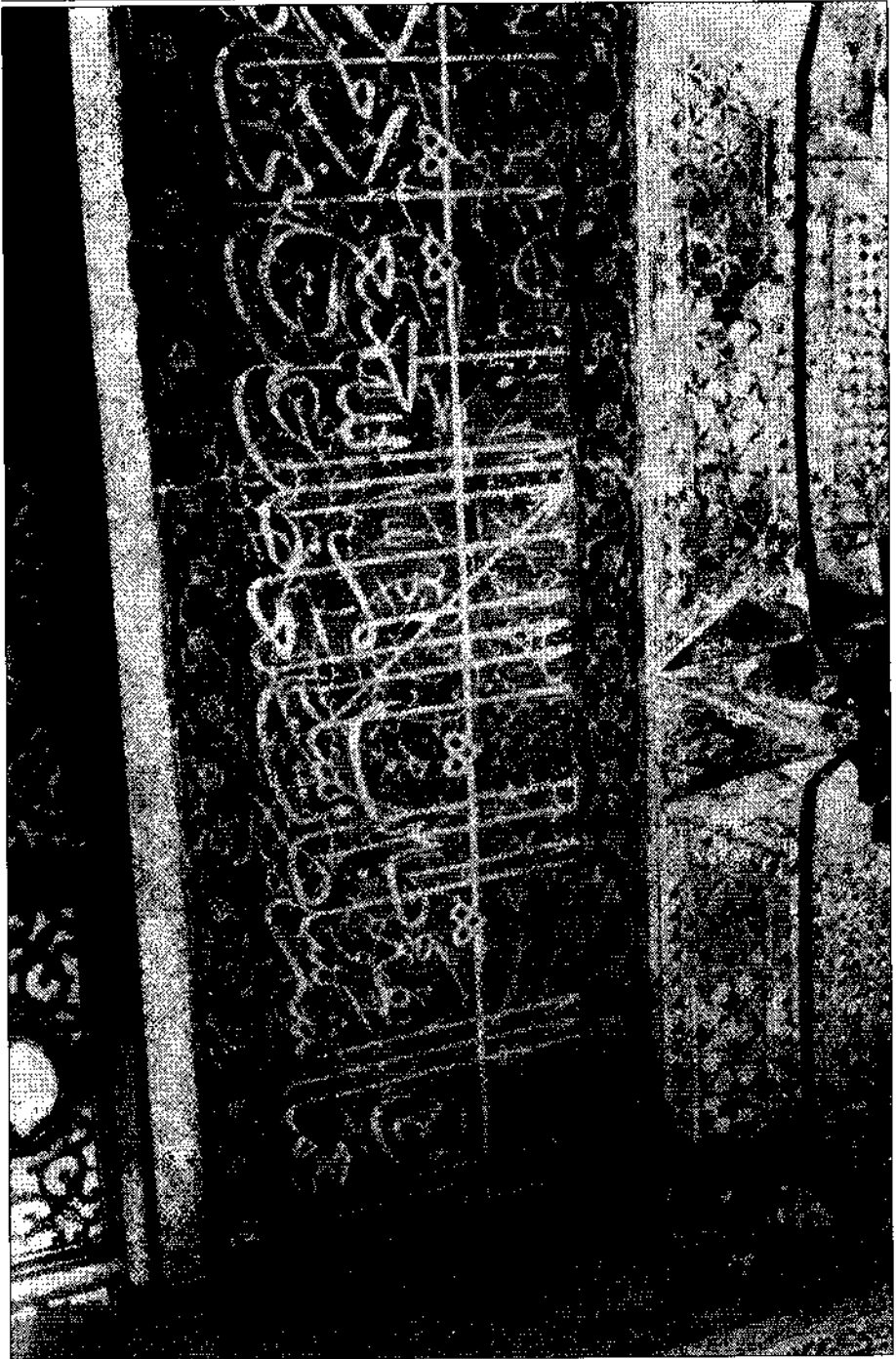
الشكل رقم (٤): «الكتيبة الصفوية في داخل الروضة».

الأثر الثاني:

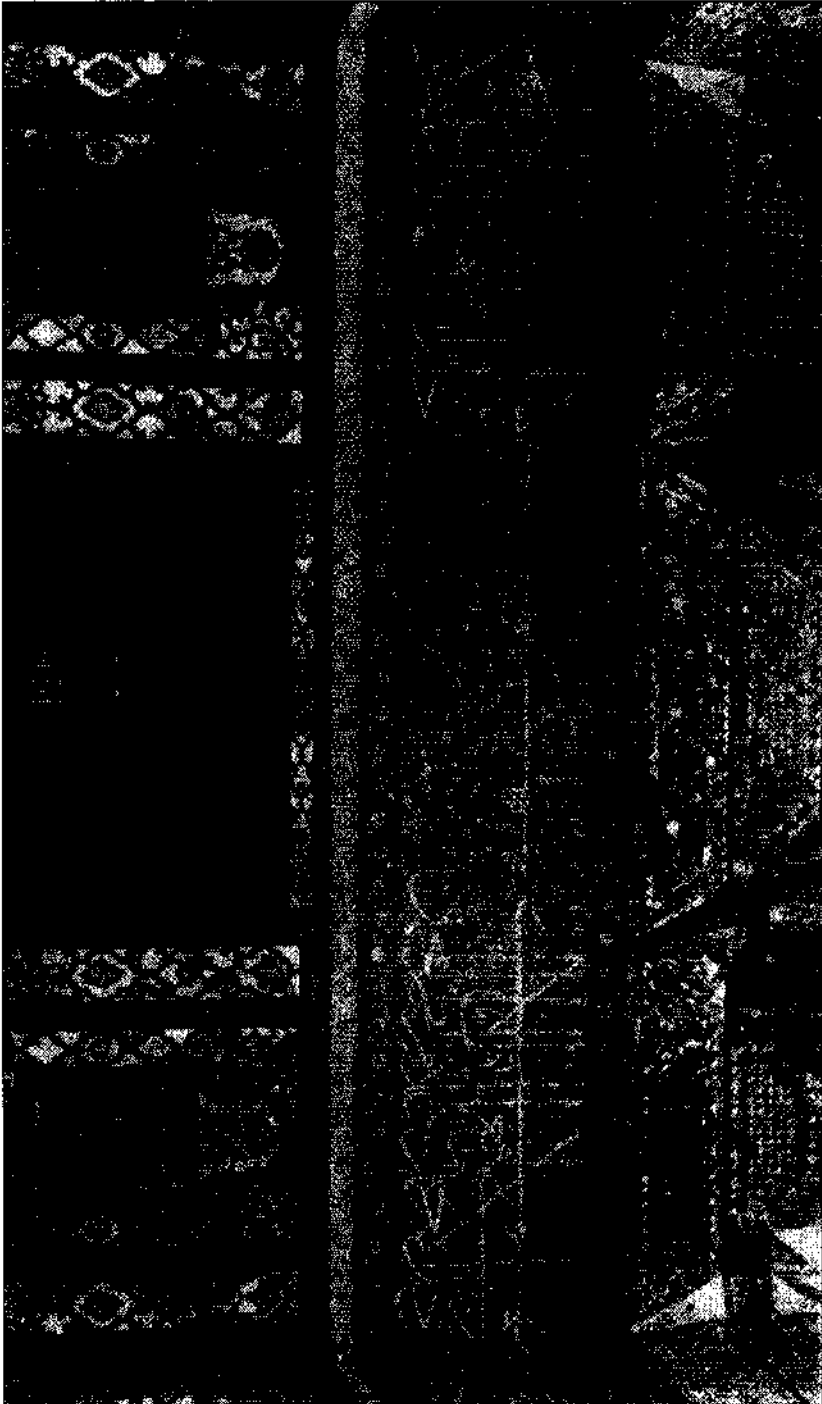
الطابوق الكاشاني المثبت في جدار الرواق الشرقي في جهته الخارجية المقابلة للصحن، وقد أودع ذلك في إيوانٍ خاص ذي ثلاثة أضلاع يقع في أواسط «طارمة باب المراد» ملاصقاً للباب الرئيس الذهبي، وقد كتب عليه ما نصه:

«أمر بإنشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم؛ ظل الله على جميع بني آدم، ناصر دين جدّه الأحمدي، رافع أعلام الطريق المحمّدي، أبو المظفر شاه إسماعيل بن شاه حيدر بن جنيد الصفوي الموسوي، خلّد الله لإعلاء ألوية الدين المبين ملكه وسلطانه، وأيدّ لهدم قواعد أهل الضلال حجته وبرهانه، وحرر ذلك في سادس شهر ربيع الثاني سنة ٩٢٦».

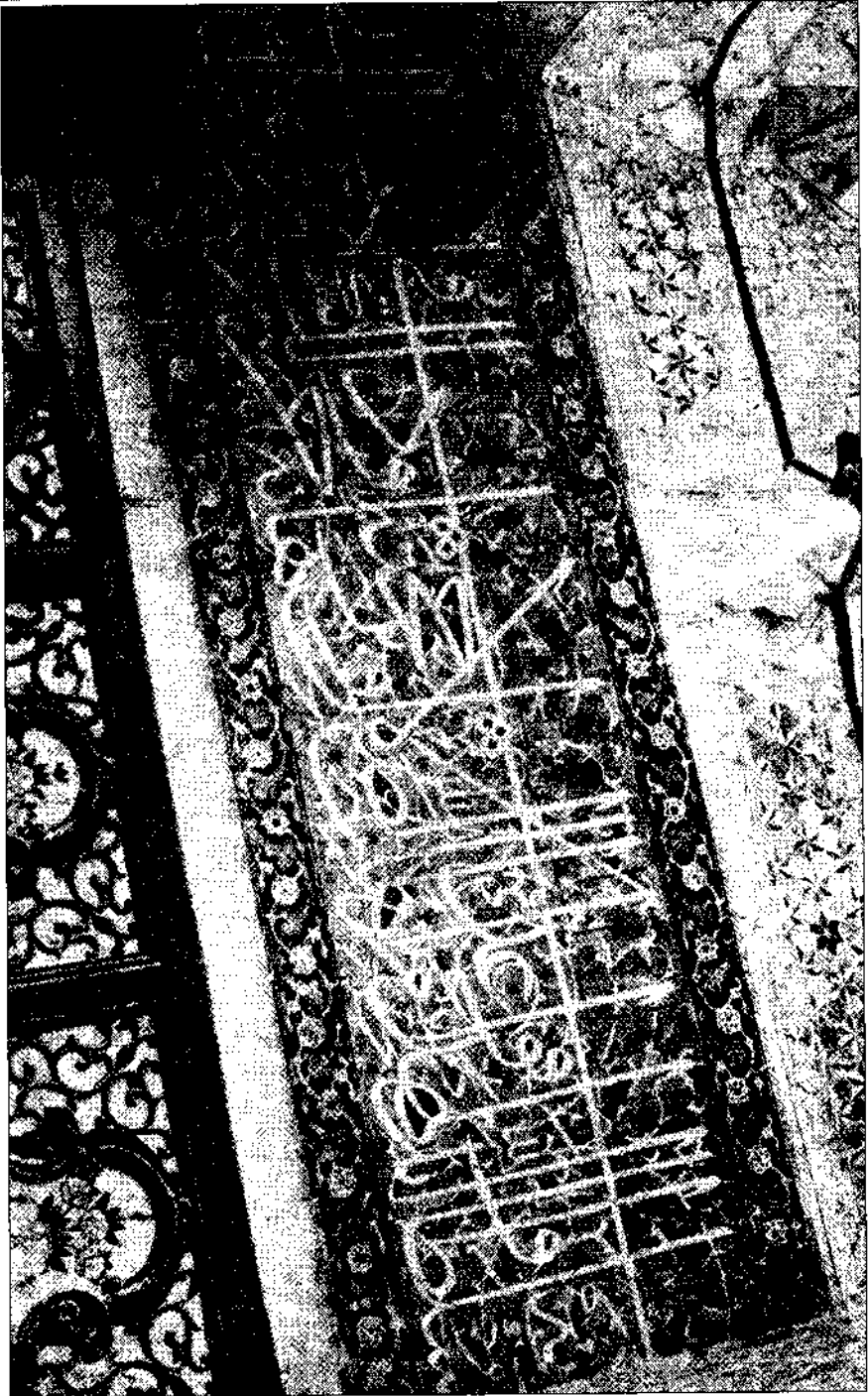
(يراجع الأشكال ٥ و ٦ و ٧).



الشكل رقم (٥): «الطرف الشمالي من أطراف الإيوان الصفوي».



الشكل رقم (٦): «الطرف الغربي من أطراف الإيوان الصفوي».



الشكل رقم (٧): «الطرف الجنوبي من أطراف الإيوان الصفوي».

الأثر الثالث:

الصندوقان الخشبيان الموضوعان حتى اليوم على القبرين الشريفين، وهما صندوقان كبيران ومتساويان في الهيئة والحجم، مسطحا الشكل، من الخشب الجيد المتين، طول كل منهما نحو ثلاثة أمتار ونصف المتر، وعرض كل منهما نحو مترين، وكذلك ارتفاعهما، وهذه الأبعاد تقريبية.

وكل صندوق منهما يتكوّن من أربعة ألواح كبيرة وثمانية ألواح صغيرة متصلة بأطراف الألواح الكبيرة، أي أنّ كلّ جهة من جهات الصندوق الأربع تتكوّن من ثلاثة ألواح أحدها كبير في الوسط، وفي كل طرف منه لوح صغير تعلوه الأفاريز المزخرفة والمزينة بالنقوش والكتابات.

وكل لوح من هذه الألواح الكبيرة والصغيرة مكوّن من عدد كبير من قطع صغيرة صُنِعَتْ بأشكال هندسية مختلفة ومتنوعة، تتصل مع بعضها فتتداخل وترتبط بمثانة وإحكام حتى يتكوّن منها لوح واحد منسق يحيط بأطرافه الأربعة إطارٌ مزخرف ينتهي بالأفاريز، ويعلوها الغطاء؛ وهو محاط بإفريز بارز، وكل قطعة من تلك القطع الهندسية الصغيرة زخرفت وزُيِّنَتْ بنقوش هندسية وزهرية ونقوش أخرى مختلفة بالحفر والتطعيم والتلوين.

وتكاد تكون زخرفة كلّ لوح تختلف عن اللوح الآخر، وقد عُرف هذا النقش بنقش الخاتم، وهو أدق وأجمل نقش معروف.

وقد استُعمل للزخرفة ولتطعيم خشب الآبنوس والعنّاب والليمون والصاج وعظم العاج والجمل والحصان والأصداف وسبائك البرنز والمعادن الملونة من مُدَهَّبَةٍ ومفضَّضَةٍ والأصباغ المعدنية الملونة البراقة ودهن الصندلوس ومواد دهنية أخرى، إلى غير ذلك مما لا يمكن استيفاء

وصفه، كما تزين بعض الألواح كتاباتٍ نسخيّة مرگبّة متداخلة بأحرف بارزة واضحة جميلة، وقد كُتبت بعض الكلمات بالخط الكوفي على طريقة النقش للتزيين.

نبتدىء بذكر النصوص المكتوبة على صندوق ضريح الإمام الكاظم (ع)، فقد كُتبت على كل من اللوحين الصغيرين المتصلين باللوح الكبير المواجه لجهة القبلة عشرة حقول من الكتابات النسخيّة البارزة: أربعة في الجهة اليمنى ومثلها في الجهة اليسرى وسطر في الجهة العليا وآخر على القاعدة، وعلى اللوح الثاني عشر حقول أيضاً كالتي ذكرناها، وتبتدىء الكتابات من عند القاعدة. وفيما يلي النصوص المكتوبة على اللوح الأول الكائن على يمين القارىء، وهي:

- ١ - هذا ضريح سيد هذه الأمة، وكاشف الكروب والخمة، وسابع معصومي الأئمة.
- ٢ - كبير القدر عظيم البيئات، كثير التهجد والصلوات، المشهود له.
- ٣ - بالفضائل والكرامات، والمشهور بالعبادة والمواظب على الطاعات.
- ٤ - الإمام الخير القائم، الصائم العالم، هادم، لبناء الباطل.
- ٥ - أبي الذي هو إبراهيم موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين الشهيد.
- ٦ - ابن الإمام المفروض الطاعة على المؤمنين، وإمام المتقين، أسد الله الغالب.
- ٧ - أبي الحسين علي بن أبي طالب، عليهم (من) الصلوات المباركة والتحيات.
- ٨ - أنماها، ما أظلم ليلها وأزهر ضحاها، وكمل عمله واصطناعه.

٩ - في شهر الله الأعظم رمضان المبارك من شهور سنة ست وعشرين وتسعمائة.

١٠ - وصلى الله على سيدنا ونبيِّنا وآله الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

وكتب على اللوح الثاني: عشرة حقول - كما مرّ - تبتدىء أيضاً من عند القاعدة للجهة اليمنى، وهي:

- ١ - بأمر السلطان العادل الكامل، محيي مراسم.
 - ٢ - الشريعة المصطفوية، مُعلي معالم الطريقة المرتضوية.
 - ٣ - الذي فات سلاطين الآفاق بحباك (سردقات).
 - ٤ - جلاله مسددة، وأطناب ظلال معدلته على.
 - ٥ - مفارق أهل الإسلام ممّدة، والموفق من عند الملك المَنَّان.
 - ٦ - السلطان بن السلطان بن السلطان.
 - ٧ - أبو المظفر شاه إسماعيل خان الحسيني.
 - ٨ - خلّد الله إقباله، وأيد على مفارق أهل الإسلام.
 - ٩ - ظلاله، وتمّت هذه الصنعة الشريفة بعد مساعدة.
 - ١٠ - التوفيقات الإلهية ومعاضدة التأييدات الشاهية في سنة... .
- وفي طرفي السطر الأخير أرقام للتاريخ أو زخرفة إلا أنها غير واضحة.

وفي طرفي اللوح الكبير الكائن بينهما دائرتان، وفي وسط كل دائرة مربع داخله كتابة نسخية في ثلاثة أسطر، وهي:

(لا إله إلا الله - محمد رسول الله - علي ولي الله).

وكتبت داخل المسافات الأربع التي بين الدائرة والمربع بالقلم

النسخي البارز أسماء الأئمة الاثني عشر، كل ثلاثة أسماء في جهة تملأ الفراغ، وتبتدىء من الجهة العليا، وهي:

(علي حسن حسين، علي محمد جعفر، موسى علي محمد، علي حسن محمد).

وما كُتب على الدائرة الثانية هو عين ما كتب على الدائرة الأولى، وكتب على أحد الألواح الصغيرة المتصلة باللوح الذي في جهة القبلة من جهة الأرجل داخل أربع عشرة دائرة مسدّسة الشكل أسماء المعصومين الأربعة عشر، كل دائرة تحمل اسماً واحداً، اثنان منها في الجهة العليا ومثلها في الجهة السفلى وخمسة في الجهة اليمنى ومثلها في الجهة اليسرى، وذلك بخط نسخي بارز، وهي:

- ١ - اللهم صلّ على محمد المصطفى.
- ٢ - وصلّ على علي المرتضى.
- ٣ - وصلّ على فاطمة الزهراء.
- ٤ - وصلّ على الحسن المجتبي.
- ٥ - وصلّ على الحسين الشهيد بكربلا.
- ٦ - وصلّ على علي زين العابدين.
- ٧ - وصلّ على محمد الباقر.
- ٨ - وصلّ على جعفر الصادق.
- ٩ - وصلّ على موسى الكاظم.
- ١٠ - وصلّ على علي الرضا.
- ١١ - وصلّ على محمد التقي.
- ١٢ - وصلّ على علي التقي.

١٣ - وصلّ على الحسن العسكري .

١٤ - وصلّ على محمد المهدي .

أما بقية الألواح من الجهة المضادة للقبلة وجهة الأرجل فلا كتابات عليها بل زخرفة ونقوش مختلفة .

أما النصوص المكتوبة على صندوق ضريح الإمام الجواد (ع) فقد كتبت بالخط النسخي وبحروف بارزة وعلى شكل سطر واحد يحيط باللوح الكبير الكائن في جهة الرأس الشريف وهي سورة الدهر بكاملها تبدأ بالبسملة وتنتهي في «صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم» .

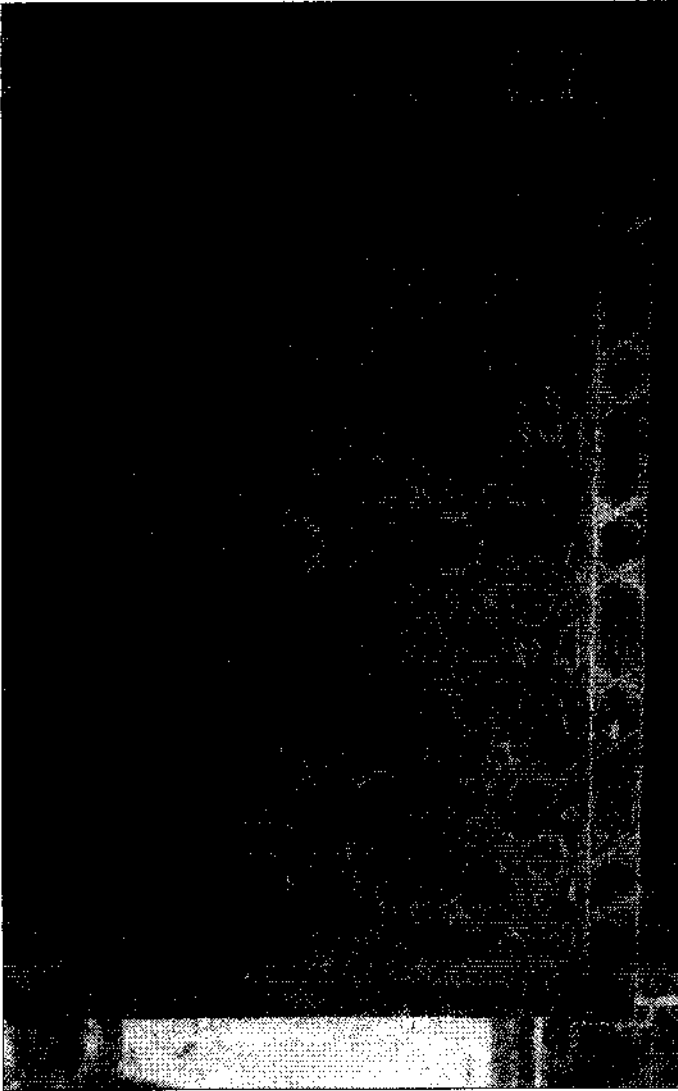
وكتبت على اللوح الكبير المباين لجهة القبلة بالخط الكوفي مطعماً بالعاج كلمة «علي» مكررة ثلاث مرات متجهة إلى المركز يحيط بها كلمة «محمد» مكررة ثلاث مرات أيضاً ومتجهة إلى المركز، وذلك ثمانية عشر مسدساً ستة منها في الجهة العليا ومثلها في الجهة السفلى وثلاثة في الجهة اليمنى ومثلها في الجهة اليسرى من اللوح .

وكتبت بالعاج أيضاً كلمة «علي» فقط على الطريقة السالفة على كل من اللوحين الصغيرين المتصلين بهذا اللوح الكبير داخل أربعة عشر مسدساً اثنان منها في الجهة العليا ومثلها في الجهة السفلى وخمسة في الجهة اليمنى ومثلها في الجهة اليسرى .

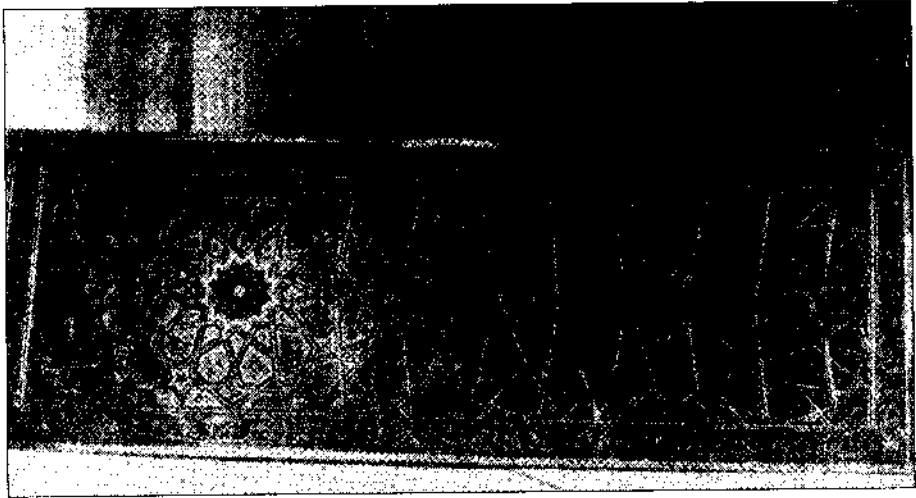
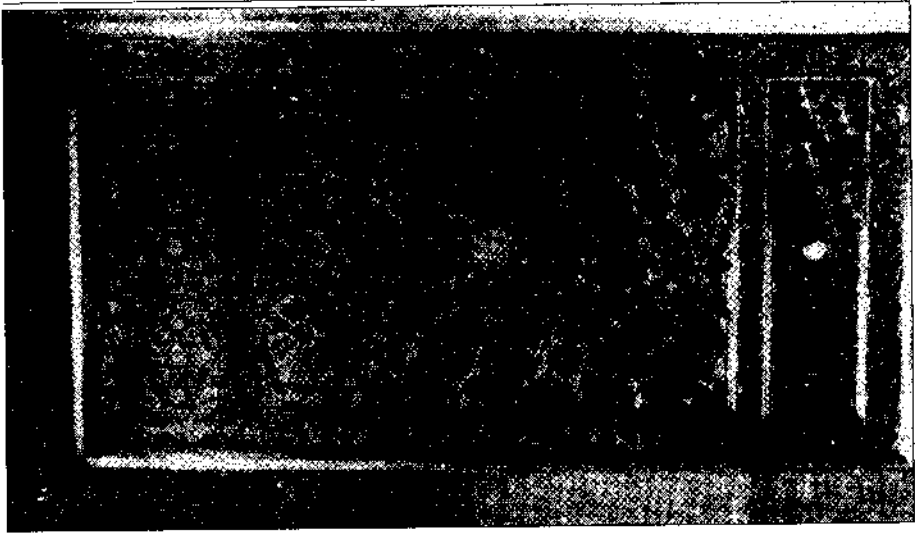
أما جهة الأرجل وجهة القبلة فليس عليهما نصوص كتابية، بل زخرفة من حفر وتطعيم وزخارف ملونة^(١) (يراجع الشكل ٨ - ٩ - ١٠) .

وقد تمّ عمل كلا الصندوقين سنة ٩٢٦هـ .

(١) مجلة سومر: ١٩٢/٦ - ١٩٥ .



الشكل رقم (٨): «جانب من صندوق الإمام الكاظم (ع)».



الشكل رقم (٩) و(١٠): «جانبان من الصندوقين الصفويين».

ومع هذين الصندوقين تم صنع مجموعة من الأبواب الخشبية للحرم، وتوجد ثلاثة مصاريع منها حتى الآن في دار الآثار العربية ببغداد في الغرفة (٢١) وأرقامها ٧١٤٦ع و٧١٤٧ع و٧١٤٨ع، وكانت قد رفعت من مواضعها الأولى في الحضرة لِقَدَمِهَا ولنصب الأبواب الذهبية والفضية الحالية مكانها، وعلى الرغم من خلوّ هذه الأبواب من التاريخ، فإن طراز

نقشها وزخارفها وطريقة التكفيت المعروفة بـ«نقش خاتم» وأسلوب كتاباتها النسخية والكوفية يشبه كثيراً ما على الصندوقين السالفي الذكر.

إن هذه الأبواب تكاد تكون متشابهة في الصنع، فكل مصراع منها مكوّن من ثلاث حشوات، العليا والسفلى منها صغيرة، والوسطى كبيرة، ويعادل طولها ثلاث أمثال الحشوة الصغيرة تقريباً. وجميع هذه الحشوات مزوّقة بطريقة التكفيت المعروفة بـ«نقش خاتم» وقوامها قطع هندسية مختلفة الأشكال والحجوم منها من خشب الدلب وغيرها من خشب البنتيج والسيسم والصنديل والتارنج، بينها ما هو مُزوّق بقطع دقيقة من الأخشاب من ألوان مختلفة والعاج والصدف والشدر والمعادن المذهبة والمفضضة والأصباغ المعدنية البراقة الزاهية، وبينها ما تزيّن الكتابات النسخية البارزة والكوفية المكفّطة، وكل هذه القطع مكفّطة في أصل الحشوة ومرتبة ترتيباً هندسياً رائعاً كوّن من مجموعها قطعة فنية باهرة.

ومما يجدر التنبيه عليه أن أحد هذه المصاريح وهو ذو رقم ٧١٤٦ع يمتاز عن المصراعين الآخرين بتحلية الحشوة الوسطى فيه باسم النبي (ص) وأسماء الأئمة الاثني عشر (ع) وقد نقشت في قطع التكفيت على النحو الآتي:

في الوسط:

اللهم صلّ على النبي الأمي الهاشمي المدني التهامي محمد المصطفى.

وفي القطع الدائرة حولها:

- ١ - وصلّ على الإمام عليّ المرتضى.
- ٢ - والإمام الهمام الحسن المجتبي.
- ٣ - والإمام الحسين الشهيد بكر بلا.

- ٤ - والإمام عليّ زين العابدين بن الحسين .
- ٥ - والإمام الهمام محمد الباقر .
- ٦ - والإمام الهمام جعفر الصادق .
- ٧ - والإمام الهمام موسى الكاظم .
- ٨ - والإمام عليّ الرضا بن موسى .
- ٩ - والإمام الهمام محمد التقي .
- ١٠ - والإمام الهمام عليّ التقي .
- ١١ - والإمام [الهمام] الحسن العسكري .
- ١٢ - والإمام الهمام محمد المهدي .

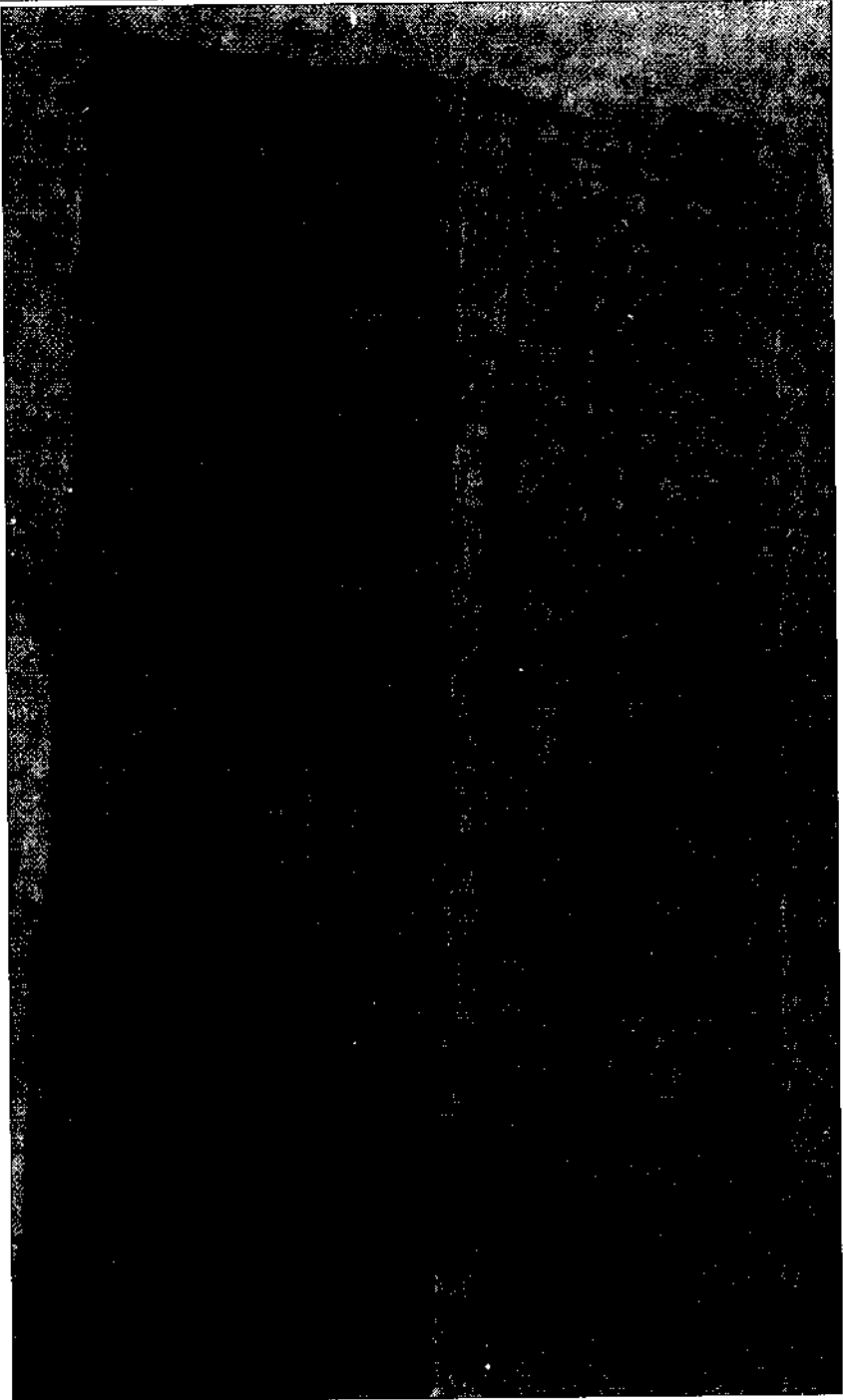
وفي الكفاسيج والعضادات كتابة كوفية من السيسم مكفّنة في العاج
نصّها: «في حمد الله» .

ويبلغ طول هذا المصراع ٣١١سم وعرضه ٨٨سم وثخنه ٨سم .

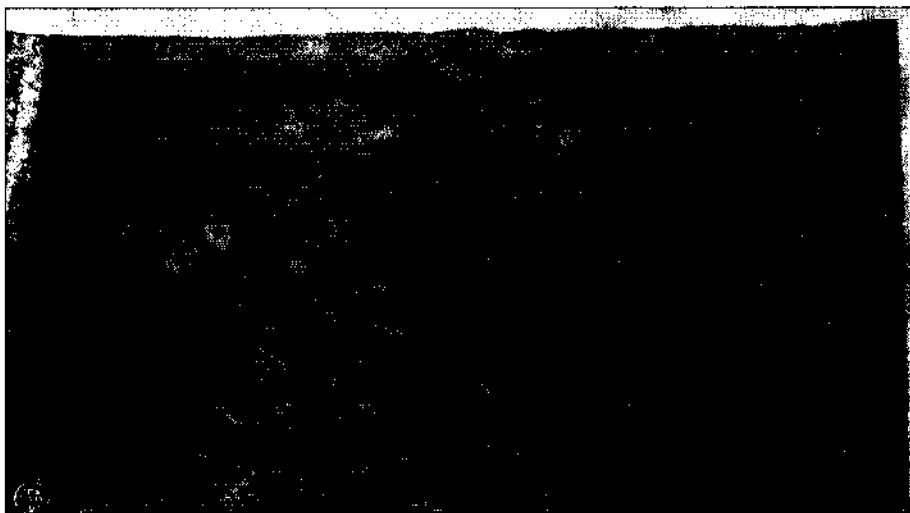
أما المصراع ذو رقم ٧١٤٧ع فطوله ٣٢٦سم وعرضه ٩٠سم وثخنه
٨سم وتزوّقه كتابة كوفية نصّها: «في حمد الله» مثل التي مرّ ذكرها في
المصراع الأول .

وطول المصراع ذي رقم ٧١٤٨ع ٣٤٩سم وعرضه ٩٠سم وثخنه
٨سم، وفي كفاسيجه كلمة «الله» وكذلك في طرف حشوته الوسطى كتابة
كوفية نصّها: «يا محمد» وكلها من خشب السيسم ومكفّنة بين قطع من
العاج^(١) . (يراجع الشكل ١١ - ١٢ - ١٣) .

(١) مجلة سومر: ٦٢/٥ - ٦٤ .



الشكل رقم (١١): «الباب رقم ٧١٤٦ - ع».



الشكل رقم (١٢) و(١٣): «نماذج من مصاريع الابواب الصفوية».

العهد التركي الأول

وفي يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١هـ دخل السلطان سليمان القانوني بغداد محتلاً لها ومزياً بحكم الصفويين، وفي ٢٨ جمادى نفسه - أي بعد أربعة أيّام من الاحتلال - بدأ السلطان جولة طاف خلالها في أطراف بغداد وأنحائها، وكان المشهد الكاظمي إحدى تلك المناطق التي زارها.

وعندما زار السلطان مرقد الإمامين (ع) أمر بدفع رواتب لخدّام المشهد من خزانة بغداد، كما أصدر السلطان فرماناً بإكمال النواقص الصغيرة التي لم يكملها الصفويون^(١).

وفي أول المحرم سنة ٩٦١هـ تحرك سيدي علي رئيس من حلب قاصداً البصرة لقيادة السفن الرابضة فيها إلى مصر، وفي أثناء مروره ببغداد زار المساجد والمراقد، ومن جملتها المشهد الكاظمي. وكذلك زار المشهد في عام ٩٦٤هـ عندما مرَّ ببغداد مرة أخرى^(٢).

وفي سنة ٩٧٨هـ تمّ بناء المنارة الواقعة في شمال شرقيّ الحرم المطهر، وكانت أسس المنائر الأربعة الكبرى قد بُنيت أيام الصفويين وارتفع بناؤها حتى تجاوز مستوى سطح الحرم بمقدار ذراع - كما مر.

(١) العراق بين احتلالين ٢٩/٤ و٣٤.

(٢) العراق بين احتلالين: ٧٢/٤ و١٠٤.

وقد انتهى تشييد المنارة الجديدة بأمر السلطان العثماني سليم الثاني، وكانت كما يحدث الرواة مكشوفة الأعلى بلا سقف يقي المؤذن أذى الشمس والمطر. ولما تمّ بناؤها أرّخها الشاعر فضلي بن فضولي البغدادي بأبيات تركية هذا نصّها:

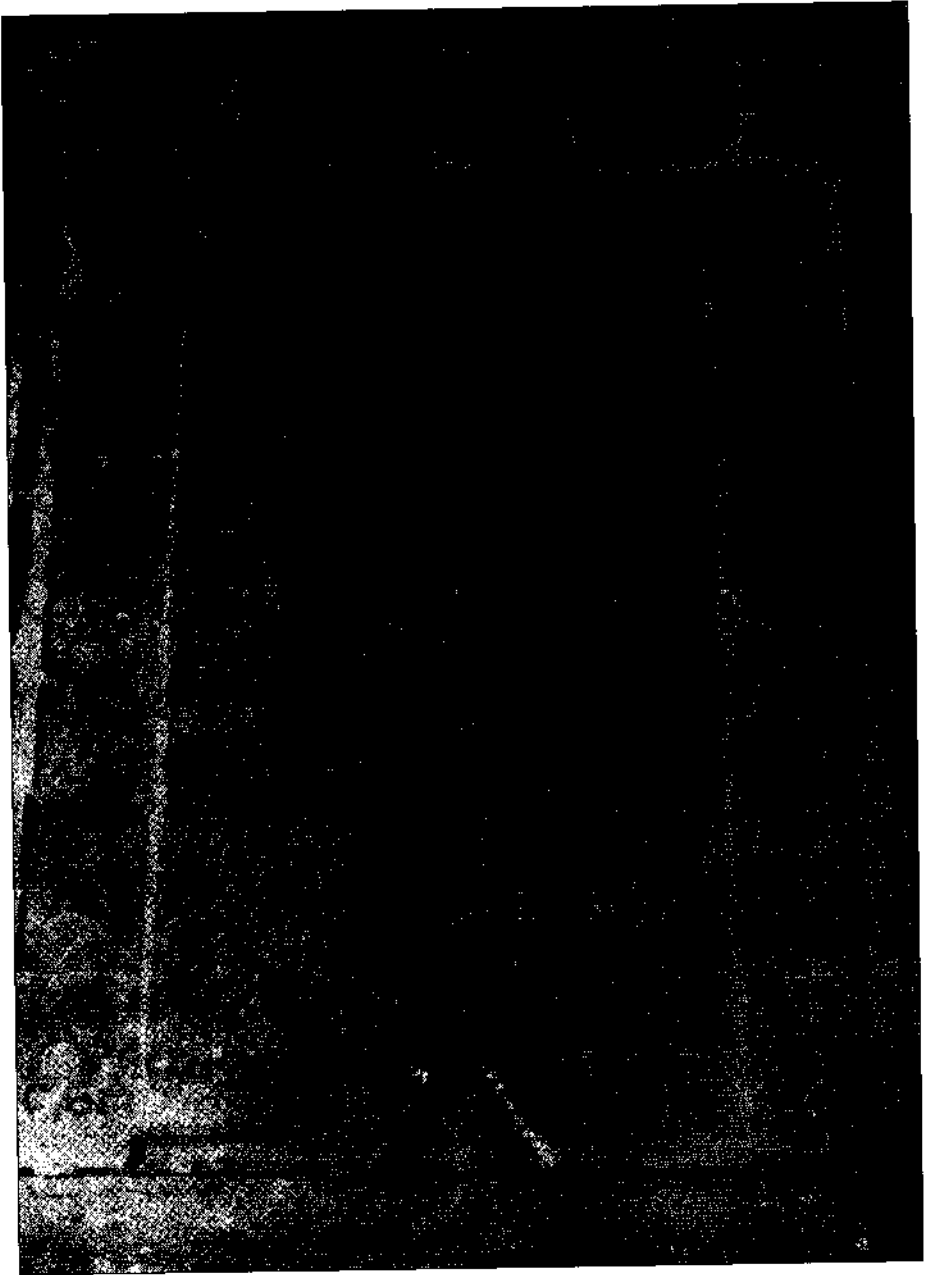
همّت كاظم وجواد قلوب	بومناره قيا منه اقدم
بخت سلطان سليم دين پروّز	أول ملاذ جهان وقطب أنام
مظهر عدل ومظهر إحسان	ماحي كفر وحامي إسلام
قلدي إمداد أمر عالي إيله	ويردي حق بومنارهيه إتمام
فضلي إخلاصه ديدي تاريخ	(اولدي بوجا نفزا مناره تمام)

وكان انتهاء العمل في هذه المنارة في عهد مراد باشا والي بغداد^(١). والظاهر أن الدافع على إتمام بناء هذه المنارة دون غيرها أنها تقع بين المشهد والمسجد وكونها تقابل الزاوية الشرقية الشمالية للبلدة؛ وهي الجهة التي كانت تزدهم بالسكان يومذاك.

وقد نقشت الأبيات السالفة الذكر على صخرة كبيرة موضوعة فوق باب سلّم المنارة المشار إليها في زاوية الإيوان المعروف بـ«طارمة باب المراد»، (يراجع الشكل رقم ١٤).

وفي هذه السنة أو حواليها أحدثت والدّة السلطان سليم بركة للمشهد لغرض الغسل والوضوء.

(١) العراق بين احتلالين: ٣٥/٤ و ١١٢ و ١١٤.



الشكل رقم (١٤): «التاريخ التركي لمنارة السلطان سليم».

العهد الصفوي الثاني

وفي يوم الأحد ٢٣ ربيع الأول سنة ١٠٣٢هـ فتح الشاه عباس الكبير الصفوي بغداد، فعاد لها حكم الصفويين بعد غياب دام ٩٢ عاماً. وبعد استتباب الأوضاع واستقرارها زار الشاه المشهد الكاظمي وأمر بإعادة تشييد ما خربته الحروب والفتن وما سببته من إهمال وتسيب.

وكان من أبرز أعماله أمره بصنع ضريح ضخم من الفولاذ يوضع على الصندوقين الخشب ليقيهما غوائل النهب والسلب أثناء معارك الفوضى أو هجوم العشائر على البلدة^(١).

وبالنظر إلى ما حدث بعد ذلك من تأزم في العلاقات السياسية بين إيران وتركيا فقد تأخر إرسال هذا الضريح حيناً طويلاً من الدهر استمر حتى عام ١١١٥هـ، حيث وصل إلى الكاظمية في شهر جمادى الثانية من تلك السنة وقد كبر يضم لفيفاً من علماء الدين والوزراء والوجهاء الإيرانيين وفي مقدمتهم شيخ الإسلام الشيخ جعفر الكمرئي ومعهم هذا الضريح الفولاذي^(٢)، وأقيم لنصبه على المرقد احتفال عظيم حضره الآلاف من العراقيين والإيرانيين. ويروى أن هذا الضريح كان على

(١) صدى الفؤاد: ١٦.

(٢) الفوائد الرضوية: ٧٥/١، وفيه أن عدد الوفد كان قرابة عشرة آلاف.

جانب كبير من الضخامة والفخامة؛ وأنه كان يشتمل على كتابات كثيرة من جملتها سورة الدهر وآيات أخرى من القرآن المجيد؛ مضافاً إلى بعض الآيات والمقطعات الشعرية.

ومن أعمال الصفويين خلال عهدهم الثاني في العراق ما أمر به الشاه صفي بن عباس الصفوي سنة ١٠٤٥هـ بإجراء بعض الإصلاحات في المشهد؛ كإحكام قواعد المنائر الكبيرة وتصغير المنائر الأربعة الصغيرة الواقعة في زوايا سطح الحرم حذراً من عدم تحمُّل دعائم القبتين لكل هذا العبء الثقيل^(١).



العهد التركي الثاني

وفي ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨هـ انتهى الحكم الصفوي، عندما طلب الجيش الإيراني أماناً من الجيش التركي المهاجم بقيادة السلطان مراد العثماني، وتم فتح بغداد من قبل الجيش العثماني يوم ٢٣ شعبان^(١).

وفي تلك السنة عندما قرّر السلطان مراد العودة إلى الأستانة زار المشاهد والمراقد، وفي ١٢ شهر رمضان زار المشهد الكاظمي.

وتروي لنا المجموعات الخطية: أن الجنود الأتراك ومعهم بعض عشاق الفتن هجموا على الكاظمية - بعد احتلال السلطان مراد - فنهبوا ما شاؤوا، وكان ممّا نُهب قناديل من الذهب والفضة وجميع ما كانت تضمه الروضة مما خفّ حمله وغلا ثمنه.

ثم ينتهي القرن الحادي عشر وليست لدينا أية معلومات أخرى عن المشهد مطلقاً.



ويدخل القرن الثاني عشر وينتهي أيضاً والمصادر غافلة عن المشهد وما يجاوره كلّ الغفلة، وليس لدينا من الأنباء إلا إرسال نادر شاه مع أحد أمراءه هدايا ثمينة للعتبات المقدسة في العراق في سنة ١١٥٣هـ،

(١) العراق بين احتلالين: ٢٢٤/٤.

ولما وصلت هذه الهدايا إلى بغداد كتب الوزير دفترًا بها ثم سلمها إلى ممثل الحكومة الإيرانية ليوزعها على أماكنها المعينة^(١).

كما أن من أنباء المشهد خلال هذا القرن ما رواه عبد الرحمن السويدي من أن الوالي حسن باشا المتوفى سنة ١١٣٥هـ قد جدّد مسقف الإمام موسى الكاظم (ع) حين شاهده مشرفاً على الانهيار من تطاول الزمن وبلى الأخشاب^(٢). ولم يتّضح لنا المقصود من كلمة «مسقف» ولعلّه إيوان مسقف بالخشب.



وفي سنة ١٢٠٧هـ بدأ العمل في المشهد الكاظمي على قدم وساق؛ تنفيذاً لأوامر آقا محمد شاه القاجاري بإكمال ما بدأه الصفويون في هذا المشهد. واشتملت هذه الأعمال على إنشاء المنائر الثلاث الكبرى التي رفع الصفويون سمكها إلى حدّ السطح، وكانت الرابعة مشيّدة منذ عهد السلطان سليم - كما مر - ولكنها بلا سقف من فوق رأس المؤذن، فشيّد لها بهذه المناسبة سقف كسقوف الثلاثة الأخرى الجديدة.

ومن تلك الأعمال أيضاً تأسيس صحن واسع يحفّ بالحرم من جهاته الثلاثة الشرقية والجنوبية والغربية، ويتصل الجامع الكبير بالحرم من جهته الشمالية. وتمّ تخطيط الصحن بمساحته الموجودة اليوم؛ وابتاع سائر الدور الواقعة داخل المخطّط، وشرقت أموال طائلة لإرضاء مالكي تلك الدور، وبقيت دار واحدة في زاوية الجنوب الغربي لم يرض

(١) دوحة الوزراء: ٤٦.

(٢) حديقة الزوراء: ٦٩.

صاحبها ببيعها، فظلت معترضة جدار الصحن من تلك الجهة وناتئة فيه حتى سنة ١٢٤٦هـ عندما داهم الطاعون العراق ومن جملة الكاظمية فأباد أهل هذه الدار بأجمعهم فيمن أباد، فعادت ملكيتها - شرعاً - إلى كبير علماء عصره الشيخ محمد حسن آل ياسين المتوفى سنة ١٣٠٨هـ، فأذن بإلحاقها بالصحن. ويروى أنه كان يدور حول هذا الصحن الجديد سور من الطابوق والجص يبلغ ارتفاعه نحواً من خمسة أمتار، وفيه من جهته الداخلية إيوانات صغيرة.

ولم تنقطع الأعمال العمرانية في المشهد بموت محمد شاه سنة ١٢١١هـ، بل كانت للشاه الجديد فتح علي شاه أعمال أخرى، منها: نقش باطن القبتين - سقف الروضتين - بماء الذهب والميناء وقطع الزجاج الملون، ومنها: تزيين جدران الروضة كلها من حدّ الطابوق الكاشاني الصفوي «الكتيبة» إلى أعلى الجدار المتصل بالسقف بقطع الزجاج الجميل المنبت على الخشب.

وكان من أبرز أعمال هذا الشاه تذهيب القبتين والمنائر الصغار الأربعة، وذلك لما جدّد هذا الشاه تذهيب قبة الحسين (ع) بكريلاء، وبقي الذهب القديم فائضاً عن الحاجة، فقلّ - بموجب فتوى شرعية - إلى الكاظمية، حيث أعيد صقله وطلّبه على الطابوق المعدّ لهذا الغرض؛ وأضيف إليه ما لزمته إضافته، وتمّ هذا التذهيب في سنة ١٢٢٩هـ كما تحكيه أبيات فارسية مثبتة على القبة الكاظمية، ومادة التاريخ: «كُتبت موسى بن جعفر بجهان زرّين شد».

وتوجد طابوقة أخرى عليها شعر فارسي في آخره تاريخ نصه: «بتاريخ تاريخ تعمیر شد»، وهذا يوافق سنة ١٢١١هـ، وهي سنة التذهيب الأول لقبة الحسين (ع) الذي أبدله فتح علي شاه وفاءً لنذر كان التزم به، وقد نُقِلت هذه الطابوقة الذهبية ذات التاريخ مع باقي الطابوق إلى الكاظمية

وَجُلِيَتْ ووضعتْ على القبة من دون التفاتٍ إلى ما تحمله من تاريخ .
ومن الأعمال التي تَمَّت في أواسط القرن الثالث عشر - ولم نعرف
السنة على وجه التحديد - تجديد بناء البركة التي كانت تقع في أواسط
الصحن الشرقي - وكانت والدة السلطان سليم هي المؤسسة لها كما مر
- . وقد تمَّ تجديدها من ثلث أموال الحاج محمد باقر البهبهاني تنفيذاً
لوصيته، وأشرف على التجديد صهر صاحب المال ووصيه الحاج
عبد المطلب البهبهاني .

وفي سنة ١٢٥٥هـ عُشِّي الإيوان الصغير الذي يُشرع صفيه باب الرواق
في (الطارمة) الجنوبية بالذهب، وكان ذلك بنفقة منوچهرخان الملقب
بمعتمد الدولة أحد رجال الحكومة الإيرانية، وقد توفي نحو سنة ١٢٦٠هـ .



وفي سنة ١٢٥٥هـ أيضاً أهدى السلطان محمود الثاني إلى المشهد
الكاظمي «الستر النبوي» وهو من السندس المطرّز، فأسدل على الضريح
في ليلة القدر من شهر رمضان من السنة المذكورة، وأرّخ بجملته «جاؤوا
بأشرف ستر»، وشارك الشعراء بقصائد عامرة في تمجيد هذه المناسبة،
فمنهم عبد الغفار الأخرس الذي يقول:

يا إمام الهدى ويا صفوة اللد	يا ابن بنت الرسول يا ابن عليّ
يا ابن بنت الهدى ويا من هدى هُده العبادا	قد أتينا بثوب جدك تسعى
حيّ هذا النادي وهذا المنادي	فأتيناك راجلين احتراماً
وأتيناك سيدي وقادا	تتهادى به إليك جميعاً
واحتشاماً وهيبةً وانقيادا	راميات سهم النوى عن قسيّ
وبه كانت المطايا تهادى	طالبات «موسى بن جعفر» فيه
قاطعات دكادكاً ووهادا	
وكذا القدوة «الإمام الجوادا»	

أن ترقى بالله سبعا شدادا
 عَطَّرَتْ فِي ورودها بغدادا
 شرف الجَدُّ يورث الأولادا
 قد عرفنا التكوينَ والإيجادا
 ولقد كنتم بها أفرادا
 ما اتخذتم إلا رضا الله زادا
 واكتحلتم من القيام السهادا
 مَهَّدَ الأَرْضَ سَطْوَةَ والبِلادا
 وسطا سَطْوَةَ الأسود جهادا
 بل بهذا من القديم أَرادا
 يتوالى الأرواح والأجسادا
 سُمُّ بعزِّ يصاحب الأبادا
 قد سعدتم بالفخر سبعا شدادا
 رُ رجالٌ لم يبرحوا أمجادا
 مثلما تفضل الظبا الأغمادا
 ولو أن البحار صارت مدادا
 ومعاذا إذا رأينا المعادا
 ما حوى قط صدره الأحقادا
 لنا إلى بابك الرفيع القيادا
 نرتجي الوعدَ نختشي الإيعادا
 جِ يرجي بفضلك الأمدادا
 هو طوراً مثني وطوراً فرادى
 زودونا من رفدكم إرفادا
 ببياض الغفران هذا السوادا

من نبيِّ قد شَرَّفَ العرشَ لَمَّا
 شرف في ثياب قبر نبيِّ
 ومزايا الفخار أورثتموها
 أنتمُ علَّةُ الوجود وفيكم
 ما ركنتم إلى نفائس دنياً
 وانقلبتم منها وأنتم أناسُ
 ولقد قمتمُ الليالي قياماً
 إن يكونوا كما أذاعوا فَمَنْ ذا
 ومحا الشرك بالمواضي غزاةً
 حيث إن الإله يرضى بهذا
 فجزيتم عن أجركم بنعيم
 وابتغيتم رضا الإله ولا زل
 أنتمُ يا بني الرسول أناسُ
 آل بيت النبيِّ والسادة الطه
 فضلوا بالفضائل الخلق طراً
 ليس يُحصى عليهم المدح متي
 أنتم الذخر يوم حشرٍ ونشرٍ
 كاظم الغيظ سالم الصدر عافٍ
 قد وقفنا لدى علاك وألقَيْ
 مَعَ أَنَّ الذنوب قد أوْتَقْنَا
 وَمَدَدْنَا إِلَيْكَ أَيْدِيَّ مَحْتَا
 وبكىنا من الخشوع بدمعٍ
 قد وَقَدْنَا آل النبيِّ عليكم
 بسواد الذنوب جئنا لنمحو

وأَغَضُّنَا الأعداءَ والإلحادا
ومقامٌ يُسِيرُ فِيهِ الفؤادا
وَأَنْلُنَا الإسعافَ والإسعادا
كي ينال المنى بكم والمرادا
منهلاً ما استُزِيدُ إلاً وزادا
ق سلامٌ يبقى ويأبى النفاذا^(١)

وطلبنا عفو المهيمن عَنَا
موطنٌ تنزل الملائك فيه
أيها الطاهر الزكي أغثنا
و«علي» أتاك يا ابن علي
مستزيداً من فضلكم حيث كنتم
فعليك السلام يا خيرة الخلد

ومنهم عبد الباقي العمري الفاروقي الذي يقول:

منها يلوح لنا الطرازُ الأوَّلُ
ديباجةُ الشرف الذي لا يُجْهَلُ
مجداً له انحطَّ السماك الأعزلُ
في لحدِّه المدنُّرُ المُزْمَلُ
يوماً على تلك الحظيرة يُسْبَلُ
ما المسك ما نفحاته ما الصندلُ
إذ جاءه بشذا القميص الشمالُ
آثارُ جدُّكم إليكم تُنْقَلُ
ومماته أستاره لك تشملُ
عن بابها قد ضلَّ مَنْ لا يدخلُ
يُعْطَى الذي يرجو غداً ويؤمِّلُ
إنجيلُ بل هذا القرآنُ المنزلُ
وافى على أيدي الملائك يُحْمَلُ
عن أعينٍ بالغي كانت تكحلُ
وزرُّ به رضوى ينوء ويذبلُ

وَأَفْتَكُ يَا موسى بن جعفر تحفةُ
رُقِمَتْ على العنوان من ديباجها
كم جاوَرَتْ قبراً لجدِّك فاكتست
وتقدَّستْ إذ جَلَلْتَ جَدَثاً ثوى
فاشفاق ستر العرش لو بمحلها
نُشِرَتْ ففاح من النبوة نشرها
أعطيت ما لم يُحْطَ يعقوبُ به
طوبى لكم من وارثين فقد غدث
شَمَلْتَكُمْ معه العبا بحياته
هذا رواق مدينة العلم التي
هذا كتاب مَنْ غدا بيمينه
هذا الزبور وذلك التوراة وال
هذا هو التابوت فيه سكينه
هذا هو الستر الذي كشف الغطا
هذا الإزار يُحَطُّ عن زواره

لَمَّا بِهِ سَارُوا وَأَعْلَامٌ لَهُمْ
 بَاهَى إِلَهُ بِهِم مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ
 مِنْ تَحْتِ أَحْمَصِ زَائِرِيهِ كَمْ لَهَا
 وَأَتُوا لِبَابِكَ يَحْمِلُونَ وَسِيلَةً
 نَزَلُوا عَلَى الْجُرْعَاءِ مِنْ وَادِي طَوًى
 وَتَقَدَّسُوا بِحَظِيرَةِ الْقُدْسِ الَّتِي
 شَامُوا السَّنَا مِنْ قَبْتَيْكَ وَعِنْدَهُ
 فَتَهَافْتُوا مِثْلَ الْفَرَاشِ وَأَحْدَقُوا
 قَدْ سَبَّحُوا لِمَا أَتَوْكَ وَكَبَّرُوا
 وَتَزَاحَمُوا وَتَرَاحَمُوا وَتَوَسَّلُوا
 جَاؤُوكَ فِي آثَارِ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ
 فَاقْبَلْ هَدِيَّةَ أُمَّةِ الْهَادِي الَّتِي
 بِضَجِيعِ حَضْرَتِكَ الْجَوَادِ مُحَمَّدٍ
 يَا كَعْبَةَ الْإِسْلَامِ حَوْلَ ضَرْيَحِكُمْ
 وَحَيَاتِكُمْ مَنْ كُنْتُمْ سُؤلاً لَهُ
 فَتَرَحَّمُوا يَا آلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى
 صَلَّى إِلَهُ عَلَيْكُمْ مَا رَنَحْتُ

خَفَقَتْ بِأَثْوَابِ الْجَلَالَةِ تَرْفُلُ
 فَبَدَتْ عَلَى الرَّؤُورِ ضَحَى تَنْزَلُ
 مِنْ أَجْنِحِ نُشْرَتِ وَطْئِهَا الْأَرْجُلُ
 الْمُرْسَلُونَ بِهَا غَدَاً تَتَوَسَّلُ
 وَتَفَرَّسُوا بِقَبُولِهِمْ فَتَرَجَّلُوا
 رَجُلٌ ابْنِ عِمْرَانَ بِهَا لَا تَنْعَلُ
 وَجَدُوا مَنَارَ هَدًى يَشْبُ وَيَشْعَلُ
 فَغَشَاهُمِ النُّورَ الْقَدِيمَ الْأَوَّلُ
 إِذْ شَاهَدُوا مِنْكَ الضَّرِيحَ وَهَلَّلُوا
 وَتَوَقَّعُوا وَتَخَضَّعُوا وَتَذَلَّلُوا
 قَدْ تَوَجَّعُوا فِيهَا الرَّؤُوسَ وَكَلَّلُوا
 مِنْكَ الْإِغَاثَةَ فِي الشَّدَائِدِ تَسْأَلُ
 وَحَفِيدَهَا هَذَا الْإِمَامَ الْأَفْضَلُ
 تَسْعَى وَنَحْفِدُ بِلِ نَطُوفٍ وَنَرْمَلُ
 بِمَمَاتِهِ فِي قَبْرِهِ لَا يُسْأَلُ
 وَتَكَرَّمُوا وَتَفَضَّلُوا وَتَقَبَّلُوا
 رِيحُ الصَّبَا غَصْنًا وَهَبَّتْ شَمَالُ^(١)

ثم نظم عبد الباقي العمري قصيدة أخرى يمدح بها الإمامين (ع) ويصف ما شاهده في مشهدهما «من محاسن المعلقات والقناديل الزاهيات ونفائس السراديات»؛ قال فيها:

حَضْرَةُ الْكَاطِمَيْنِ مِنْهَا الْمَرَايَا
 صَبَغَتْهَا يَدُ التَّجَلِّيِّ بِكَفِّ
 قَدْ حَكَتْ قَلْبَ صَبِّ أَهْلِ الطُّفُوفِ
 كَبُرَتْ عَنْ تَشْبِيهِهَا بِالْكَفُوفِ

ورَوَتْ عن غدير خَمِّ صفاءَ
من قناديل عسجدٍ زَيْنُوها
رسمُ تعليقها الأنيق تبدى
روضة للصدور فيها وروءُ
كلما زرتها أقولُ لعيني: هذه كعبة الجلال فطوفي^(١)

وفي سنة ١٢٦٩هـ كان من جملة محتويات المشهد ثرياً من البلور معلقةً بسلسلة جميلة تظللها سرادقات من الدياج، وقد وصفها عبد الباقي العمري بقوله:

مقامُ الكاظمين سماءٍ مجدٍ
مسرودةٌ بديباج الجلال
أمام الفرقدين بها الثرياً
معلقةٌ بعرين الهلال^(٢)

وفي سنة ١٢٦٩هـ أيضاً فتح بابٌ جديد في المشهد، ولا نعلم موضعه على وجه التحديد، فقد ورد على ظهر كتاب مخطوط بمكتبة الخلائي ببغداد بيتان بهذا الشأن لعبد الحميد الكاظمي؛ هما:

فيا زائراً بالقصد موسى بن جعفر
ويا سالكاً بالسير خير المناهج
ألا فاطلب الحاجات يُمنأ مؤرخاً
(فقد فُتِحَتْ باليمن بابُ الحوائج)

وفي سنة ١٢٦٩هـ أيضاً شيد الفريق سليم باشا بنيةً كانت قد خربت في وسط الصحن من زاويته الجنوبية الشرقية عرفت باسم «وُلْد الكاظم»، وأرخ هذا العمل عبد الباقي العمري بقصيدة في آخرها تاريخ، تثبت نصّها:

«فريق» جُند النصر سمح اليدين
أعني «سليم» القلب من كل زَيْن
أثاره أنوارها قد بدت
باهرةً تزهر بالقبتين

(١) ديوان العمري: ١١٦ - ١١٧.

(٢) ديوان العمري: ١٣٥، وراجع ص ١٣٧ منه.

فأشرفتُ في حضرة النيّرين
 سلالة السبط الإمام الحسين
 أشرف مَنْ صَلَّى إلى القبلتين
 بل إنَّ ما شاهده فرضُ عَيْن
 ببذله التبرَ ونقدَ اللجين
 من ربِّه القربةَ من غير مَيْن
 جزى به مستوجبَ الحُسْنَيْنِ
 (شاد سليمٌ مرقدَ الفرقدين)^(١)

١٢٦٤ = ١٢٦٩ هـ

إذ شاد ما كان بها دائراً
 شبليّ جناب الكاظم المرتجى
 عترة طه المصطفى أحمد
 لمّا رأى تعميرها واجباً
 بنى - بطوع - لهما مرقداً
 فأخلص النيةَ يرجو بها
 جزاه ربي عنهما خيرَ ما
 بعون أصحاب العبا أرخوا

+ ٥

كما نظم الشيخ جابر الكاظمي قصيدة بهذه المناسبة قال فيها :

وقد وهى إذ هُدَّ معموره
 مُثابُ فعل الخير مأجوره
 من فَرَقٍ فُرِّقَ جمهوره
 أنام والأيامُ مأموره
 أصمَّ أسمع الردى صورهُ
 مدى المدى لم يُمخَّ مسطوره
 فالدهرُ بالإحسان مغموره
 ودَمَّر الأعداءَ تدبيرهُ
 سما على هام السما سورهُ
 أرخَّتهُ (قد تمَّ تعميره)^(٢)

١٢٦٩ هـ

مُذْ هدمت أيدي البلى وكنه
 أشار في تعميره ماجد
 «فريق» جيش منه جيشُ العدى
 أميرُ جيشِ المَلِكِ المالكِ الـ
 سلطاننا «عبد المجيد» الذي
 سلطان عدلٍ حكمهُ نافذ
 قد غمر الدهرَ ندى كفه
 وعمَّر الأرجاءَ في عذله
 عمَّره بعد خرابٍ وقد
 مذ تمَّ تعميراً وقام البنا
 (يراجع الشكل رقم - ١٥ -)

(١) ديوان العمري: ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٢٧.



الشكل رقم (١٥): «صورة بنية أولاد الكاظم (ع)».

وأهدى السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود العثماني
مشكاتين للمشهد الكاظمي خلال فترة حكمه ١٢٥٥ - ١٢٧٧هـ، فنظم
الشيخ جابر الكاظمي قصيدة بهذه المناسبة، وخمّسها الشاعر الملاً داوود
الطوسي، ومما قاله الكاظمي في قصيدته:

لِيَيْلَاتُ وَصَلِيٍّ عَمَّ نَشْرًا عْبِيرُهَا
وساعاتُ لهوٍ تَمَّ بِشْرًا سُرورُهَا
أعاد لنا عهدَ التصابي نعيمُها
ورَدَّ لنا شرخَ الشباب حبورُها
ينمُّ سناها بالصباح كأنما
دجى الليل سرُّ كتمَّتهُ بدورها
كأنَّ قد تراءت نار موسى فأشرقَتْ
بها الأرض طرّاً حيث شبَّ سعيها
صباح الهدى المبسوط موسى بن جعفرٍ
وشمس الندى المنشور في الكون نورها
أجار المعالي تحت ظلِّ قبائِه
فطال سموّاً كلَّ طولٍ قصيرها
به اظَّادَتْ أركانُه وبسبِطِه
وقامت مبانيه وشيدتْ قصورها
محمد الطهر الجواد الذي له
أيادٍ على جيد النوال خطيرها
فهم مبدأ الفيض القديم وختمُه
وأول وراث العلى وأخيرها
بهم لبس الدين المهابة وارتدى
سنا شمس عزٍّ لا يغيبُ سفورها

كما لبست مستطرف العزُّ أُمَّةً
 مجيرُ العلى «عبد المجيد» مجيرها
 بسلطنة عمّت بأنعمها الثرى
 ودار على السبع الأقاليم سورها
 رأى بِرَّ آل الله في الله قُربةً
 وبالودِّ في القربى حريُّ جديرها
 فأرسل مشكاتين للخلد زينةً
 وستراً لحوور العين منه خدورها
 وأهدى مصابيحاً أضاءت وإنما
 أشار إليها في الكتاب مشيرها
 إلى حضرة نور الإله سراجها
 وأستار عرش الله قدماً ستورها^(١)



وفي عام ١٢٧٠هـ أرسل ناصر الدين شاه القاجاري ملك إيران أحد علماء عصره المعروفين وهو الشيخ عبد الحسين الطهراني المشتهر بلقبه «شيخ العراقيين» إلى العراق للإشراف على تنفيذ مخطط عمراني واسع للعبات المقدسة من تجديد وإصلاح وتجميل، وخوّلته التخويل الكامل في الصرف والتصرف.

وبدأت الأعمال العمرانية في المشهد الكاظمي سنة ١٢٨١هـ بعد انتهاء أعمال العمران في كربلاء وسامراء. وكان من جملة ما حصل عليه المشهد إحكام أسس جدران من قعرها المتصل بالماء إلى الأعلى، وتجديد الواجهة الخارجية من جدران الحرم، وتغشية الجدران بالطابوق

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٢٦؛ ويراجع: ٣٥١ - ٣٥٣ منه.

الكاشاني، وتأسيس دكتين كبيرتين أمام الحرم متصلتين به من جهتيه الجنوبية والشرقية وتبليطهما بالمرمر، وبناء مداخل في أطراف هاتين الدكتين لإيداع الزائرين أحذيتهم وأماناتهم فيها.

ثم تمّ اختيار الدكة الشرقية لرفع سقفٍ عليها يقوم على ٢٢ عموداً خشبياً، وأطلق على المجموع اسم «طارمة باب المراد».

ثمّ دُهب الإيوان الكبير الواقع في وسط «الطارمة» الشرقية بما زاد من الذهب الذي دُهبّت به قبة العسكريين (ع) في سامراء^(١).

وانتهى العمل في كل ذلك سنة ١٢٨٥هـ.

وقد نظم الشيخ جابر الكاظمي قصيدة بمناسبة بدء تنفيذ هذه الأعمال قال فيها:

أضحّت بساحتها الأملاك قائمة	تدعو لمبتهلٍ لله بكاءٍ
وكم من الملاء العالمين من فرقي	تؤمّها كلّ إصباحٍ وإمساءٍ
بها أصاب الأمانى كلّ ذي أملٍ	منّا وعنّا أزالت كلّ غمّاءٍ
وجاوزت قببَ الأفلاك في قممٍ	قبابهم حين جازت شأو جوزاءٍ



ويقول في ختامها مؤرخاً عام الشروع في العمل:

قال للمنينين رشداً من مؤرّخه (نادوا المهيمن هذا طور سيناء)^(٢)

١٢٨١هـ

وفي أثناء هذه الفترة نُصِب أول بابٍ فضي في المشهد؛ وهو

(١) رحلة ناصر الدين شاه:

(٢) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٨ - ٣١.

الباب الواقع بين الروضة والرواق الجنوبي، وكان ذلك سنة ١٢٨٠هـ، وقد تبرّع به الأمير أبو المظفر الملقّب بالعماد.

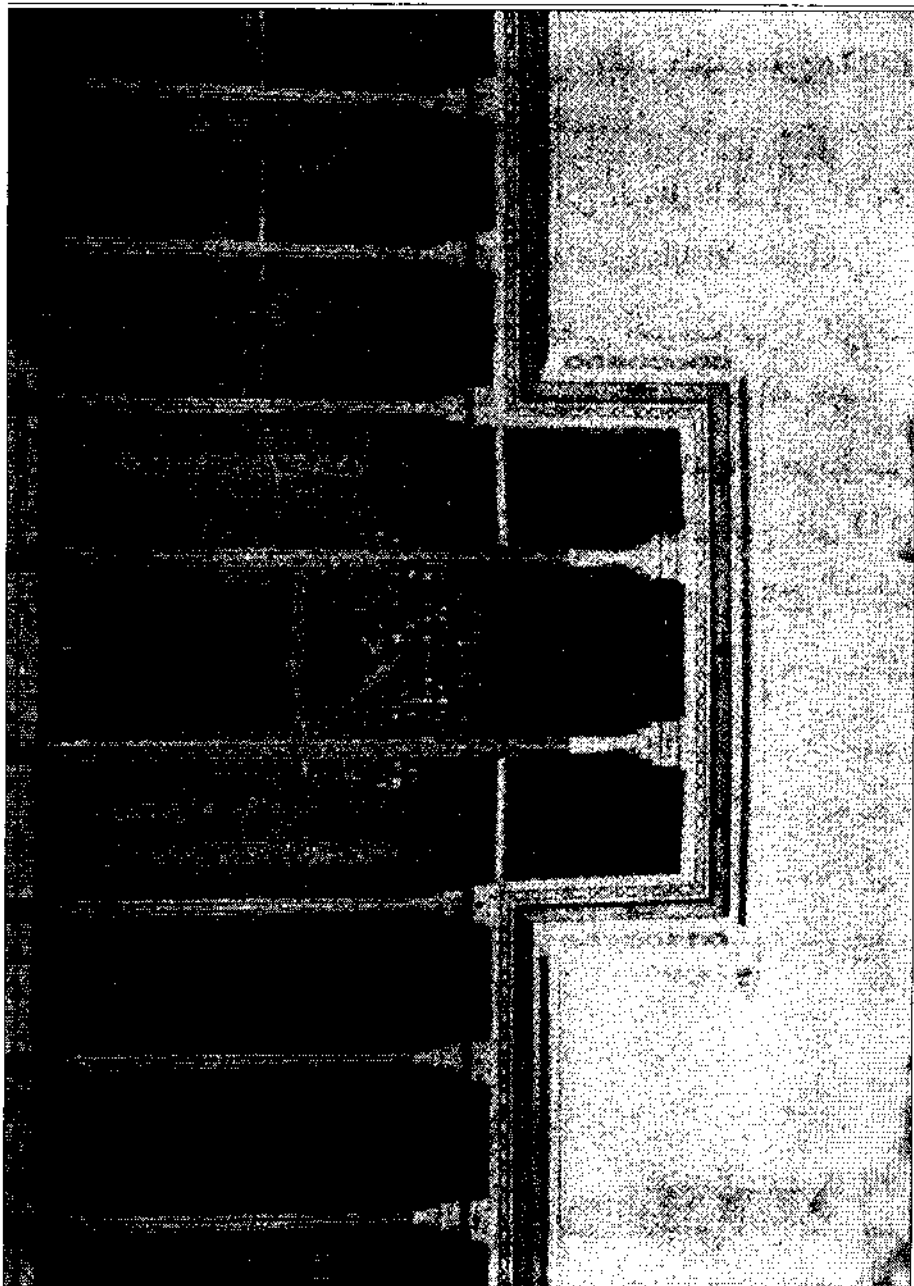
ثم نُصِب الباب الفضي الثاني الواقع بين الرواق الجنوبي والإيوان القبلي سنة ١٢٨٤هـ وقد تبرّع به الحاج السيد ميرزا بابا الاصطهباناتي.

ونُصِب في نفس العام السابق باب فضي آخر يقع بين الروضة الكاظمية والرواق الشرقي، وقد تبرّع به محسن خان بن عبد الله خان.

وفي سنة ١٢٨٤هـ بدأ العمل في تشييد سقف للدكّة الجنوبية على نفقة الحاج حسين الجرجفجي البغدادي^(١)، وقد قام السقف على (١٤) عموداً من الخشب، وتم العمل فيه سنة ١٢٨٥هـ (يراجع الشكل رقم ١٦).



(١) هو الحاج حسين بن الحاج حسن البغدادي الملقّب بالجرجفجي، من تجار عصره المشاهير، وكان ينوي القيام بتشبيد الصحن الكاظمي من ماله الخاص ولكن الأجل لم يمهلّه، وكان عقيماً لم يعقب. سافر إلى سوريا سنة ١٢٣٨هـ وسكنها (١٤) عاماً فراراً من مظالم والي بغداد داوود باشا وضرائه المجحفة على التجار. توفي سنة ١٢٨٥هـ أو ٨٧ عن عمر تجاوز المائة، ودفن في المشهد الكاظمي في الإيوان الذي شيده (طارمة باب القبلة) على يمين الداخل إلى الرواق القبلي.



الشكل رقم (١٦): «صورة طارمة القبلة».

ويقال إن مجموع نفقة العمل بلغ مائتي ألف بيشلك تركي.

وأرخ الشيخ جابر الكاظمي بدء العمل بقصيدة جاء فيها:

طورُ موسى هذا وفيه تجلَّى
لم يزل للملا محطَّ رجاءٍ
قد تسامى بالنيرين مقاماً
وبفضلٍ من الحسين «حسين»
موئل المآثرات خدن معالٍ
ويقول في ختامها مؤرخاً:

قلْ وبالواحد المهيمن أرخ
+ ١
(قد أرانا الحسينُ خلدأ عيانا)^(١)
١٢٨٣ = ١٢٨٤ هـ

كما أرخ انتهاء العمل بهذه المقطعة:

هذا بناء قد سماها سما
وطال أعلاها علاه عظما
بنييرين من سنا نورهما
قد أشرق الدهرُ وكان مظلما
هما الجوادان اللذان قد بدا
لدى الوجود كلُّ جودٍ منهما
من الألى بهم برى الله الملا
والأرض قامت واستقامت بهما
ومنهم الدهر أضاء نوره
وابتداً الفضل بهم واختتما

(١) ديوان الشيخ جابر: ٣١٩ - ٣٢٠.

قومٌ على جودهم الوجودُ قد
عاش وقام فيهم وقوموا
شاد «علي»^(١) سُمكهُ إذ بذل الـ
حسين مالاً عند ذي العرش نما
وسعى ذا «المهدي»^(٢) و«الهادي»^(٣) مع «الـ
عبّاس» و«الصالح»^(٤) طال مغنما
ومذسما والشجو ذاب قلبه
أرخته (عرشٌ به العرش سمي)^(٥)

١٢٨٥هـ



وفي سنة ١٢٨٤هـ زخرفت «طارمة باب المراد» بالزجاج . وقد أرخ
الشيخ جابر الكاظمي ذلك في مقطعتين، يقول في أولاهما:
إيوان صفا مرآة حتى على الأفلاك فضّل بالضياء

- (١) علي: هو المعمار المشرف على البناء .
(٢) هو الحاج مهدي الاستربادي المولود سنة ١٢١٩هـ والمتوفى سنة ١٣٠٨هـ . كان
من وجوه التجار الأخيار المعروفين بالصلاح والاستقامة، وكان يسكن الكاظمية .
ولاشتهاره بالصلاح ولأه الأمير فرهاد ميرزا القاجاري الإشراف على تعمير
الصحن الكاظمي - كما سيأتي - بمشاركة أخيه الحاج عبد الهادي .
(٣) هو الحاج عبد الهادي الاستربادي المولود سنة ١٢٢١هـ والمتوفى في شهر رجب
سنة ١٣١٦هـ، وكان تاجراً معروفاً بالورع والتقوى كأخيه السالف الذكر . ساهم
في كثير من المشاريع الخيرية، وشارك أخاه في الإشراف على عمارة الصحن
الآتية الذكر وبذل في سبيل ذلك من الجهد والتعب ما لا يخطر ببال، وكان
يسكن الكاظمية، وما زالت داره عامرة معروفة حتى اليوم .
(٤) العباس والصالح معماران مباشران للعمل .
(٥) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٣٠٦ . ومجموع التاريخ ١٢٨٨ وينقص منه ثلاثة
بأسقاط الجيم التي هي قلب الشجو أي وسطه . وسما بالألف المقصورة خطأ،
ولكننا لا نستطيع تصحيحها لأن التاريخ يعتمد عليها .

وفي مرآته التكوينُ طُوراً
فزخرفه وزَيَّنَه كرامُ
«محمدُ الحسينُ» أخو المزايا
وفيه سعى أخو كرمِ همأمُ
إلى أن يقول:

ترأى للعيون بلا غطاءٍ
سموا بعلائهم قِمَمَ العلاءِ
سليلُ الأكرمين ذوي الإباءِ
حوى شرف التكرُّم والوفاءِ

لموسى والجواد السبط سبطي
هما نجما الهدى بحرا الأيادي
صفا كضمير مشرعه فأضحى
وأقصى الوجد زال فأرخوه

رسول الله خير الأنبياءِ
هما بدرا العلى شمسا السناءِ
يضاهي الشمس نوراً بالضياءِ
(أراه شبه مرآة السماء)^(١)

$$١٢٨٨ - ٤ = ١٢٨٤$$

ويقول في الثانية:

طال ذا الإيوان كيواناً كما
وتعالى في المعالي رفعةً
زَيَّنَتْهُ بنتُ سلطانٍ به
من كرام بهم المجدُ سما
قام في إتمامه الندبُ «محمد» الـ
حسبه فضلاً ومجداً طال بل
ويقول في ختامها:

من جنان الخلد فاق العُرفا
بابني الطهر النبي المصطفى
حازت الهندُ نعيماً وصفا
واغتنى الدهرُ بهم بعد العفا
زاکي «الحسين» ذو الوفا
حسبه ربُّ البرايا وكفى

(شابهة العرش صفاء بالصفاء)^(٢)

$$١٢٨٥ - ١ = ١٢٨٤ هـ$$

وانتفى أقصى العنا إذ أرخوا

(١) ديوان الشيخ جابر: ٣٥، وقد اعتبر تاء (مرآة) ٤٠٠، وذلك خلاف المصطلح عليه بين أرباب هذا الفن.

(٢) ديوان الشيخ جابر: ٢٨٣.

وفي سنة ١٢٨٤هـ أيضاً فتح باب جديد للمشهد مغلف بصفائح الفضة، ولم نعرف موقعه على التحديد، ولكنه أحد البابين الذين مرت الإشارة إليهما، وللشيخ جابر الكاظمي ثلاث قصائد بهذه المناسبة يقول في أولها:

باب لبابني إله العرش قد فُتِحَا لروضة من رياض الخلد حلَّ بها لعرش فضلٍ به شمساً علَى بهما باب لبابني علومٍ منهما عُلِمَتْ من فضةٍ صيغٍ ودَّتْ أن تذهَّبَهُ بفتحه فتحوأ باب الرشاد إلى أتوا به يحمل الإيمانُ جانبه بأجر مُهديه وسع الكون ضاق كما لله من باب فضلٍ في ميامينه بمنتهى الرشد نادياً مؤرخه	وفيه نهجُ الهدى والحق قد وضحا بحرانٍ كلُّ على الأكوان قد طفحا زال الدجى وتجلَّى الرشد واتضحا معالمٌ للندى منها الهدى نفحا شمسُ النهار فيحمي تبرها المنحا جنانٍ تُخلدُ بها الإسلام قد مُنحا والمؤمنون وأملاك السماء ضُحى من دهرنا ضاق ما قد كان منفسحا فضلُ المهيمن عنَّا قط ما برحا (باب لبابني إله العرش قد فتحا) ^(١)
+ ٤	١٢٨٠ = ١٢٨٤

ويقول في الثانية:

لقد فتح الإقبالُ باباً إلى الهدى
به قد هدى الله المفضلَّ وأرشدنا
لحاضرةٍ قدسٍ شرف الله تربَّها
فعاد ثراها للملائك معبدا
ملائكة الرحمن إذ وُكِّلوا بها
لزوارها قالوا - ادخلوا الباب سُجَّدا

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ١٤٦ - ١٤٧.

حَوَتْ فَلَكِّي مَجْدٍ وَقَطَبِي مَائِرٍ
 وَبَحْرِي نَدَى بَحْرِ النَدَى مِنْهُمَا اجْتَدَى
 سَمَائِي عَلَيَّ شَمْسِي ضَحَى قَمْرِي دَجِي
 يَدِي قَدْرٍ سَيْفِي قَضَا سَاعِدِي رَدَى
 إِمَامِينَ مِنْ فَخْرِيهِمَا كُلُّ مَفْخِرٍ
 تَوَلَّدَ مَا بَيْنَ الْوَرَى إِذْ تَوَلَّدَا
 جَوَادِينَ قَدِ عَمَّ الْوَجُودَ نَسَاهُمَا
 فَأَضْحَى بِهِ جِيدُ الزَّمَانِ مَقْلَدَا
 بَنَى بَابَهَا بَابُ الْمَعَالِي وَلَمْ يَزَلْ
 لِبَابِ الْمَعَالِي فَاتِحاً وَمَشِيدَا
 سَعَتْ فَأَقَامَتْهُ مَسَاعٍ حَمِيدَةٌ
 لَقَدْ شَكَرَ الرَّبُّ الْجَلِيلُ لَهَا يَدَا . . . إلخ^(١)



ويقول في الثالثة:

بَابُ لِبَابِي إِلَهَ الْعَرْشِ قَدْ شُرِعَا
 بِهِ لِنَهْجِ الْهَدَى أَضْحَى الْمَلَا شُرِعَا
 بَابُ سَمَا مَجْدُهُ مَجْدَ السَّمَاءِ وَمَنْ
 جَدَوَى جَوَادِيهِ يَنْبُوعُ الْغَنَى نَبْعَا
 بَابُ إِلَى جَنَّةٍ يَهْدِي الْمَلَا وَإِلَى
 رَوْضٍ بِهِ الطَّهْرُ مُوسَى وَالْجَوَادُ مَعَا
 مِنْ فِضَّةٍ طَبِعَتْ مِنْ صَفْوِ كُلِّ صَفَا
 عَنِ الْقُلُوبِ صَفَاةً أَذْهَبَ الطَّبْعَا

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ١٧٨ - ١٧٩.

أقام فيه الإمامان اللذان سنا

نورَيْهما في الجهات الست قد سطعا^(١)



وفي ١٤ شعبان سنة ١٢٨٧هـ زار الكاظمية السلطان ناصر الدين شاه ملك إيران، واستقبل من قبل الرأي العام استقبالاً حافلاً، واجتمع في الحرم بفقهاء عصره الذين ذكر السلطان أسماءهم في رحلته المطبوعة، وعدّ في طليعتهم جدنا الشيخ محمد حسن آل ياسين المتوفى سنة ١٣٠٨هـ.

وفي سنة ١٢٩٤هـ نُصِب الباب الفضي الرابع، وهو الباب الواقع بين الرواق والطارمة الشرقية، وقد تبرّع بفضته الأمير فرهاد ميرزا القاجاري.

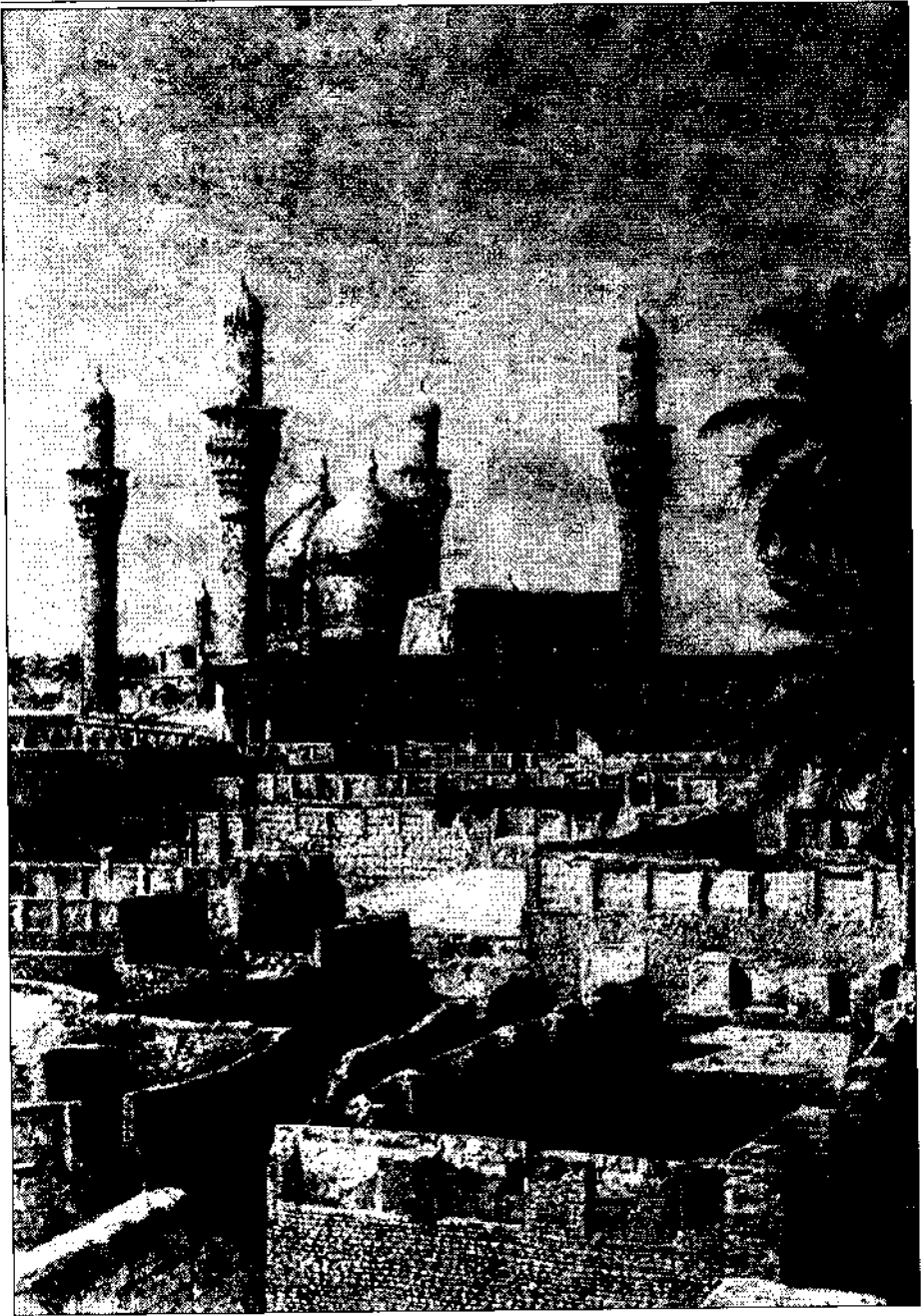
وفي سنة ١٢٩٦هـ تطوَّع الأمير حسام السلطنة بن عباس ميرزا - أخو فرهاد ميرزا - بإنفاق ما يلزم لتجديد ما سقط من الطابوق الذهبي من القبتين والمنائر. وإلى ذلك أشار الشيخ جابر الكاظمي بقصيدته التي نظمها بمناسبة تجديد عمارة الصحن:

شاد «فرهاد» سورها و«حسام» الـ وجود منها قد جدّد الآثارا
ذاك قد سور الجنان وهذا قد طلى القبتين فيها نضارا^(٢)
وكانت مدام ديولا فوا قد شاهدت القيب قبل إصلاحها ووصفتها
بقولها: «وإن أقساماً من القيب المذهبة تبدو متهدمة تشوه منظرها
الجذاب»^(٣). ثم أردفت ذلك بصورة كان المهندس الأفرنسي المسيو
موكيل قد التقطها، (يراجع الشكل رقم ١٧).

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٥٣.

(٢) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٢٣. وقد نسب هذا التذهيب في تاريخ الإمامين
٧٨ للأمير فرهاد ميرزا، وهو التباس.

(٣) رحلة مدام ديولافوا - طبعة البصري -: ٩٧.



الشكل رقم (١٧): «المشهد الكاظمي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري».

ويشرف القرن الثالث عشر الهجري على الانتهاء وقد انتهت سائر الإصلاحات المطلوبة في المشهد بروضته وأروقته وإيوانيه «طارمته»، وأصبح آية في الفن والجمال والإبداع والإحكام، فلا غرو إذا ما اتجهت الأنظار إلى ضرورة تجديد بناء الصحن، لأنه بشكله ذاك لم يكن يتناسب مع فخامة الحرم، خصوصاً وأنه كان مترباً بلا تبليط ولا رصف، وأن سوره من الطابوق العادي، وأن القبور فيه متطامنة يتعثر فيها الماشي، وبركة الماء في وسطه من الجهة الشرقية تغمر الأرض حواليتها بالطين والوحل، وليس فيه موضع يستفاد منه للصلاة سوى دكة كبيرة في شمالي الجهة الشرقية تقام فيها صلاة الجماعة.

وتطوَّع الأمير فرهاد ميرزا القاجاري^(١) - عم ملك إيران ناصر الدين شاه - للاتفاق على هذا المشروع الضخم الكبير، ووكل اثنين من تجار الكاظمية الأخيار هما الحاج عبد الهادي والحاج مهدي الإسترآباديان الماراً الذكر للقيام بهذه المهمة، وأذن لهما في التصرف المطلق.

وقد اشتمل التعمير على ما يأتي:

(١) هو فرهاد ميرزا بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري: الحاكم الإيراني الكبير. صاحب المؤلفات القيمة وقد طبع بعضها. ولي حكومة إقليم فارس مرتين، وفي سنة ١٢٨٩هـ فوض إليه ابن أخيه ناصر الدين شاه نيابة الملك عندما صمم على التجوال خارج إيران. وفي سنة ١٢٩٤هـ ولي حكومة كردستان الإيرانية. توفي سنة ١٣٠٥هـ في طهران ونقلت جنازته إلى الكاظمية سنة ١٣٠٦هـ، وكان قد أوصى أن تطرح جنازته على جسر بغداد بعضاً من نهار ثم يحملها أربعة من الحمالين إلى مقابر قريش مواساة للإمام موسى بن جعفر (ع)، ولكن الفقيه الشيخ محمد حسن آل ياسين لم يأذن بتنفيذ هذه الوصية لما تستلزمه من إثارة الحزازات بين طوائف المسلمين، وأمر بأن يُزار بنعشه مشهد العسكريين بسامراء ثم يحمل منها إلى الكاظمية فلا تمر جنازته ببغداد ولا يبقى مورد لوصيته. ودُفن في الغرفة الواقعة على يمين الداخل إلى الصحن الشريف الشرقي من جهة باب المراد.

أ - بناء سراديب منظمة لدفن الموتى في ساحة الصحن وإيواناته وحجراته .

ب - تذهيب المنائر الأربعة الكبرى من حدّ وقوف المؤذن إلى قمتها .

ج - تشييد سور مرتفع للصحن يتكون من طابقين : يشتمل الأرضي منهما على غرف وإيوانات صغيرة مبلطة بالمرمر ومزينة جدرانها بالطابوق الكاشاني المنقوش، وفي أعلى هذا الطابق كتبية قرآنية رائعة تدور حول الصحن كله . أما الطابق الثاني فهو عبارة عن سطوح الطابق الأول وسياج يرتفع عالياً من الجهة المباشرة لخارج الصحن وغرف متفرقة غير متصلة يعتمد عليها سياج هذا الطابق، وفي أعلى ذلك السياج كتبية قرآنية تدور حول الصحن كله . وفي آخر كتبية الشمال الغربي لصحن المراد - الصحن الشرقي - ما نصه : «كتبه تراب أقدام الزائرين نصر الله المشهدي خادم الروضة الرضوية سنة ١٢٩٨» .

د - تأسيس قاعدتين ضخمتين في سطح الطابق الثاني من الصحن فوق البابين الرئيسيين في جانبي الشرق والجنوب لنصب ساعتين كبيرتين عليهما . وكان الوزير دوست محمد خان قد أهدى عام زيارته للعراق صحبة ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٧هـ ساعة كبيرة، ولما لم يكن لها موضع تنصب فيه فقد بقيت في المخزن حتى شيدت قاعدتها في هذا التعمير فنُصبت سنة ١٣٠١هـ؛ وهي القائمة حتى اليوم في الجهة الشرقية، ثم أهدى الحاج محمد مهدي الأبوشهري - بعد تشييد القاعدة الثانية - ساعة أكبر من الأولى وضعت على الباب القبلي؛ وكان ذلك سنة ١٣٠٣هـ .

وعلى أيّ حال، فقد بدأ العمل في عمارة الصحن يوم ١٧ ذي القعدة ١٢٩٦هـ، وتم بجميع ما فيه في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٠١هـ،

واحتفل الرأي العام بهذه المناسبة لمدة ثلاثة أيام، ويقال بأن مجموع نفقات هذه العمارة بلغ مائتي ألف ليرة عثمانية.

وتبارى الشعراء بالمشاركة في هذه المناسبة الغراء بقصائدهم وروائعهم؛ وكان منهم السيد حيدر الحلبي وهذا نص قصيدته:

حزت بالكاظمين شأناً كبيراً
فابق يا صحن أهلاً معمورا
فوق هذا البهاء تُكسى بهاءاً
ولهذي الأنوار تزداد نورا
إنما أنت جنةٌ ضرب اللد
ه عليها كجنة الخلد سورا
إن تكن فُجِّرَتْ بهاتيك عينٌ
وبها يشرب العباد نميرا
فلكم فيك من عيونٍ ولكن
فُجِّرَتْ من حواسدٍ تفجيرا
فاخرت أرضك السماء وقالت:
إن يكن مفخرٌ فمتي استعيرا
أتباهين بالضراح وعندني
من غدا فيهما الضراح فخورا
بمصابحي استضيء فمن شم
سي يبدو فيك الصباح سفورا
ولبيتي المعمور رباً معالٍ
شرفاً بيت ربك المعمورا
لك فخر المحارة انفلقت عن
دُرَّتَيْن استقلتا الشمس نورا
وهما قبتان ليست لكل
منهما قبة السماء نظيرا
صاغ كلتيهما بقدرته الصا
ثغ من نوره وقال: أنيرا
حول كل منارتان من التب
ريجلي سناهما الديجورا
كبرت كل قبة بهما شأ
فغدت ذات منظرٍ لك تحكي
نأ فأبدت عليهما التكبيرا
كعروسٍ بدت بقرطي نضارٍ
فيه عذراء تستخفُ الوقورا
بوركت من منائرٍ قد أقيمت
فملت قلب مجتليها سرورا
رفعت قبة الوجود ولولا
عمداً تحمل العظيم الخطيرا
يا لك الله ما أجلك صحناً
ممسكاها لأذنت أن تمورا
وكمفى بالجلال فيك خفيرا
حرم آمن به أودع اللد
هُ تعالی حجابَه المستورا

عَبَقُ الْمَسْكَ مِنْ شِذَاهُ اسْتَعِيرَا
 رِيحَ خُلْدِيَّةٍ فَطَابَتْ مَسِيرَا
 أَنَهَا جَدَّدَتْ عَلَيْكَ الْمُرُورَا
 أَنَّهَا قَبَّلَتْ ثِرَاكَ الْعَطِيرَا
 أَنْتَ مَاذَا؟ لِأَحْسَنِ التَّحْبِيرَا
 بِهِمَا الْكُونَ قَدْ غَدَا مُسْتَنِيرَا
 مَا أَرَانِي مَدَحْتَ إِلَّا الْأَثِيرَا
 لِابْنِ عَمْرَانَ دَكَّ ذَاكَ الطُّورَا
 هُ لِفِرْهَادٍ فَاسْتَهَلَّ سُرُورَا
 طَهَّرَ اللَّهُ أَهْلَهُ تَطْهِيرَا
 قَدَّرَ اللَّهُ صَنْعَهُ تَقْدِيرَا
 خَرَّ مِنْهَا ذَاكَ الْعِمَادُ كَسِيرَا
 لِرَأْيِ مَا ابْتَنَاهُ قَدَمًا حَقِيرَا
 ء مِنْ الْفِرْسِ أَوْلَا وَأَخِيرَا
 لَا تَعْدُوا بِهَرَامٍ أَوْ سَابُورَا
 عَادَ طَرَفَ الْإِسْلَامِ فِيهِ قَرِيرَا
 لَمْ يَزَلْ فِيهِ ذِكْرُكُمْ مَنْشُورَا
 نَ فَأَخْلَقَ بِأَنْ يَبَاهِي الْعَصُورَا
 قَالَ: كُنْ أَنْتَ سَيْفُهُ الْمَنْصُورَا
 وَرِثَ الْمَلِكِ تَاجَهُ وَالسَّرِيرَا
 لَوْ أَنْارَتْ عَشِيَّةً وَيَكُورَا
 تَرَكْتَ جَدًّا حَاسِدِيكَ عَشُورَا
 لَيْسَ تَغْنِي الْمَلُوكَ عَنْهُ نَقِيرَا
 لَمْ يَلِدَنَّ الْإِنْسَانَ إِلَّا قَتُورَا

طَبْتُ إِمَّا ثِرَاكَ مَسْكَ وَإِمَّا
 بَلْ أَرَاهَا كَافُورَةَ حَمَلْتَهَا الـ
 كَلَّمَا مَرَّتِ الصَّبَا عَرَّفْتَنَا
 أَيْنَ مِنْهَا عَطَرُ الْإِمَامَةِ لَوْلَا
 كَيْفَ تَحْبِيرِي الشَّنَاءَ فَقُلْ لِي:
 صَحْنُ دَارٍ أَمْ دَارَةُ نَيْرَاهَا
 إِنْ أَقْلُ: أَرْضُكَ الْأَثِيرُ ثَرَاهَا
 أَنْتَ طُورُ النُّورِ الَّذِي مَدَّ تَجَلَّى
 أَنْتَ بَيْتٌ بَرَفَعَهُ أُذُنُ اللَّـ
 وَغَدَا رَافِعًا قَوَاعِدَ بَيْتِ
 خَيْرِ صَرَحَ عَلَيَّ يَدِي خَيْرِ مَلِكِ
 تَلِكُ ذَاتِ الْعِمَادِ لَوْ طَاوَلْتَهُ
 أَوْ رَأَى هَذِهِ الْمِبَانِي كَسْرِي
 وَلِنَادَى مَهْنِيًّا كُلَّ مَنْ جَا
 قَائِلًا: حَسْبُكُمْ بِفِرْهَادٍ فَخْرًا
 قَدْ أَقْرَّ الْعَيُونَ مِنْكُمْ بِصَنْعِ
 وَيَهَذَا إِلَيْنَا لَكُمْ شَادٌ مُجَدًّا
 وَيَعَصِرُ سُلْطَانَهُ نَاصِرَ الْبَدِيدِ
 قَدْ حَمَى حَوْزَةَ الْهَدْيِ فِيهِ رَبُّ
 مَلِكٌ عَنْ أَبِي وَعَنْ حَدِّ سَيْفِ
 تَحْسَنُ الشَّمْسُ أَنْ تُشَبَّهَ فِيهِ
 يَا مَقِيلَ الْعِثَارِ تَهْنِيكَ بَشْرِي
 مَنْ رَأَى قَبْلَ ذَا كَعَمِكَ عَمًّا
 وَسَعَتْ رَاحَتَاهُ أَيَّامَ عَصْرِ

بثَّ أكرومةً تريك المعالي
 ذخر الفوز في مبانٍ أرثنا
 ونظرنا في بذله فهتفنا :
 قد كسى هذه المقاصر وشياً
 صاح والطور وهو ذا وكتاب
 إنما الرقُّ مُهْرَقٌ خَطٌّ وصفي
 لك في دفتيه سحرٌ ولكن
 فارو عني سحارة الحسن واحذر
 وتحذت بفضل فرهاد وانظر
 مستشارٌ في كل أمرٍ ولكن
 في حجور الحروب شبٌّ وكانت
 قد حبا في الملا فكان غماماً
 ملئت بردتاه علماً وحلماً
 لا نفس جود كفه بالغوادي
 بل من البحر تستمد الغوادي
 قلَّ في عصرنا الكرام وفي فر
 كم رقابٍ أرقها ورقاب
 إن رأينا نهر المجرة قدماً
 فهي اليوم دونه وقفت من
 فرش النيرين كفُّ الثريا
 وعليه أتكى بأعلى رواقٍ
 وغداً باسطاً به كفَّ جودٍ
 ودعا يا رجاء هاك بناني
 وتشطر ضروعها حافلاتٍ

ضاحكات الوجوه تجلو الثغورا
 أنه كان كنزها المذخورا
 هكذا تبذل الملوكة الخطيرا
 فسيكسى وشياً ويحيى قصورا
 فوق جدرانها بدا مسطورا
 ذا البنا فيه فاغتنى منشورا
 خطه مذ برى البليغ زبورا
 لافتانٍ بسحرها أن تطيرا
 كيف منه نشرت روضاً نضيرا
 لسوى السيف لم يكن مستشيرا
 أظهر الصافنات تلك الحجورا
 واحتبى في العلى فكان ثبيرا
 وحجى راسخاً وجوداً غزيرا
 وندى كفه يمد البحورا
 كم عليه تطفلت كي تميرا
 هاد ذاك القليل صار كثيرا
 حررتها هباته تحريرا
 عبرته الشعري وكان صغيرا
 دون بحر فلا تسمى العبورا
 في سماطي نادي علاه وثيرا
 تخذ المكرمات فيه سميرا
 نشرت ميّت الندى المقبورا
 فاحتلبها لبون جودٍ درورا
 لا ثلوثاً ولا نزوراً شطورا

تدع القعب في يدك كسيرا
لو جعلت العصا عضباً طريراً
دك تُسمع مَنْ شئت حتى الصخورا
بالقوافي مهنيّاً وبشيراً
فيك تلقى الناس الهنا والحبورا
بلداً طيباً ورباً غفوراً
ر لمن فيهما غدا مستجيرا
م وأكرم به أبيعاً غيورا
س نفضن الدنيا وكانت غرورا
أخذل الناس من أعدّ نصيرا
ل فلا زال فضله مشهورا
ق ومن قال غير ذا قال زورا
كم نشقنا بجوّه كافورا
وكفالك المخشي والمحدورا
ومن الفخر قد كساك حبيرا
وله دانت القروم صغيرا
ر خليقاً وبالثناء جديرا
ف مقالاً فصلاً وعزماً مبيرا
س إذا وجهه استهلّ منيرا
ث ولو ساجلته نوءاً غزيرا
أثمرا أنجماً زهت وبدورا
عنك رداً باع الزمان قصيرا
خطب فيها ويطلقان الأسيرا
من رأى همة تشيد الطورا

واترك غيرها فتلک زبون
وعلى العصب لا تدر فأولى
سعد قرط مسامع الدهر إنشا
وعلى بلدة الجوادين عرج
قل لها لا برحت فردوس أنس
ما نزلنا حماك إلا وجدنا
وإمامين ينقذان من النا
وعليماً غدا أباً لبني العدا
وأغراً أذيال تقواه لنا
كم بسطنا الخطوب أيد أرتنا
وطواها «محمد» «الحسن» الفعد
فهو في الحق شيخ طائفة الحفد
طبّت أهلاً وتربة وهواء
قد حماك «المهدي» عن أن تضامي
ومن الأمن مدّ فوقك ظلاً
من يُسامي علاه شيخاً كبيراً
لم نجد ثانياً له كان بالفخ
غير «عبد الهادي» أخيه أخي السيّد
واخي الشمس طلعة تبهت الشم
واخي الغيث راحة تخجل الغيد
قمرا سؤدد وفرعا معال
حفظا فيك حوزة الدين إذ كم
واستطالا بهمة ياسران ال
فيها شيّدا معاً «طور موسى»

ومقاصير لو تكلفها الدهر
 محكمات البناء تنهدم الذر
 باشرا ذلك البناء بخبر
 فيه كانا أعف في الله كفاً
 أجهدها في خدمة الدين نفساً
 أتعبها لتستريح بيوم
 يعدل الحج ذلك العمل الصا
 وعد الله أن يعد لكل
 أيها الصحن لم تزل للمصلي
 دمت ما أرسى الجبال وبانيه
 واستطبها معطارة النظم منها
 ختمت كافتتاحها فيك لا تعد

ومنهم الشيخ صادق الأعسم النجفي، ولم نعثر من قصيدته إلا
 على البيت الأخير يخاطب به الإمامين (ع):

خُذَا بِيَدَيَّ «فرهاد» في يوم حشره فقد تمَّ عن سرِّ بتاريخه «خُذَا»

١٣٠١ هـ

ومنهم الشيخ جعفر بن الشيخ محمد حسن الشروقي، وهذا نص
 قصيدته:

ألا ليت شعري ما تصوغ بنوكسرى
 أسوراً لموسى أم سواراً على الشعري
 وكيف من الوادي المقدس سورث
 على طور سيناه بآيته الكبرى

وما خلتُ لولا العين قد شهدتُ به
تشيّد حول الفرقدين له قصرا
شهدتُ لأيدي الفرس ما لعقولها
تنال الثريّا صنعة ويك أو فkra
فكيف إلى هام الثريّا من الثرى
سرتُ فرقٌ منها فسبحان مَنْ أسرى
وما كان يدريها بما ضمّ قطبه
ولكن لأمرٍ ما تحيط به خبرا
درت بنجوم الأفق إذ دُرّن حوله
عرفن لموسى والجواد به قبرا
وكيف من الزوراء عند ضريحه
أهل علت الغبرا أم انحطت الخضرا
وهيهات لا هذا ولا ذاك إنها
لجنة عدنٍ قد تجلّت لنا جهرا
أرى إرمأ ذات العماد بسورها
أعيدت ولا عاد لها مرةً أخرى
تراءت بها للناظرين هياكلُ
بها مثلاً قد نضرب الشمس والبدر
مكوّرة والشمس قد كورت بها
كهيتها الأفلاك قد طبعت قسرا
من النور لا يدري بأمرٍ وراءه
تجلّى الذي قد كان يدري ولا يُدري
ولا عجبٌ فالطور هذا بما حوى
وذا صَعِقاً موسى بساحته خرا

وما دجلة الخضراء يمناً ويسرةً
سوى يده البيضاء جَرَتْ منناً حمراً
وتلك عصا موسى أُقيمت بجنبه
وقد طليت أقصى جوانبها تبراً
فكيف بها فذاً تراءت ثمانياً
أسحراً - وحاشا - إنها تلقف السحرا
أم العرش يغشى الطور فوق قوائم
كما عدّها في الذكر فاستنطق الذكر
وحسب ابن لاوي بابن جعفر في العلى
إذا ما حكاه أن ينال به فخرا
فإن يك في هارون قد شُدَّ أزره
فقد شُدَّ موسى بالجواد له أزا
جواد يمير السحبَ جوّدَ يمينه
على أن فيضَ البحر راحته اليسرى
ضمينٌ بعلم الغيب ما ذرَّ شارقُ
ولا بشارقُ إلا وكان به أدرى
تضل العقول العشر من دون كنهه
حيارى كأنَّ الله أودعه سرّاً
أجل هو سرُّ الله والآية التي
بها تثبت الإسلام أو نطرد الكفرا
إمامٌ يمدُّ الشمس نوراً فإن تغب
كسا بسنا أنواره الأنجمَ الزهرا
فحقُّ إذا أزهرنَ في صحن داره
ودرن على ما حول مرقده دورا

فموضوعةً طوراً تشع بقبره
 ومطبوعة حلياً بوجه السما طوراً
 فمن صفة تدعى المصابيح عنده
 وفوق السما تدعى الثريا أو الشعري
 ومذ زين الأفلاك أحسن زينة
 خضعن له لا بل سجدن له شكراً
 ومن يك موصولاً بأحمد في العلى
 تهيب غير الذكر في نعتة الذكر
 على تفخر الأفلاك إن وصلت به
 بأملاكهن البيض لا مضر الحمرا
 من الركب ما بين العراقيين يمت
 ركائبه من دجلة مربع الزورا
 يخب بها الحادي سراعا كأنما
 إلى الورد يوم الخميس تستعجل المسرى
 فوارسها من فارس كل أصيد
 ترى بهجة في وجهه البشر والبشرى
 تهلل حتى ما رأته غمامة
 بضاحية إلا استهلت له قطرا
 أخو أصبح إلا أنه بصباحة
 ترى الليل لم يخلق بها كي ترى الفجرا
 سرايا بنو شروان كان سرؤها
 يسير بها طوراً ويبعثها طوراً
 تراءت لهم ناراً يظنون أنها
 ذبالة ما قد أوقدت فارس دهرا

بحيث رسا إيوانه الفرد شاهقاً
 على وبنى أسنى مداينه كسرى
 وما أنسوا إلا وقد أنسوا الهدى
 بسيناء موسى قد تجلّى لهم جهرا
 فما فرّ هادٍ مثل «فرهاد» للهدى
 من الغيِّ لما غار في بحره غورا
 ومدّ يديه بالسوسائل سائلا
 لسائل دمع كاد يغمره غمرا
 فجاء بها ملء القفار حمولة
 من الأدم إلا أنها ملئت تبرا
 ثقلاً تنوء العيس فيها كأنها
 إذا وضعت رجلاً تعابت عن الأخرى
 أيادي لم تمنن جرت منه عن يدٍ
 غدا يستمير البحر من درّه الدرّ
 أنت رسله تترى بهنّ وقبلها
 من الفلك الأعلى أتت رسلها تترى
 ينادون بـ«الهادي» الأمين أخي النهي
 فهبّ هبوبَ الريح تستتبع القطرا
 فشاد بها سوراً يسير به اسمه
 إلى فلك الأفلاك لا فلك الشعري
 مدينة قدسٍ قدّس الله سرها
 وشرفها حتى على عرشه قدرا
 لها رتج يجري إلى كل جانبٍ
 على كرة لما استقلّ الثرى مجرى

وممن شارك بهذه المناسبة الشيخ سلمان آل نوح بقصيدته التالية:

كثرة اللوم قد أهاجت غرامي
فاتكأت اللحاظ فتك السهام
عتقوها من عهد سام وحم
هيبة من بهاء سامي الدعم
بالشفيعين يوم هول القيام
نيرات تزري بشهب الظلام
هي أنوارهم بدت للأنام
بل بنور سام عن الأوهام
لابن عمران خراً واهي القوام
جنة الخلد دونه في المقام
فيه برء الآلام والأسقام
ليروا ما هناك من إنعام
هي ينبوع حكمة العلام
أنت عن مدحنا - لعمرك - سامي
أنت أبهرت عقل كل الأنام
هر طراً وصنعة الأهرام
باعه عن بناء مع بهرام
كعمود يقوم وسط الخيام
«ناصر الدين» عن حماها يحامي
وبه صان بيضة الإسلام
مع «مهدينا» و«هادي» الأنام
عزمة الفكر أي ماضٍ حسام
إن أتى الدهر بالخطوب العظام

صاح مهلاً لا تكثرن ملامي
لا تخالن صبوتي لملاح
واعلمن أن نشوتي لا بخمر
بل بصحن كساه رب البرايا
هو صحن به القباب أحاطت
أي صحن به المصابيح أمست
أوقدوها جهراً بزيتٍ وسراً
لا تخل زينة القباب بتبر
هو نور الإله حين تجلّى
فيذا ما حللت تأتي مقاماً
هو باب به الحوائج تقضى
قد أتته الوفود من كل فج
دمت «فرهاد» إذ عمرت بيوتاً
ما عسى أن أقول فيك مديحاً
ليت شعري من ذا يدانيك فخراً
بصنيع أنسى صنيع ملوك الد
قيصر لو رآه عاد قصيراً
نصر الله دولة أنت فيها
هي والله دولة الحق أضحي
ملك مالك الملوك اجتباه
فجزاك الإله جنة عدن
لست أنساها وقد جرّدا من
فهما للملا غياك وحصن

منهما تستمدُّ سحب الغمام
وبهم قد جعلت حسن اختتامِي
فيه نلنا المنى وأقصى المرام
(شيع الآل فادخلوا بسلام)^(١)
١٢٩٧ + ٤ = ١٣٠١ هـ

إن كَفَيْهِمَا سحابة جودِ
كان بالطيبين بدءُ نظامِي
سعدُ زال العنا بإكمالِ صحنِ
وبأقصى السعود ناديت أرخِ

وللشيخ جابر الكاظمي قصيدة بهذه المناسبة يقول فيها:

ولكف الخضيب عاد سوارا
شهب الحق عنه لا تتواري
منه فيه أجوجها قد أنارا
وعلى جملة الوجودات دارا
صبَّ صباً يمناه لاقت يسارا
د بنظم فاق الدراري نشارا
فوق عرش الهدى غدا مستدارا
قعرُ منه السبع الطباق قرارا
حاز منه حسنُ البناء القصارا
راق منّا نضيره الأنظارا
وبمرءاه نور الأبصارا
تلق نشرأ تصيب فيه انتشارا
منه رَوْحٌ وخلد الأعمارا
شاد فرهاد للرشاد منارا
في بناءه وذاك لاقى الخسارا
كم على العرش أسدلت أستارا

أي سورٍ على السماوات دارا
قد غدا للبروج أي نطاقِ
بنطاقٍ لما انتطقن الدراري
أي سورٍ أحاط بالعرش وسعا
عانق العرش في يديه عناق الـ
هو عقد في جيد غانية المجـ
وعلى مركز الندى منه خطُ
فاق أعلى السبع الشداد وجاز الـ
شاده بالنضار «فرهاد» حتّى
في صعيدٍ يسمو على التبر تربا
كم شفى الشمُّ منه سقمٍ سقيمِ
إن رأته الموتى بطيِّ لحودِ
وأعاد الأرواح طراً إليها
لا يضاهي فرهاد خسرو فيما
إن هذا الفرهاد يلقي نجاحاً
قد بناه سوراً لكعبة مجدِ

ولمن في الوجود أضحت مزارا
 قطفت راحة النعيم ثمارا
 عُدنَ عنها قصورُ ذاك قصارا
 ح وميكال قد غدا معمارا
 جاء فيه الروح المجرد حارا
 جود منها قد جدّد الآثارا
 ما له في الندى أخ فيبارى
 قد طلى القبتين فيها نضارا
 قد أنارت في طور موسى جهارا
 أم هي الشمس قد أضاءت نهارا
 من سناها يفوق خدّ العذارى
 منه نور الله القديم أنارا
 مثل نارٍ قبست منها النارا
 ضوؤه لاغتندي الوجود سرارا
 أبصر الدين والهدى إبصارا
 لهدى شاده الإله منارا
 قد أدارا الوجود طرّاً فدارا
 فأصاب الأملاك منه اعتبارا
 في حماه حجّاً به واعتمارا
 رصّعته شهب العلى فأنارا
 فضة الشهب دونه مقدارا
 نشرث منه للوجود نثارا
 وأزالت عن القلوب غبارا
 ورأينا نور الإله جهارا

كعبة للأملاك أمست مطافاً
 جنة من غصون دوح هداها
 شاد هذا الفرهاد فيها قصوراً
 ولديها مهندساً قد غدا السرو
 إن هذا العقل المصور فيما
 شاد فرهاد سورها وحسام الـ
 إن هذا أخ لهذا وكلّ
 ذاك قد سور الجنان وهذا
 فاغتندي النور منهما مثل نارٍ
 ليس يدري النقاد أهي نضارٌ
 لا يداني الشقيق حمرة خدي
 نور قدس أضاء في عرش مجدٍ
 قبس النور من سناه سنه
 فأنار الإمكان فيه ولولا
 من رآه رأى الرشاد وفيه
 ولقطع الأعدار عن ذي ضلالٍ
 فلك دار فوق قطبي معالٍ
 جاورته الأملاك دهرأ طويلاً
 ورأته أسنى مطافٍ فطافت
 قبة للأفلاك إكليل تبرٍ
 منه بثت شمس النهار نضاراً
 فاغتنى كل مرملي فيه لَمّا
 قد أماطت عن العيون حجاباً
 فرأينا فيها الجنان عياناً

ألبيسته من نورها أطمارا
لعلاها لو يستطيع مطارا
قد أماطت عن المحيا خمارا
نارَ أوزارها محا الأوزارا
عرشَ مجدٍ وللمهيمن زارا
بالفلاح الهدى البدار البدارا
ضياء نورٍ لوجهها لا يوارى
مذ لتشيدها المليكُ أشارا
بالسناة الشموسَ والأقمارا
فأرانا ليلَ العراق نهارا
أرض أضحي كلُّ بكلِّ مجارا
مطلع النيرين جهراً أنارا
موكب الجود في البسيطة سارا
س اصطفاه واختاره مختارا
مرسلٍ أمنع الوجود ذمارا
ه من غمدٍ بأسه بتارا
كفُّ كافيه أنشبت أظفارا
وله النصُّ بالغدير أنارا
وأصروا واستكبروا استكبارا
أكبرَ العقلُ أمرها إكبارا
فادَّعَتْ ما ادَّعَتْ بعيسى النصارى
هل ترى الموت يرهب الأقدارا؟
فإليهم إيابه والقُصارى
فإليهم به تعود المهارى

قد ضفت فوق عالم القدس حتى
يترجى نسرُ السما طيرانا
وتبدت لنا كمثل عروسٍ
من نوى أن يزورها لا يذوق الـ
أتمسُّ النارُ امرءاً مسَّ منها
كعبةً للفلاح شيدت فنادى
إن توارت شمسُ الضحى في حجابٍ
ولتشبيدها أشارت ملوكُ
قد حبت شمسُها وبدرُ علاها
وبوقتِ كلِّ أضياء سنناه
مذ أجارا أهل السماء وأهل الـ
مرقد الفرقدين ذاك ومنه
كوكب الحق ضياء من ذا ومن ذا
هم بنو المصطفى الذي بارى النا
مبدأ الفيض خاتم الرسل أزكى
هم بنو المرتضى الذي قد نضاه اللد
هو ذاك الليث الذي في المنايا
من له السبق في جميع المعالي
كم دعا للهدى عداه فضلوا
برزت منه للوجود أمورُ
رأت الباهرات منه أناسُ
لا يهاب القضا بكل القضايا
إنَّ مدحنا سواهم بامتداحٍ
أو إلى غيرهم سرى ركبُ حمدٍ

أينما ركب مجدهم سار سارا
 في ولاهم ويبذل الدينارا
 عصر واملأ بمدحه الأمصارا
 ن» الذي فاق في معاليه «دارا»
 حين ساخت والركن منها أنهارا
 ه» وعمّا جوداً غدا مدرارا
 منهما بل حقيقةً منه غارا
 ذين في الجود حاميين الذمارا
 للأبادي «هادي» العفاة الحيارى
 دين أمست تشكو إليك البوارا
 بظهورٍ ونور الأبصارا^(١)

وللشيخ محمد تقي آل أسد الله الكاظمي هذه المقطوعة:

رفع الله مقامه
 عسجداً قل لي علامه!
 أم يشين البدر شامه؟
 فاتقى الرامي ضرامه
 فأبى الله تمامه
 زُحْرِقَتْ قبل القيامة^(٢)

وللشيخ جابر بن عبد الغفار البلدي الكاظمي هذه القصيدة:

واعقل فهذا منتهى القصد
 هضبات رضوى أو ربي نجد

فهو في نهج غيرهم ليس يسري
 فاز فيه من يقتني كلّ حمدي
 فاصرف المدح بعدهم لإمام الـ
 واشكر الندب بعده «ناصر الـديـ
 كم بنى للهداة أفلاك مجدي
 وبهذا منه تعلم عمّا
 واقتدى فيه بالمكارم كلّ
 واشكر التوأمين في المجد والقُد
 هو ذاك «المهدي» عزّاً وهذا
 يا أمام الوجود هذه رفات الذ
 فأعدها وجُد على من سواها

شاد «فرهاد» مقاماً
 قد بناه وكساه
 أيزين الشمس تبرّ
 كم رموها بسهام
 كم أرادوها بسوء
 جنة الفردوس لكن

أنخ المطي بساحة المجد
 وأرخ قلوصلك أن تجشمه

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٢) شعراء الكاظمية [المجلدان الرابع عشر والخامس عشر من هذه الموسوعة].

بعد الضلال هُدي إلى رشدي
 تلوي عنان القود بالوخدي
 تطوي بأيدي الضمّر الجرد
 من طور موسى للهدى يهدي
 بنديّ سوى جدواه لا يجدي
 أمّنين من ضُرٍّ ومن جهدٍ
 مَنْ قد أتى موسى إلى رفدي
 يرجي فيأمله أخو قصدي
 هيهات رمت إذن صفا صلي
 دار النعيم ومنزل السعد
 عن أن يحيط بمدحه حمدي
 وعلت عن الأوهام بالبعد
 إحرام ذي وَلِهٍ وذو وجد
 لتنال منها منتهى القصد
 سرّ الإله وجهراً ما يبدي
 هي بيت أهل البيت والمجد
 بين البرية جاء من جدّ

فلقد هُديت وربّ ذي شطي
 فيألي مَ أنتَ إلى اللوى شغفاً
 نَشَرَ المهامه لم تزلُ أبدأ
 أو ما ترى نوراً سنهه بدا
 فالجأ ولُذْ بالكاظمين تفرّ
 مَنْ أمّ موسى والجواد يجذ
 بابَ الإله أتى ورحمته
 أفهلّ سواه لقصد مكرمة
 لتزجّ عيسك نحو نائله
 فانزلْ به يا سعد إنَّ به
 دارُ تعالي شأن ساكنها
 دارُ على أوج السماء سمث
 فاعقد هنالك إنَّ حللت بها
 واسعُ وطف طوعاً بحضرتها
 هي حضرة القدس التي ضمنث
 هي كعبة الآمال روض هدي
 آل النبي وهل كجدُّهم

إلى أن يقول:

بالنور لا بالنور والسورد
 (للناس أبدى جنّة الخلد)^(١)

«فرهاد» شيّد روضةً فزهت
 مذ زال أقصى الكره أرّحها

١٣٠٦ - ٥ = ١٣٠١ هـ

وكان من ملحقات أعمال هذه العمارة هدمُ البركة التي كانت قائمة

(١) شعراء الكاظمية [المجلدان الرابع عشر والخامس عشر من هذه الموسوعة]، وقد

اعتبر الشاعر هاء «جنه» تاءً.

في وسط الصحن الشرقي وإيجاد بدلٍ منها خارج الصحن من جهته الشرقية؛ إبعاداً للمياه والأوحال عن الصحن، وتمَّ ذلك في سنة ١٣٠٣هـ. وقد أصبحت الآن ضمن ساحة باب المراد، ونظم الشيخ جابر الكاظمي قصيدةً بهذه المناسبة جاء فيها:

إنَّ هذا سلسبيلٌ للسيلِ سائلٌ من كوثرِ كلِّ مسيلٍ
إلى أن يقول:

سلسبيلٌ عن ندامِ سالٍ من سلسل الدجلة لا من ماءٍ نيلٍ
بل من الكوثرِ قد أرخَتْهُ (سلسبيلٌ سالٍ ذا وَقْفِ السبيلِ)^(١)
١٣٠٣هـ



وفي سنة ١٣٠٩هـ أقيم احتفالٌ كبير في المشهد الكاظمي احتفاءً بقدم الشعرات المنسوبة إلى كريمة النبي (ص) من اسطنبول^(٢)، وكان ذلك في عهد ولاية الوالي الحاج حسن باشا، وللسيد جعفر الحلبي قصيدة بهذه المناسبة يخاطب بها الوالي؛ مطلعها:

بشرى العراق ففبك أشرق نورُها هي جنَّةُ الدنيا وأنت وزيرُها
ويقول فيها:

قد جثت من شعر النبي بطاقةٍ نفخُ الخلائق نشرُها وعبيرُها
فشمُّ نشرِ المسك حين نشمُّها ونزورُ دارَ الخلد حين نزورُها
هي طاقة الرياحان شرف قدرها هادي الأنام بشيرُها ونذيرُها^(٣)

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٢٩٧.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين: ١١٨/٨.

(٣) ديوان السيد جعفر الحلبي: ٢٤٢.

وفي سنة ١٣١٤هـ نُصِبَ الباب الفضِّي الخامس، وهو الباب الواقع بين روضة الجواد والرواق الشرقي، وقد تبرَّع بفضته الحاج محمد جواد ابن الحاج محمد تقي الشوشري.

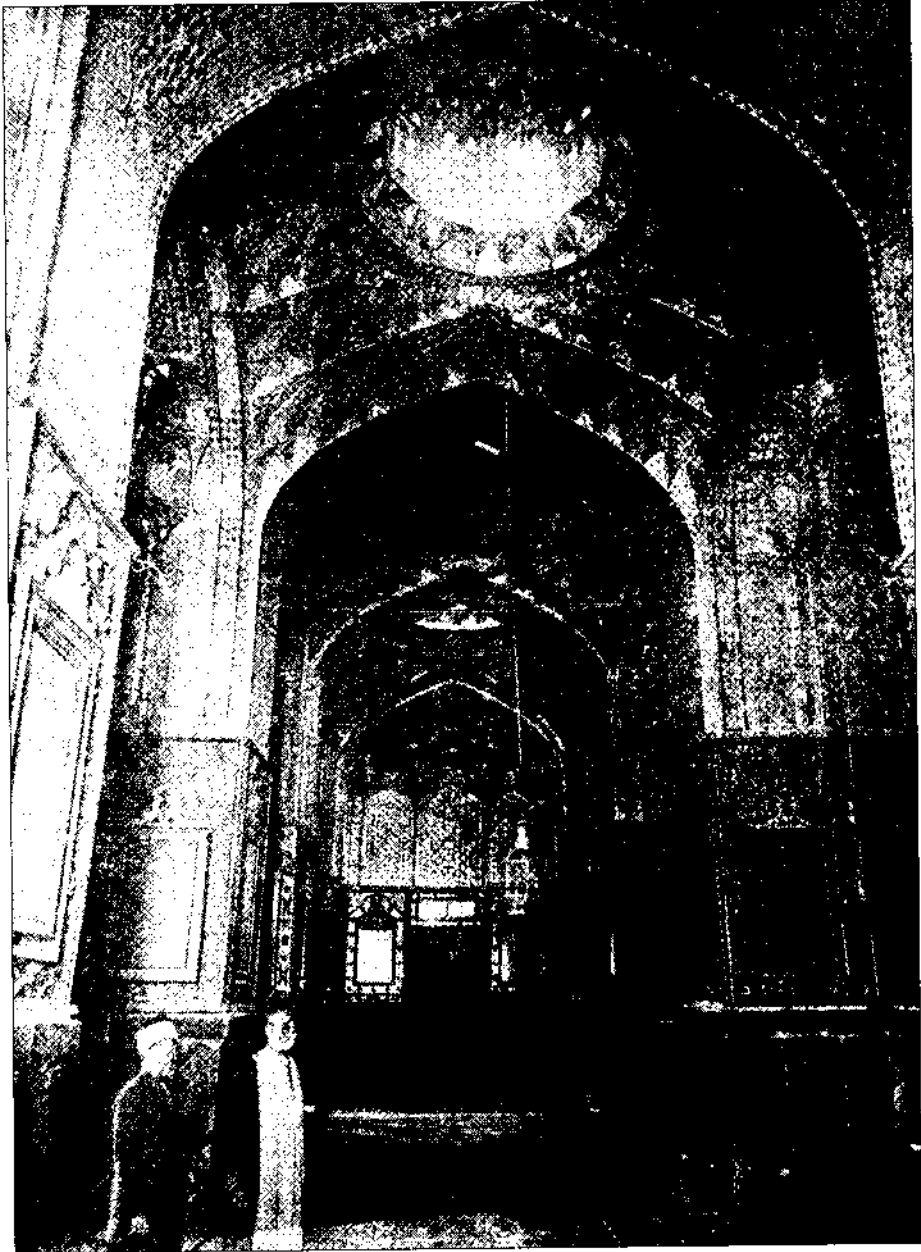
وفي سنة ١٣٢٠هـ زَيْنَ الأمير تومان - أحد رجال الحكومة الإيرانية - الرواق الجنوبي بالزجاج الجميل المرَّكَّب على الخشب المقطَّع بأشكال هندسية دقيقة الصنع «خرده كاري»، وقد نظم الشيخ مهدي المراياتي مقطوعة بهذه المناسبة قال فيها:

هذا نعيمُ الخلد مَنْ يَأْوِلُهُ	يلقُ النعيمَ به ولم يَرَبوسا
حرمٌ منيعٌ لم يَلُدْ فيه امرؤٌ	يوماً فأب بخيبةٍ مأيوسا
هو جنة الفردوس لكنْ لا ترى	فيه سوى شجر الهدى مغروسا
هو بيتٌ قدسٌ لا تحسُّ برحبه	إلا لصوت المتقين حسيسا
لو أدركتُهُ الأنبياءُ لما ارتضتْ	إلا به التمجيد والتقديسا
ولو دَّ آدمُ أن يكون نعيمه	عوض النعيم فلا يرى إبليسا
مُدَّ شيد منه رواقُهُ أرختُهُ	(قسماً لهذا الطورُ وادي موسى)

هـ ١٣٢٠

ثم تمَّ تزيين الرواق الشرقي بمثل ذلك في سنة ١٣٢١هـ (يراجع الشكل رقم ١٨).





الشكل رقم (١٨): «صورة الرواق الشرقي بعد تزيينه بالزجاج».

وأرخ هذه المناسبة السيد رضا علي الهندي الكاظمي بمادة تاريخ هي «زهى»^(١) رواق الكاظم فنظم الشيخ الحاج محمد حسن كبه مقدمة شعرية لهذا التاريخ، وهي:

علا رواقُ سابعِ الـ	أسباطِ فخرِ هاشمِ
علا فلا يوهمُ أنْ	يُذركَ بالسلايمِ
كيف ودون حافتَيـ	ه هامةُ النعائمِ
رواقُ قدسٍ قد تلا	لا ضاحكُ المباسمِ
حيث الهدى شعَّ سناً	في طور موسى الكاظمِ
ما خصَّ سيناءَ ولـ	كنَّ عمَّ كلِّ العالمِ
يا لرواقٍ حُفَّ بالـ	علياء والمكّارمِ
يدور حول لُجَّةِ الـ	ممعروف دَوْرَ حائمِ
حول ضريحِ عِلَّةِ الـ	أكوان والمعوالمِ
زَيْنَ بما يبهي على الـ	أعياد والمواسمِ
بما يذيعُ من صفا	هُ سرَّ كلِّ كاتمِ
بما يشعُّ كالمقا	بيس أو الصوارمِ
بلامعٍ مثل البرو	ق ائتلقت لشائمِ
تُهدى بها أولو النهى	إلى النعيم الدائمِ
ومذرها زَهْوَفْتا	ة ذات عيشٍ ناعمِ
قد قيل في تاريخه	(زهى رواقُ الكاظمِ)

هـ ١٣٢١

وكان ممن أرخ هذه المناسبة الخطيب الشيخ كاظم سبتي النجفي، حيث نظم مقطوعتين ضمّن كلَّ واحدةٍ منها تاريخاً، ونورد في ما يلي نصَّ المقطوعتين:

(١) كذا رسمها الناظم، ولا يسعنا تصحيحها لأنها مادة تاريخ.

وهي لرأس المَلِك لا المَلِك تاج
 إنَّ جَنَّ لَيْلُ الدَّهْرِ فَهُوَ السَّرَاجُ
 ما خَابَ فِيهِ قَطُّ لَاجٍ وَرَاجُ
 إِلَيْهِمَا وَلَا عَجَّ الشُّوقُ هَاجُ
 بَحْرٌ نَدَى طَمَى سَمَاحاً وَمَاجُ
 عَذْبٌ إِذْ الْأَبْحَرُ مَلَحُ أَجَاجُ
 مِنْ جُورِ دَهْرٍ ضَاقَ فِيهِ انْفِرَاجُ
 فَلَا يُرَى فِي بَابِهِ ذُو احْتِياجِ
 سَقِيمٌ دَهْرٌ مَالَهُ مِنْ عِلاجِ
 مَاءٌ أَبْهَى زِينَةً وَابْتِهاجِ
 يَجْلُو ظِلَامَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ دَاجُ
 (راق بضوء الحق لا بالزجاج) (١)

١٣٢٧ - ٦ = ١٣٢١ هـ

تَعْنُو لِبَغْدَادَ مَلُوكُ الْوَرَى
 فَإِنَّ فِيهَا حَرَمًا نَيْرًا
 رَجُوتُ مَنْ حَلَا بِهِ مَلْجَأُ
 وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ قَلْبِي صَبَا
 هُمَا الْجَوَادَانِ وَمَغْنَاهُمَا
 بَحْرٌ لَوْرَادِ النَّدَى سَائِعُ
 لِكُلِّ مَنْ آوَى لِمَثْوَاهُمَا
 تُقْضَى بِهِ حَاجَاتُ كُلِّ الْوَرَى
 وَلَا تَرَى فِي غَيْرِهِ شَافِيًا
 زَيْنَ فِيهِ الْأَرْضَ مَنْ زَيْنَ السَّ
 رَوَاقُهُ رَاقٌ فَنَذَا نَوْرُهُ
 رُفِعَتْ صَعً سِتًّا وَتَارِيخُهُ



تَنالُ (كذا) بِهَا الْفُوزَ بِالنَّشَاطَيْنِ
 قِضَاءَ حَوَائِجِهِ رَأْيِي عَيْنِ
 فِفاقِ سَنَا نَوْرِهِ النَّيِّرَيْنِ
 وَرُؤْيْتَهُ قِرَةَ النَّاطِرَيْنِ
 رِضاَ اللَّهِ ثُمَّ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ
 لَشَاوِهِمَا ضَمْنَا حُجَّتَيْنِ
 غَدَا مَغْرِبًا أَفْقَهُ مَشْرِقَيْنِ
 فَلُذُّ بِحَمِي ذَيْنَكَ السَّيْدَيْنِ

بِبابِ الحَوَائِجِ قَفٌّ وَقِفَةٌ
 هُنَاكَ يَرَى كُلُّ ذِي حَاجَةٍ
 حَمِيٌّ قَدْ أَضَاءَ بِنُورِ الْهَدَى
 وَمِثْوَى يُسَرُّ بِهِ النَّاطِرُونَ
 بِهِ جَنَّتَانِ وَلَكِنَّمَا
 وَفِيهِ ضَرِيحَانِ يعلُو الضَّرَاحِ
 رَوَاقُهُمَا رَاقٌ فَالدَّهْرُ مِنْهُ
 إِذَا جَارَ يَوْمًا عَلَيْكَ الزَّمَانُ

(١) ديوان الشيخ كاظم سبتي: ٩٦.

وَعَدَّ سَوَى الْفَرْدِ مَا لَمْ يَعُدَّ وَأَرْخَ (زَهْمَى حَرَمُ الْكَاطِمِينَ)^(١)

١٣٢٢ - ١ = ١٣٢١ هـ



وكان هذا التزيين بنفقة الوزير القاجاري علاء الدولة المتوفى قتيلاً في سنة ١٣٢٩ هـ، وأوكل أمر التنفيذ والإشراف على هذا العمل لابن عمه أسد الله خان الملقب بنظام العلماء القاجاري، وكانت نقوشه على شاكلة نقوش الرواق الجنوبي السالف الذكر.

وفي يوم الخميس ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ هـ نُصِبَ أول ضريح فضي على القبرين الشريفين (يراجع الشكل رقم ١٩)، وكان بنفقة العلوية الحاجة سلطان بگم بنت المرحوم مشير الدولة السيد الميرزا أبي الحسن العلوي الشيرازي المتوفى نحو سنة ١٣٠٢ هـ. وكان إنفاقها هذا باقتراح وتشجيع من السيد الحاج الميرزا محمد كاظم الطباطبائي التاجر الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ. وقد بُدِئَ بعمله في سنة ١٣٢٣ هـ وانتهى في التاريخ المشار إليه في أعلاه^(٢)، وعلى الضريح في أواسطه العليا كتبت بالفضة سورة الفتح وسورة الدهر وسورة الجمعة وسورة النبأ وآية النور وبعض التواريخ، وبلغ مجموع ما استهلك من الفضة مائتين وخمسين ألف مثقال تقريباً، وكان القائم بصياغة الضريح السيد محسن بن السيد هاشم الورد الصائغ الكاظمي يعاونه في ذلك كلُّ من السيد محمد علي الصائغ الكاظمي والميرزا محمد الشيرازي النجفي، وكان الحاج

(١) ديوان الشيخ كاظم سبتي: ٩٨ - ٩٩.

(٢) وكان الضريح قبل ذلك من الفولاذ؛ كما مرَّ ذكره. وقد ذكره ناصر الدين شاه في رحلته ووصفه بأنه «كبير جداً».

محمد علي النجار الكاظمي هو القائم بصنع هيكله الخشبي . وأرخه السيد صدر الدين الصدر بقوله :

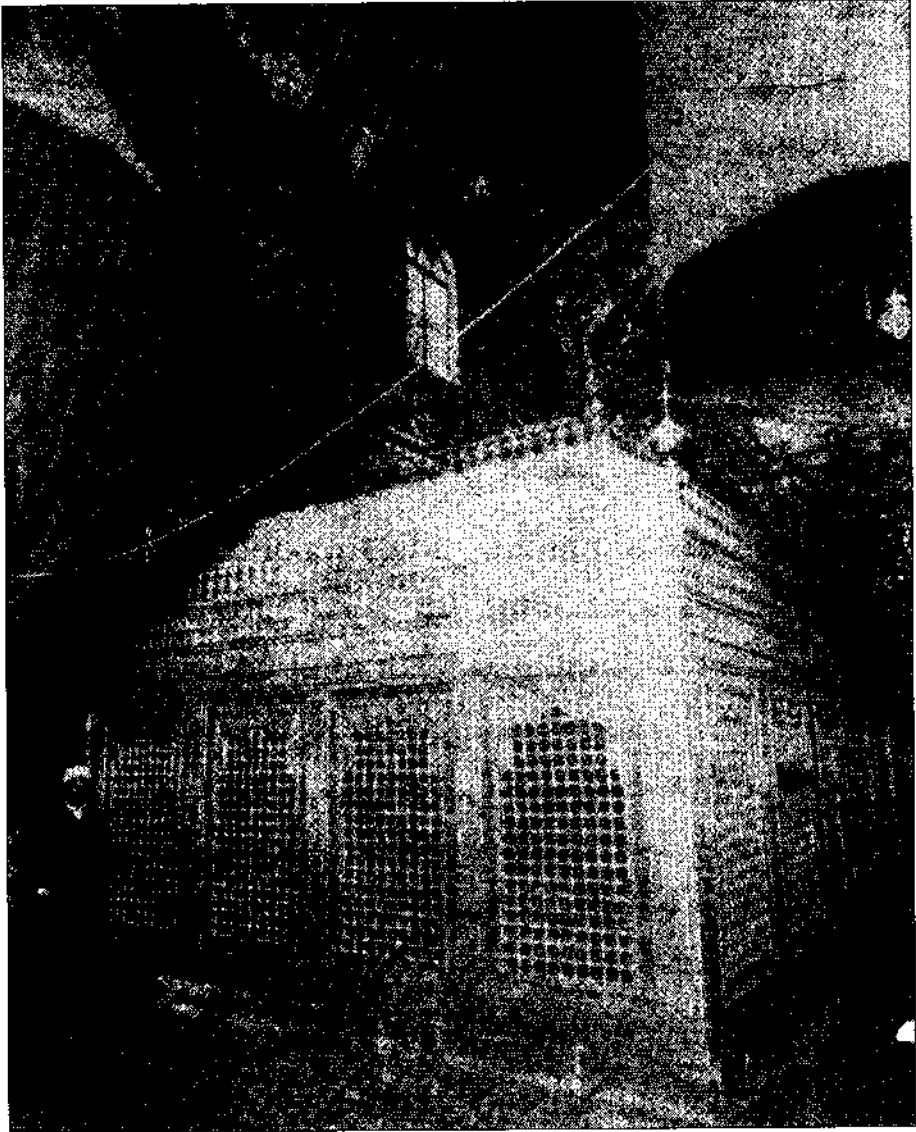
مُذْتَمَّ حُسْنًا جَاءَ تَارِيخُهُ (سنا الجوادين أزان الضريح)
١٣٢٤ هـ

ويقع باب الضريح في وسط جهته الشرقية، وعلى الباب كثير من الكتابات المنقوشة بالفضة نورد فيما يلي نصها :

(باني ضريح علويه عليه عاليه نوابه سلطان الحاجية صبية ميرزا أبو الحسن خان الحسيني مشير الملك . بسعي واهتمام جناب مستطاب حاجي ميرزا محمد كاظم الطباطبائي ناظم التجار . تمام شد ١٣٢٤).

يا أبا إبراهيم يا محمد بن علي الجواد
قال الله تعالى :

ادخلوها بسلام آمين	سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
لذان دهتك الرزايا	بكاظم الغيظ موسى
والدهر عيشك نكد	وبالجواد محمد
عمل سيد	محمد علي زركر ١٣٢٤
يا كافي المهمات	يا سميع الدعاء
يا مجيب الدعوات	يا أرحم الراحمين
إني استبقت الباب راج عقوهم	قد لذت في باب الضريح مؤملاً
ثم اصطنعت النقش فيه محرراً	غفران ذنبي أصغراً أو أكبراً
يا موسى بن جعفر	يا باب المراد أدركني



الشكل رقم (١٩): «صورة ضريح الإمامين الكاظمين (ع)».

وفي سنة ١٣٢٦هـ تمّ تزيين الرواقين الشمالي والغربي بمثل ما زُين به الرواقان الآخران من زجاج وعلى نفس الشكل من حيث النقوش والهندسة، وكان ذلك بنفقة الحاج عباس علي يوف بن الحاج لطف الله.

وفي سنة ١٣٢٧هـ نُصِب الباب الفضّي السادس؛ وهو الواقع بين روضة الجواد والرواق الغربي، وقد تبرّع بفضته أمين الدولة شريف خان أحد تجار كرمانشاه وأعيانها.

وفي ١٦ شعبان سنة ١٣٣٢هـ تمّ العمل في تشييد الطارمة الغربية، وكانت عند انتهاء عمارة الصحن سنة ١٣٠١هـ دكة كبيرة مبلطة بالرخام، وكأنها أُعدّت لتكون طارمة مسقوفة في المستقبل.

وكان قد بدأ العمل فيها في سنة ١٣٢١هـ عندما تطوَّع الحاج محمد كريم الهمداني المتوفى سنة ١٣٢٢هـ بتخصيص مبلغ من المال للبدء بتعميرها، ولمّا أدركته المنية بعد بدء العمل بقليل تبرّع أحد أمراء بخارى بمبلغ آخر من المال لكي يستمرّ العمل^(١)، ثم أردفه السيد حسن بن السيد ناصر البصام الكاظمي المتوفى سنة ١٣٢٨هـ بمبلغ آخر، ثم كان ما تبرع به الحاج محمد إبراهيم ملك التجار الأصفهاني خاتمة التبرعات. وتمت سائر الأعمال العمرانية في الطارمة في التاريخ المشار إليه سابقاً، حيث قامت على ثمانية عشر عموداً خشبياً صغيراً وكبيراً؛ وزُين باطن سقفها بالنقوش والزخرفة الرائعة (يراجع الشكل رقم ٢٠).

وفي أعلى الإيوان الكبير في وسط هذه «الطارمة» كتابات بالكاشاني تضمنت سورة الأعلى بكاملها، ثم كتبت تحتها في زاويتي

(١) ولعلّ ذلك كان برغبة الشيخ الحاج ميرزا حسين الميرزا خليل المتوفى سنة ١٣٢٦هـ، وقد نسب له تشييد هذه الطارمة في كتاب معجم أدباء الأطباء:

اليمين واليسار جملة (سلام على إبراهيم)، وثبتت في الوسط طغراء آل عثمان مع أرقام ١٣٣٢ تاريخاً لانتهاه.

وتبارى علماء الكاظمية وشعراؤها في نظم تاريخ سنة افتتاح هذه الطارمة، فقال الشيخ مهدي المراياتي مؤرخاً:

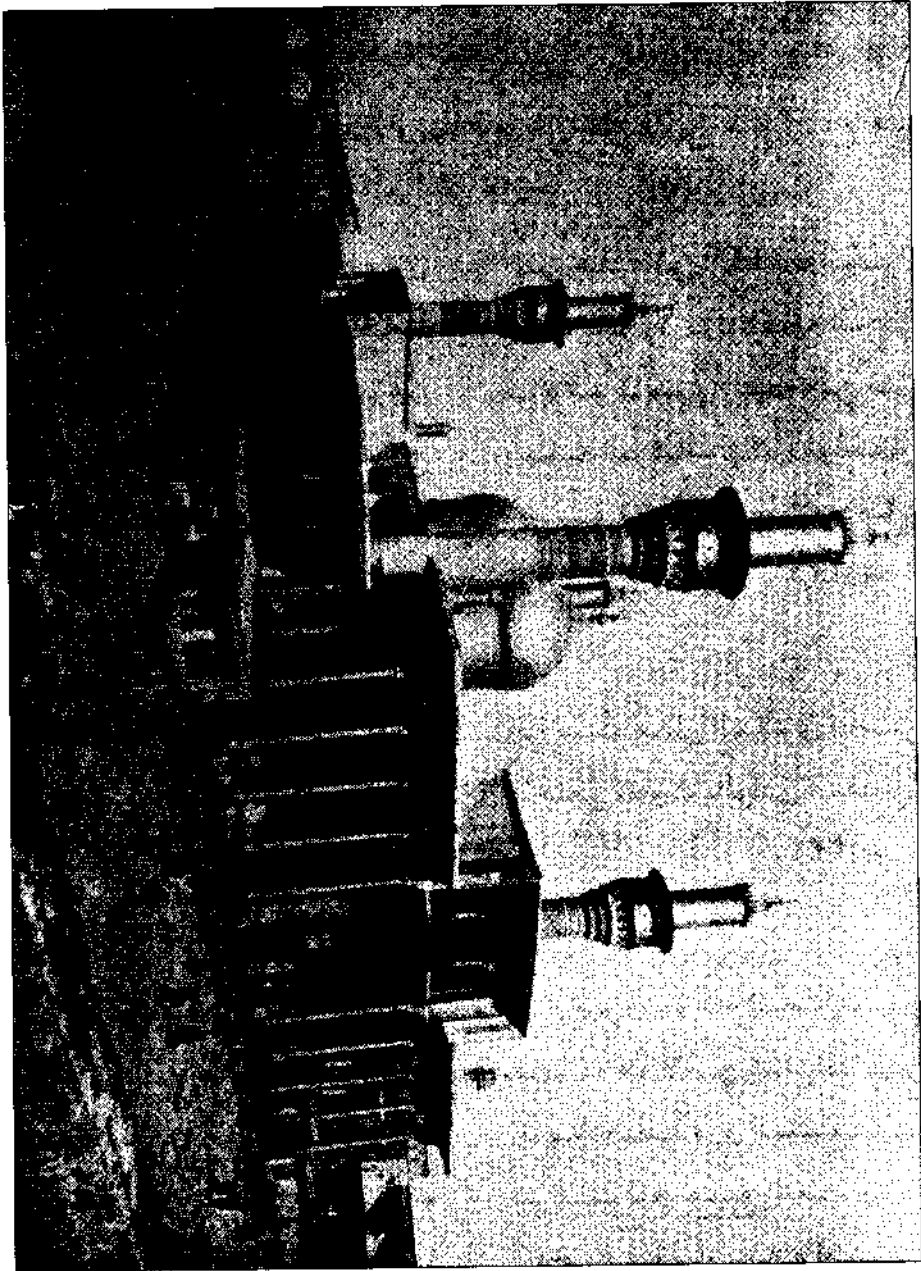
هذا هو البيت الذي ربُّ الهدى أثنى عليه في الكتاب المُنزلِ
 هيهات ما البيتُ وما مقامُهُ ما الحجرُ إلاّ دون فضله الجلي
 وهذه الشهبُ على علوّها توذُّ لو تهوي إليه من علِ
 يا طالب المعروف بُلِّغْتَ أرخ ببابه الركابَ وانزلِ واعقلِ
 وقف وكبّرُ خاضعاً أرختُهُ (وسلّم استلّم وحيّ وادخلِ)
 هـ١٣٣٢

وقال الشيخ راضي آل ياسين:

اعتكف فيه وقم مبتهلاً إنه بيتٌ على التقوى تأسس
 وإذا ما جئتَه أرخ (ألا فاخلعن نعليك بالوادي المقدس)
 هـ١٣٣٢

وقال الشيخ محمد السماوي:

هذه السدّة من يدخلها نال مرضاة إله العالمين
 يرتقي الداخلُ فيها منزلاً صانه الله لأمن الداخلين
 فهلما وادخلوها سُجّداً إنها حطةٌ وزر المذنبين
 زادهسا الله جلالاً فغدت بركاتٍ لجميع العالمين
 فلقد نادى الوري تاريخها (ادخلوها باستلام آمين)
 هـ١٣٣٢



الشكل رقم (٢٠): «صورة الطارمة الغربية التي تبدو في جهة اليسار».

واتفق في أثناء تعمیر هذه الطارمة أنَّ أحد النجارين بينما كان مرتقباً أحد الأعواد المرتفعة التي كانوا يقفون عليها لغرض تشييد السقف، إذ هَوَتْ به إحدى رجله فانحدر، لولا أنَّ قَدَّرَ اللهُ تعالى له أن يتشبَّث ثوبه بمسمار صغير نأىء بين الأعواد؛ فتعلَّق به ونجا من الموت، وفي ذلك يقول الشيخ كاظم سبتي:

إلهي بحبِّ الكاظمين حبوتني
فقوِّت نفسي وهي واهية القوى
بجودك فاحلُّ من لساني عقدة
لأنشر من مدح الإمامين ما انطوى
نويت وإن لم أشف من شأنئهم
وحسبي منهم أن للمراء ما نوى
لمرقد موسى والجواد برغمهم
أجل من الوادي المقدس ذي طوى
هوى مُذ أضاء النور من طوره امرؤ
كما أن موسى من ذرى الطور قد هوى
ولكن هوى موسى فخر إلى الثرى
ولما هوى هذا تعلَّق في الهوا^(١)



وفي شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ طُوِّبَتْ صفحة الاحتلال التركي من العراق، فطُوِّبَتْ بذلك الورقة الأخيرة من تاريخ هذه الفترة المتمادية التي بدأت في المحرم سنة ٦٥٦هـ. وفتح سجل جديد للتاريخ شاركت الكاظمية بكل طاقاتها وإمكاناتها في فتحه وتدعيمه وإسناده،

(١) ديوان الشيخ كاظم سبتي: ١٨٢.

وكان المشهد الكاظمي يومذاك مجمع الزعماء والقادة وملتقى رجال الثورة ومنبر التبشير بالعهد الجديد، وكان المشهد بقدسيته ومكانته الدينية وفخامة عمارته وروعة بنائه وبما تشيع في أرجائه من البركة والروحانية أجدر مكانٍ تختاره قيادة الثورة الإسلامية للتخطيط والبحث وإعلان القرارات، حتى كتب الله النصر لعباده المؤمنين وفتح لهم الفتح المبين، ورضخ المحتلون الإنكليز لإرادة الشعب الثائر؛ فنال العراق استقلاله وحرية التصرف في شؤونه، ثم كانت بعد ذلك أنباء وهنبثة، وعلى الله المعول.



المشهدُ الكاظمي
في وَضْعِهِ الحاضر

عمارة المشهد الكاظمي - في يومنا الحاضر - عمارة فخمة رائعة؛ يتجسد فيها الفن الهندسي الإسلامي بكل أصالته وعمقه وجماله، وتتجلى في معالمها عظمة اليد الماهرة الصانع بكل إتقانها ودقتها وإيمانها؛ وتتوهج في جنباتها أكداس الذهب والفضة والميناء بترصيف فريد وتناسق بديع ينطق برهافة الذوق وحذاقة العمل؛ ويتلألأ في سقوفها وجدرانها من أنواع الزخرفة والزركشة والتطعيم والتلوين ما لا يشبه له في كل متاحف الدنيا ومراكز الفن في العالم.

لقد اجتمع في المشهد الكاظمي - ببركة قدسيته الكبرى لدى المسلمين - عصارة عقول مئات من الفنانين الذين ذوّبوا مهجهم بدافع من العقيدة والإخلاص والحب العظيم ليجسموا الفن والصناعة عمارة خالدة لن تستطيع طمسها القرون؛ وثرورات آلاف من الأغنياء الذين قدموا أموالهم بسخاء منبعت عن الولاء والإيمان والود الكبير ليينوا هذا الصرح الشاهق السامق، فكانت خلاصة تلك العقول والأموال هذه البقعة المطهرة المباركة التي استهوت كل لب؛ وخلبت كل فكر؛ وشدّت إليها كل بصر، بما حوت من آيات الهندسة وضروب الفن وألوان الحسن والجمال والجلال. ولن يستطيع القلم مهما أوتي من البراعة في التصوير أن يحكي بعض ذلك أو يصل إلى أدنى مراتب وصفه، وقديماً قيل: ما راء كمن سمعا.

وسنحاول جهدنا في هذا الفصل أن نورد شرحاً كاملاً لهذه العمارة الشامخة ووصفاً مفصلاً لكل أطرافها وأجزائها وخصوصياتها، ليكون ذلك دليلاً صادقاً للقارئ المعاصر؛ وتاريخاً أميناً للأجيال التالية؛ عندما تتبدل الرؤى وتتغير المعالم بحكم تطور الفن وتقدم أساليب العمل المعماري السائر إلى الأمام.

الروضة

ونعني بها ذلك الفضاء المحيط بالضريح داخل المشهد مما اصطاح الناس على تسميته بـ«الروضة»، وهي تنقسم إلى قسمين أو روضتين: جنوبية تدعى روضة الإمام الكاظم (ع) وشمالية تدعى روضة الإمام الجواد (ع)، ويصل بينهما من الشرق والغرب طريقان ضيقان، ويقع الضريح المطهر في الوسط بين الروضتين (يراجع الشكل رقم ٢١).

إن طول الضريح الفضي ٦,٧٤ سم وعرضه ٥,١٧ سم، وترتفع أعلى نقطة فيه قرابة ثلاثة أمتار ونصف المتر عن الأرض، وهو مشبك ومنقوش على نحو جميل جداً كما مر في الشكل رقم (١٩) من هذا الكتاب.

وكان هذا الضريح الفضي قد تمّ صنعه لأول مرة في سنة ١٣٢٤هـ كما سلف ذكره، ثم سرعان ما دب التلف إلى بعض جوانبه وعلاها الصدا، فتنادى المؤمنون إلى تجديد تلك الجوانب بعد إضافة كميات كبيرة من الفضة إلى ما كان فيه منها، وتم ذلك في سنة ١٣٥٩هـ كما جاء في مادة التاريخ التي نظمها الشيخ حسن آل أسد الله بجملة «عمر الضريح»، وكان السيد عباس الورد الكاظمي هو الصائغ الذي أوكلت إليه مهمة التجديد.

وقد أقيم الضريح على قاعدة من الطابوق والإسمنت مغلقة من خارجها بالرخام؛ تعلو عن أرض الروضة ٢٢سم، ويعلو فوقها المشبك بارتفاع ١٤٢سم وبعرض ١٠٧سم لكل نافذة منه، ويفصل بين كل نافذة وأخرى فاصل أو عمود مطلي بالفضة بعرض ٢٠سم.

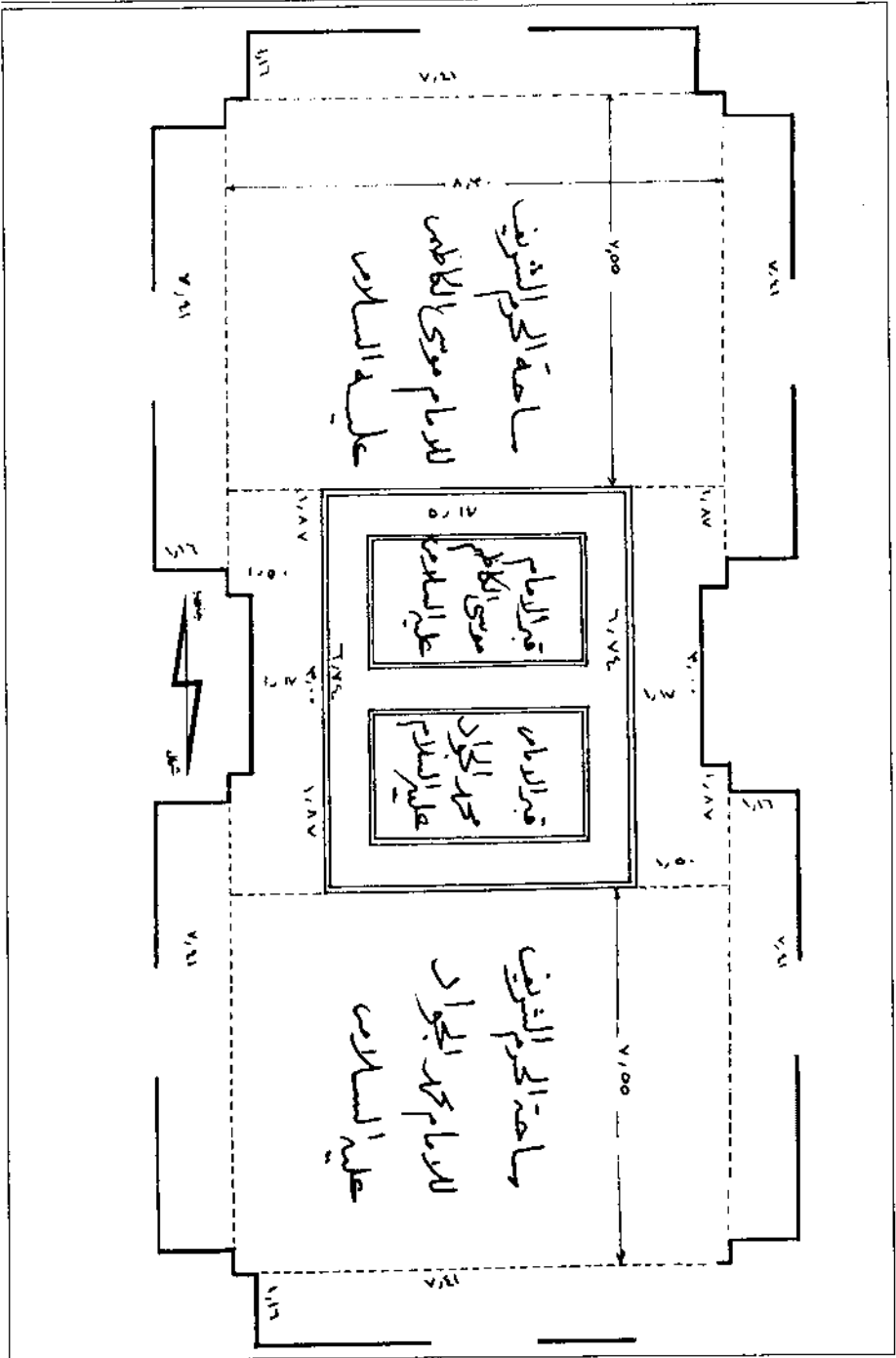
وفي سنة ١٣٨٥هـ وضعت كتيبة قرآنية بعرض ٢٤سم فوق الشبايك متصلة بها، وقد صنعت قاعدتها من الميناء وكتبت عليها بالذهب سورتا الدهر والفجر.

ثم تأتي فوق هذه الكتيبة نقوش ذهبية تدور حول الضريح كله بارتفاع حوالي ١٣٠سم، وقد تم صنعها في عام ١٣٧٨هـ، وكانت قبل ذلك من الفضة.

ويقع باب الضريح في وسط جهته الشرقية كما مر، ويدخل الضريح الصندوقان اللذان سبق وصفهما بالتفصيل في صفحة ٦٢ - ٦٨ من هذا الكتاب. وكان قد طرأ بعض الخلل على خشب الصندوقين وتطعيمهما؛ فتم إصلاحهما في سنة ١٣٦٣هـ، وقد بذل الحاج عبد الهادي الجلي الكاظمي نفقة إصلاح أحد الصندوقين وقدرها أربعة آلاف دينار، كما اشترك أربعة من التجار الإيرانيين في إنفاق أربعة آلاف دينار أخرى لإصلاح الصندوق الآخر.

والصندوقان مغلقان بالزجاج السميك حماية لهما من الغبار، وقد شارك في نفقة هذا الزجاج كل من الحاج عبد الهادي الجلي الكاظمي والحاج محمد علي أبو الصمون.

وسقف الضريح من الداخل من الخشب الساج الجيد المصنوع على شكل نقوش هندسية وزهرية، وقد تبرع بتجديده بعد إصلاح الصندوقين كل من الحاج حسن والحاج عباس أمين الكاظميين، وقام بعمله الحاج عبد الرسول مشكور النجار.



الشكل رقم (٢١): «مخطط الروضة الكاظمية بقسميها».

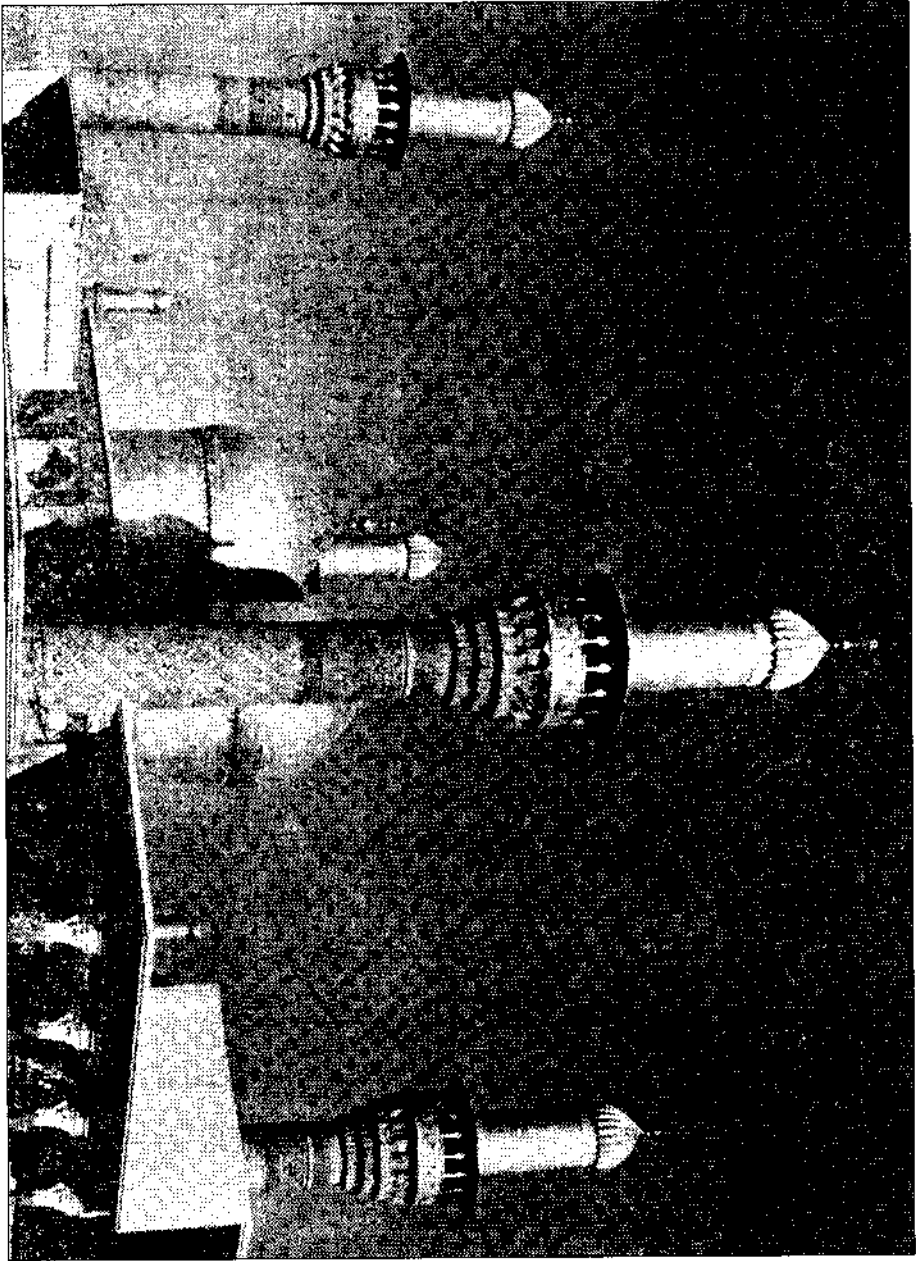
إن طول كل روضة عشرة أمتار واثنان وستون سنتيمتراً؛ بعرض سبعة أمتار وخمسة وخمسين سنتيمتراً. وطول كل من الطريقين الموصولين بين الروضتين ٦,٧٤سم؛ بعرض ١,١٧سم.

والروضة بقسميها وطريقيها مبلطة بالرخام الجيد، وتزين جدرانها من الأرض إلى ارتفاع ١٤٠سم قطع الرخام أيضاً، وقد تم عمل هذا الرخام في ٢٥ محرم الحرام سنة ١٣٧٠هـ، ثم يلي الرخام كتابة قرآنية بعرض ٧٥سم - وقد مر وصفها في صفحة ٥٧ - ٥٨ من هذا الكتاب -، وتبدأ بعدها النقوش الزجاجية الرائعة المسماة بـ«العينه كاري» مرتفعة على الجدران إلى باطن القبتين المنقوش بنقش الكاشاني الجميل.

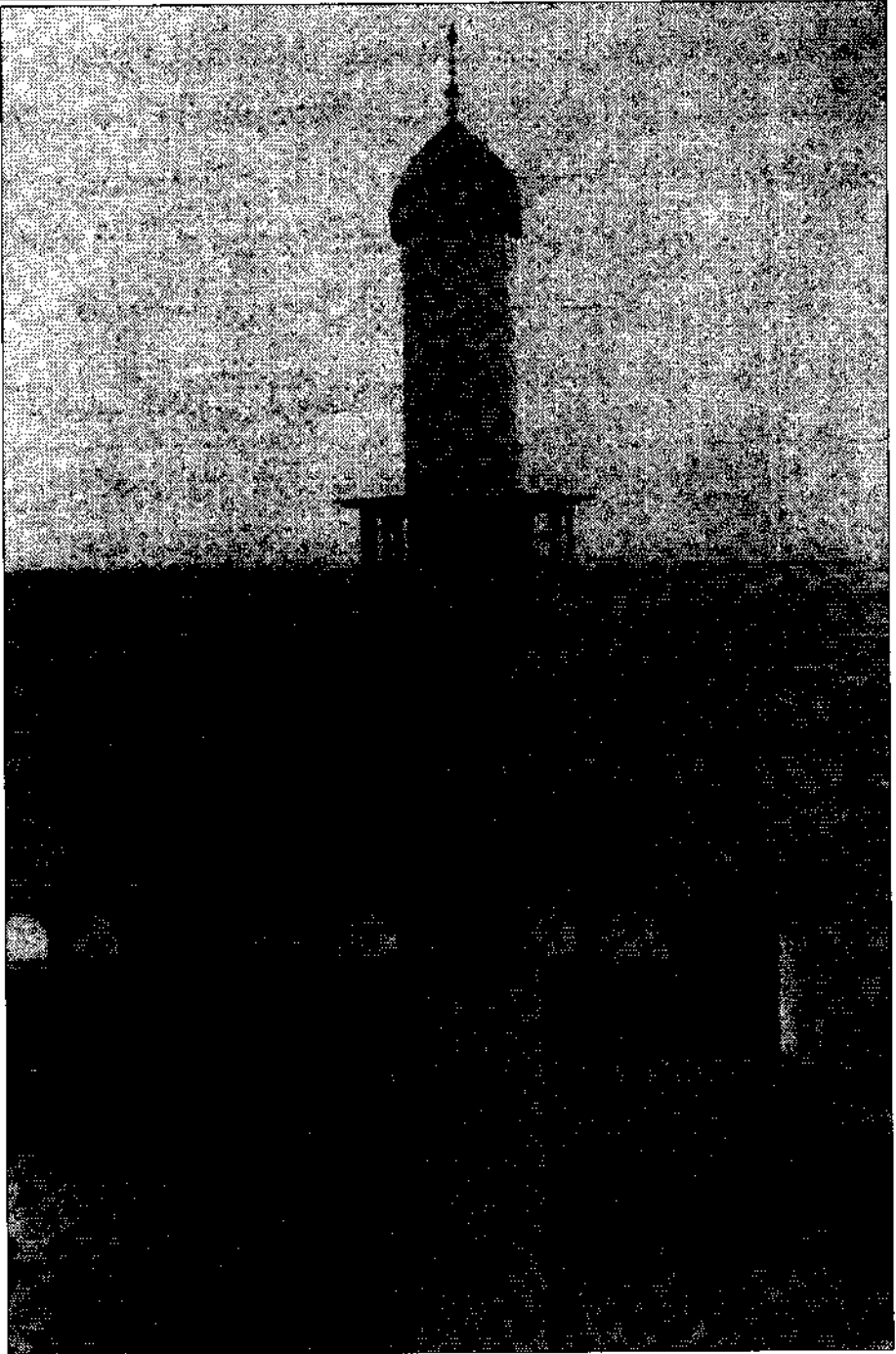
وفي أعلى الروضتين نوافذ ستة للتهوية والنور تنفذ على سطح الحرم، ويرتفع كل واحد منها حوالي مترين، وفوق هذه النوافذ من الخارج كتيبة قرآنية من الطابوق الكاشاني بعرض ٦٠سم تدور حول سطح الروضتين، وقد جددت سنة ١٣٨٧هـ.

والقبتان والمآذن الأربعة الصغيرة مغلفة - بأجمعها - بالذهب، وكذلك المآذن الأربعة الكبيرة في قسمها العلوي من مكان وقوف المؤذن فيها إلى قمته (يراجع الشكلان رقم ٢٢ و٢٣). وعلى الرغم من عدم استطاعتنا تحديد ارتفاع القبتين والمآذن وضبط قطر كل منها فقد علمنا من بعض المطلعين أن عدد الطابوق الذهبي في كل قبة تسعة آلاف طابوقة بامتداد ٢٠سم × ٢٠سم لكل واحدة.





الشكل رقم (٢٢): «صورة القبتين والمآذن الذهبية».



الشكل رقم (٢٣): «صورة تفصيلية لإحدى المآذن».

وللروضة بمجموعها ستة أبواب تنفذ على الأروقة المحيطة بها، وكانت تضم قبل ذلك ثلاثة أبواب وثلاثة شبايك، ثم استبدلت الشبايك بالأبواب لتسهيل حركة الزائرين في دخولهم وخروجهم، وصنع من الفولاذ شباكاً قברי الشيخ المفيد ونصير الدين الطوسي.
ونورد فيما يلي وصفاً لأبواب الروضة الستة.

١ - الباب الجنوبي لروضة الكاظم:

ذهبي. طوله ٣,٤٠سم. عرضه ٢,٠٠سم. صنع سنة ١٣٨٣هـ.
عليه لوحة من الميناء متصلة بإطاره الأعلى كتب عليها بالذهب ما نصه:

(اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيك صلواتك عليه وآله، وقد منعت الناس أن يدخلوا إلا بإذنه فقلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَدْخُلُونَ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. اللهم إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته كما أعتقدها في حضرته، وأعلم أن رسولك وخلفاءك (ع) أحياء عندك يرزقون، يرون مقامي، ويسمعون كلامي، ويردون سلامي، وأنت حجبته عن سمعي كلامهم؛ وفتحت باب فهمي بلذيت مناجاتهم. وإني أستأذنك يا رب أولاً، وأستأذن رسولك (ص) ثانياً، وأستأذن خليفتيك الإمامين المفروض عليّ طاعتهما موسى بن جعفر ومحمد بن علي الجواد والملائكة الموكلين بهذه البقعة المباركة ثالثاً. أَدْخُلْ يَا اللَّهُ. أَدْخُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. أَدْخُلْ يَا حُجَّتِيَّ اللَّهُ. أَدْخُلْ يَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ الْمُقِيمِينَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ. فَأَذْنا لِي يَا مَوْلِيَّ فِي الدَّخُولِ أَفْضَلَ مَا أَذْنتُما لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيائِكُما فَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِذَلِكَ فَأَنتُما أَهْلٌ لِذَلِكَ) (المتبرع الحاج محمد جواد محمد رضا. الساعي الشيخ محمد حسين المؤيد. الخطاط محمد علي الكاتب).

وفي الباب لوحة أخرى متصلة بأسفل الإطار الأعلى كُتِبَ عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

كما كُتِبَ على إطار الباب من جهاته الثلاث اليمنى والعليا واليسرى ما نصه:

قفوا استأذنوا والتموا خشعا	قباب الحوائج باب الدعا
قفوا. هاهنا كعبة الزائرين	وطوبى لمن نحوها قد سعى
بموسى بن جعفر أمن المخوف	إذا مسّه الضرُّ أو أوجعا
وقفنا ببابك أرجو النجاة	فما أعظم الباب ما أوسعا
بلى. فهي والله بابُ الإله	بها الله أُلطّافه أودعا
تغيب الهموم بأعتابها	وللسعد فيها نرى مطلقا
بها السيد الشافع المرتجى	لمن أبصر الحق فاستشفعا
ربيع البلاد ومدرارها	إذا الذنب صيّرها بلقعا
تمسكُ به فهو مسك التقى	وللعلم والحلم أنقى وعاء
هنا روعة الدين للناظرين	وسؤدد دنيا المعالي معا
ونور يضيء شغاف القلوب	ويهدي النفوس الشفا أجمعا
وضعنا محبته في المهاد	وفي القبر نفرشها مضجعا

أما مصراعا الباب فيحيط بهما شعر فارسي من جهاتهما الأربع، وتتأثر في وسطهما النصوص الآتية:

يا ذا الجود والنعمة	يا ذا الفضل والكرم
يا بارئ الذرّ والنسم	يا كاشف الضرّ والألم
صنع في أصفهان في عهد	الشيخ علي الكلیدار
يا عالم السرّ والهمم	يا رب البيت والحرم

يا خالق اللوح والقلم يا ملهم العرب والعجم

وتضمنت زوايا المصراعين النص التالي متفرقاً فيها:

«المتبرع لهذا الباب الذهبي. المتمسك بولاء الأئمة الأطهار.
الحاج إسماعيل الحاج قاسم. الساعي الشيخ مؤيد. زركري حاج محمد
حسين برورش. طراحي ومينا سزى شكر الله صنيع زاده. قلمزني أحمد
ديناري أصفهان ١٣٨٣. زير نظر حاج ميرزا أبو القاسم كوپائي».

٢ - الباب الشرقي لروضة الكاظم:

ذهبي. طوله ٣,٤٠سم. عرضه ٢,٠٠سم. صنع في سنة ١٣٨٤هـ.
عليه لوحة من الميناء متصلة بإطاره الأعلى كُتِبَ عليها بالذهب
نصٌ ما كُتِبَ على الباب السابق، ويليه اسم المتبرع الحاج محمد جواد
الحاج محمد رضا والساعي الشيخ محمد حسين المؤيد وتاريخ عمل
الكتيبة سنة ١٣٨٤هـ.

وفي الباب لوحة أخرى متصلة بأسفل الإطار الأعلى كتبت عليها
بالذهب آية التطهير، كما كُتِبَ على إطار الباب من جهاته الثلاث ما
نصه:

(تمَّ عمل هذا الباب المقدس.

أقام الهدى باباً لموسى بن جعفر
وقال: إلى الفردوس من هاهنا اعبر
وصاغ له من معدن اللطف حلية
بشهب السما قد رُصِّعَتْ لا بجوهر
له الله باب إن تجلى سناؤه
لشمس الضحى قال: اختفي وتستري

عن الصدق والإخلاص في الله صنعه
 يعبر إن أعيال لسان المعبر
 مثابة أمين واعتصام لمذنب
 ومنبع الطاف ويُسِر لمعسر
 فقف بذوي الحاجات واهتف مؤرخاً
 (بحاجاتك ايتي باب موسى ابن جعفر)

١٣٨٣

(من قبل الجمهورية العراقية الموقرة سنة ١٣٨٤)

أما مصراعاً الباب فكتب حولهما من الجهات الأربع سورة الدهر
 بكاملها؛ تليها جملة (صدق الله العلي العظيم. كتبه فضائي بأصفهان
 سنة ١٣٨٣).

وكتب على المصراعين من الأعلى إلى الأسفل وسط طرر مختلفة
 الشكل ما يأتي:

يا مجيب السدعات
 يا رافسع الدرجات
 سلام قولاً من رب رحيم
 سلام على إبراهيم
 تم في عهد سادن الروضة الكاظمية

الحاج شيخ علي كليدار ابن الشيخ حميد

وتضمنت زوايا المصراعين النص التالي متناثراً فيها:

(بسعي واهتمام. المتصدي الشيخ حسين مؤيد. تحت نظر حاج
 ميرزا. أبو القاسم كوپائي أصفهاني. طراحي ومينا سازي. شكر الله
 صنيع زاده. سازنده حاج حسين پرورش. قلم زني أحمد ديناري).

٢ - الباب الغربي لروضة الكاظم:

فضي؛ في وسطه كتابات بالذهب. طوله ٣,٤٠سم. عرضه ٢,٠٠سم. صنع سنة ١٣٣٩هـ. كتبت حول المصراع الأيمن من جهاته الأربع الأبيات التالية:

أقول لأسرتي وذوي ودادي	ومن شاء النجاة من العبادِ
وعند الله رام علو قدرٍ	وشاء الفوز في يوم التنادِ
إلا حثوا ركائبكم خفافاً	إلى باب الحوائج والمرادِ
هناك تمسكوا بضريح قدسٍ	سما فوق الضراح بذوي الأيادي
غياث المعتفي حرز اليتامى	لدى الجلى محمد الجواد
وقفنا على باب الحوائج وقفةً	لنا قُضيت فيها جميع الحوائج



وكتبت على المصراع الأيسر من أطرافه الأربعة الأبيات التالية:

إلهي بحب الكاظمين حبوتني	فقويت نفسي وهي واهية القوى
بجودك فاحلل من لساني عقدةً	لأنشر من مدح الإمامين ما انطوى
نويت وإن لم أشف من شانئهم	فحسبي منهم أن للمرء ما نوى
لمرقد موسى والجواد برغمهم	أجل من الوادي المقدس ذي طوى
هوى مذ أضاء النور من طوره امرؤ	كما أن موسى من ذرى الطور قد هوى
ولكن هوى موسى فخر إلى الثرى	ولما هوى هذا تعلق في الهوى



وكتب على المصراعين من الأعلى إلى الأسفل على طرر مختلفة الأشكال ما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم
 ايندر كعبه اميد گدا وشاه است
 قال جل شأنه : وسيق الذين اتقوا
 ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها
 وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
 سلام عليكم طبتم فادخلوها
 خالدين . صدق الله . عمل محمد
 حسن قلم زن سنة ١٣٣٩ .
 روي حاجات جهان جمله
 براي نندر كاه است
 قال النبي صلى الله عليه وآله
 وللباب عضادتان فضيتان نقشت فيهما جملة «يا باب الحوائج» .

إنا فتحاً لك فتحاً مبيناً
 ايندر قبله حاجات ونجات همه خلق
 هو الواقف . وقف نمود مرحوم
 مبرور حاجي محمد علي أفضل
 تاجر شوستري . حسب الفرمايش
 عمدة التجار حاجي محمد تقى
 أفضل تاجر شوستري بسعي
 واهتمام سيد محمد رضا معلم
 عمل استاد رجب علي زرگر .
 كتبه شيخ علي .
 مقصد هر دو جهان حاصل
 ازين نندر كاه است
 مثل أهل بيتي كسفينة نوح

٤ - الباب الشمالي لروضة الجواد:

فضي؛ في وسطه كتابات بالذهب . طوله ٣,٤٠سم . عرضه
 ٢,٠٠سم . صنع سنة ١٣٤٠هـ . كتبت حول المصراع الأيمن من جهاته
 الأربع الأبيات التالية:

ما هذه القبة الحمراء قد ظهرت
 قامت على الفلك الأعلى قوائمها
 ظننتها أنها شمس الضحى شرقت
 فالعقل عاتبني من أنها خلقت
 حارت عقولٌ لعلياها فإن بها
 وأشرقت من سناها الشمس والقمرُ
 من نورها بانء الآيات والزبرُ
 أنوارها وبدت في الكون تشتهرُ
 من نورها الشمس منها نالت الغور
 أسرارَ حكمة علم الله مدخر (كذا)

مذ كان مدفن موسى والجواد بذا جبريل في لشم باب منه يفتخر

حرره الجاني علي ١٣٤٠

وتحيط بالمصرع الأيسر من جهاته الأربع الآيات التالية:

ذا شامخ الطور أم ذا باذخ النور
هو المقدّس واديه فزائره
ناج ابن جعفر واعلن [في] تحيته
واطلب مرادك واستجد الجواد تفرّ
فذا مقام عليّ سرُّ الإله به
باب الحوائج باب الله فاغتنموا
وكتب على المصرعين من الأعلى إلى الأسفل على طرر مختلفة
الأشكال ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبينا

يا إمام محمد الجواد. يا باب

المراد ١٣٤٠

رواكننده حاجات موسى جعفر

هو الموفق لكل خير.

وقف نمود جناب حاجي عبد النبي

خلف مرحمت پناه حاجي عبد العلي

تاجر كازراني. بسعي واهتمام

جناب حاجي عبد الرحيم تاجر

بهبهاني. عمل استاد رجب علي

ولد مرحوم حاجي فتح الله زركر

شوشتري ١٣٤٠

شفيع خلق امام جواد خوانندش

چه خر كهي است كه حصن العباد

دانندش

قال جل شأنه: وسيق الذين اتقوا

ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا

جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم

خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها

خالدين. صدق الله. بقلم رني

محمد حسن بن مرحوم شيخ

موسى.

چه درگهي كه باب المراد نا مندش

چه درگهي كه باب المراد نا مندش

قال النبي صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها
وللباب عضادتان من فضة نقشت عليهما كلمتا «يا باب المراد».

٥ - الباب الشرقي لروضة الجواد:

فضي . طوله ٣,٤٠سم . عرضه ٢,٠٠سم . صنع في سنة ١٣١٤هـ .
يحيط بالمصراعين من كل أطرافهما شعر فارسي . وفي وسط
المصراعين من الأعلى إلى الأسفل ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم	إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً
دوم تقي جواد ان يگانه كه بود	بروي انكه زند دم همي زدين مبین
زایران این حرمز راهردم ازعرش	میر سداواز طبتم فادخلوها خالدین
برین ضیای دیده رسل ختم	بگفت چارده چون شدپس ازهزار
رسول آمین	سه صد
یا قاضي الحاجات	یا کافي المهمات
الباني حاجي محمد جواد بن	تمام شد این در مطهر بسعي
مرحوم حاجي محمد تقي سنة	آقا يد حسن بصام

١٣١٤.

٦ - الباب الغربي لروضة الجواد:

فضي . طوله ٣,٤٠سم . عرضه ٢,٠٠سم . صنع في سنة ١٣٢٧هـ .
يحيط بالمصراعين من كل جهاتهما شعر فارسي . وفي وسطهما من
الأعلى إلى الأسفل كتابات نصها :

وكان سعيكم مشكوراً	فادخلوها بسلام آمنين
إذا جاء نصر الله والفتح	ورأيت الناس يدخلون في دين الله

أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً
عمل حسين نقاش زركر كر مانشاهاني ١٣٢٧



الأروقة

تحيط بالروضة من أربع جهاتها أروقة مفتوح بعضها على بعض ومتصل بعضها ببعض، وكلها مبلطة بالرخام الجيد، وقد تم تبليطها به لآخر مرة في سنة ١٣٨٠هـ.

كما أن جدران الأروقة بأجمعها مزينة إلى ارتفاع أربعة أمتار بالرخام أيضاً، وقد تم ذلك في سنة ١٣٧٥هـ، وترتفع فوق هذا الرخام في الجدران والسقوف زينة الزجاج الأبيض الوهاج المنسق على أجمل الأشكال الهندسية؛ مما يسمى بـ«العينه كاري»، وقد تم تجديده في سنة ١٣٨٢هـ.

ونورد فيما يلي وصفاً شاملاً لهذه الأروقة بما تتضمنه من المعالم الفنية والتاريخية وما يشرع فيها من أبواب الدخول:

١ - الرواق الشمالي:

طوله ٢٧ متراً و٩٠ سم. عرضه ٤,٣٠ سم.

يتصل من جهته الجنوبية بالروضة؛ وبينه وبينها باب مرّ وصفه، ويتصل من جهته الشمالية بالجامع الصفوي وبينهما شبابيك حديد كبيرة.

٢ - الرواق الغربي:

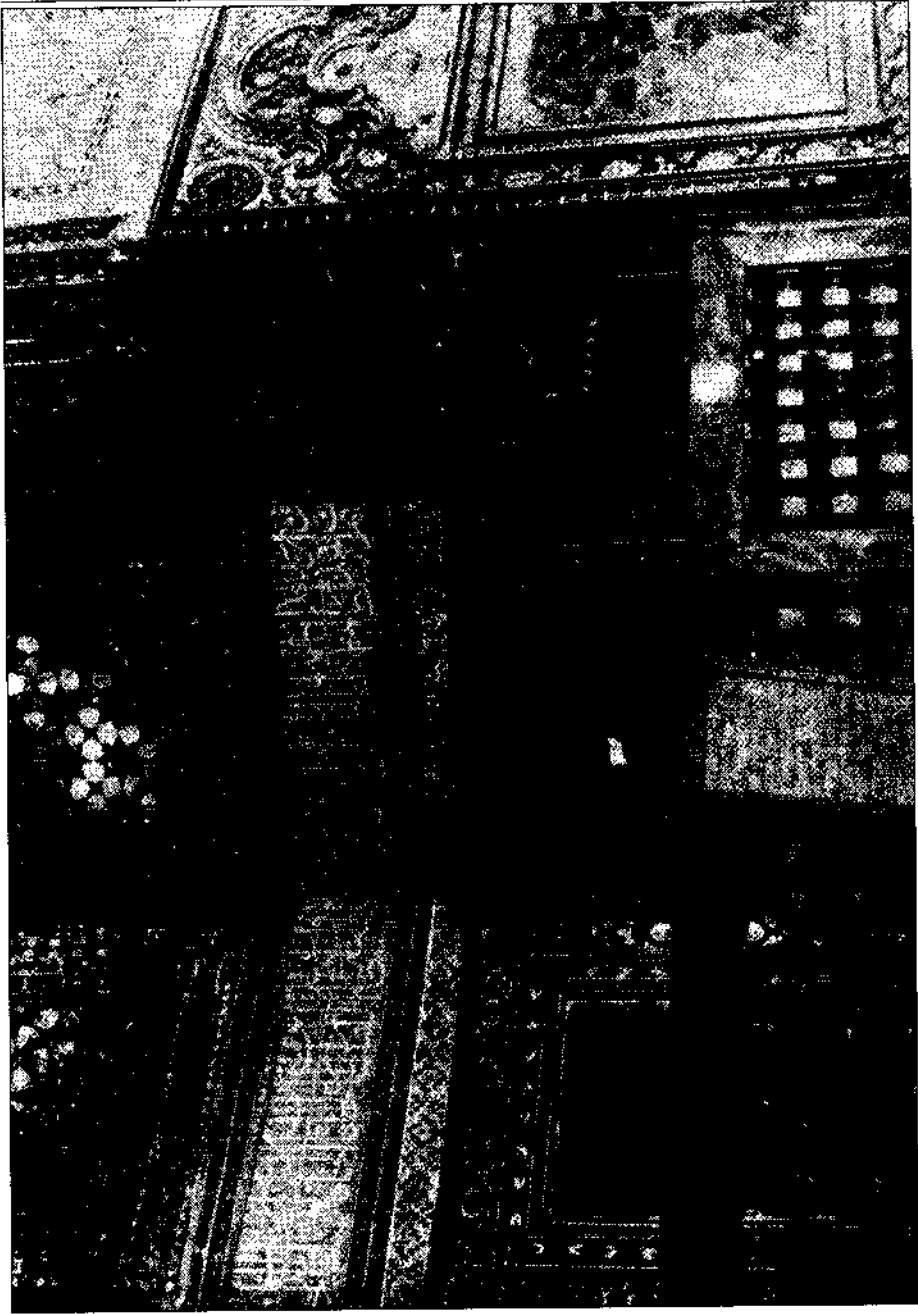
طوله ٣٨ متراً و١٥ سم. عرضه ٤,٣٠ سم.

يتصل من جهته الشرقية بالروضة؛ وبينه وبينها بابان سلف ذكرهما، ويتصل من جهته الغربية بطارمة صحن قريش، وبينه وبينها باب خشبي في الوسط ليست في كتابات أو نقوش. وكان التاجر العدني الحاج فقير قد اقتطع من هذا الرواق نصفه وأحاطه بسياج من الطرفين ليكون مصلىً خاصاً بالنساء؛ واشتهر على ألسن الناس باسم مسجد الحاج فقير، ثم هدم السياج بعد ذلك وأعيد اتصال هذا المصلى بالرواق.

وفي وسط هذا الرواق من الجهة المتصلة بالروضة إيوان كبير فيه قبر نصير الدين الطوسي. ويحجز هذا الإيوان عن الرواق شبك فولاذي بطول الإيوان، وفي داخله على امتداد أضلاع جداره كتابة بالطابوق الكاشاني هذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. هذا مرقد سلطان الحكماء المحققين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي. قد عمر في عهد سلطنة السلطان ابن السلطان والخواقان ابن الخاقان ناصر الدين شاه قاجار خلد الله ملكه وسلطنته، بأمر حضرت الشاهزاده الأمجد الأشرف معتمد الدولة فرهاد ميرزا أدام الله شوكته. تاريخ في سنة ١٣٠٤) (يراجع الشكل رقم ٢٤).





الشكل رقم (٢٤): «شباك قبر نصير الدين الطوسي».

٣ - الرواق الشرقي:

طوله ٣٨ متراً و١٥ سم. عرضه ٤,٣٠ سم.

يتصل من جهته الغربية بالروضة، وبينه وبينها بابان مرّ ذكرهما، ويتصل من جهته الشرقية بطارمة باب المراد، وبينه وبين الطارمة ثلاثة أبواب نورد وصفها فيما يلي:

أ - الباب الشمالي:

فضي. طوله ٣,٤٠ سم. عرضه ٢,٠٠ سم. صنع في سنة ١٣٦٨ هـ.

كُتِبَ عَلَى الْقِسْمِ الْأَعْلَى مِنْ إِطَارِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَهَا وَقُفِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

ووردت في المصراعين من الأعلى إلى الأسفل النصوص التالية:

قلت إذ شاده محمد أرخ
حلّ بالكاظمين باب المراد ١٣٦٨
ولاية علي بن أبي طالب حصني
ومن دخل حصني أمن من عذابي
بسعي استاد عباس زركر أصفهاني،
بعمل محمد علي پسند صايغ
واخوان محمد باقر بن عباس
أصفهاني سنة ١٣٦٩
على نفقة ولده الميرزا داوود،
وذلك في عصر الشيخ علي كليدار
نجل المرحوم الشيخ عبد الحميد.
وأيقنتُ أني فائز بقبولها
فإنكما أهل المكارم والجود

باب قدس بالكاظمين تسامى
شرفاً واعتلى على النيرين
سلام على آل يس. علي مع الحق
والحق مع علي
والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين
أنشئ هذا الباب المبارك بوصية
من المغفور الحاج محمد الوتار
خدمتكما يا سيدي بخدمة
تمكنتُ منها وهي غاية مجهودي

ب - الباب الجنوبي:

فضي . طوله ٣,٤٠سم . عرضه ٢,٠٠سم . صنع في سنة ١٢٩٤هـ .
نُصِب بعد صنعه في وسط طارمة باب المراد، ثم نقل إلى هذا المكان
ليوضع باب ذهبي موضعه .

ليست في إطاره كتابات، ويحيط بأطراف المصراعين شعر فارسي،
وفي وسطهما من الأعلى إلى الأسفل دوائر ونقوش كُتبت فيها النصوص
الآتية:

هو الواقف على ضماير العباد	راقمه فرهنگ بن الوصال الطائفة (كنا)
اين يكزوج باب شريف رابراستانه	الحاج معتمد الدولة فرهاد ميرزا
مباركه كاظمين صلوات الله وسلامه	بن مرحمت وغفران مآب وليعهد
عليهما وعلى آبائهما الطاهرين كه	دولت عليه ايران عباس ميرزا
معروفست بباب المراد؛ وقف بنده	طيب الله ثراه وجعل بحابيح
ذليل خاكسار كلب استان ائمة اطهار	الجنان مشواه، في سنة
عليهم السلام ١٢٩٤	أربع وتسعين ومائتين بعد الألف
كتبه العبد الجاني ابن الوصال يزداني	الأول من الهجرة المقدسة المباركة
	خادم سيد محمد مهدي نقاش

ج - الباب الأوسط:

ذهبي . طوله ٣,٧٠سم . عرضه ٢,٨٠سم . صنع في سنة ١٣٨٧هـ .

تتصل به فوق إطاره الأعلى لوحة مستطيلة من الميناء كُتِب عليها
بالذهب قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] .

وعلى طرفي الباب لوحتان من الميناء طول الواحدة منهما ٢,٠٠ سم بعرض ٥٠ سم كُتب عليهما بالذهب ما نصه:

(الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلا الله والله أكبر. الحمد لله على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا إليه من سيّله. اللهم إنك أكرم مقصود وأكرم مأتي، وقد أتيتك متقرباً إليك بإبني بنت نبيك صلواتك عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبائهما الطيبين. اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ولا تخيب سعبي، ولا تقطع رجائي، واجعلني عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. المتبرع لهذا الباب الذهبي الحاج عبد الرسول علي الصفار؛ بمساعي الشيخ مؤيد. سازنده مينا شكر الله صنيع زاده أصفهان).

وعلى إطار الباب من أطرافه الثلاثة أشعار فارسية.

ويحيط بمصراعي الباب من الجهات الأربع القصيدة التالية:

وجه ينير ووجه يستفيض هدى	وجهان للحق غير الله ما عبدا
ففيهما الفوز ديناً والنجاة غدا	هما الجواد وموسى فاعتصم بهما
أو السناد لظهر يبتغي سندا	هما العماد لمن طاحت به عمد
كان الرفيع على بابيهما سجدا	فلا غرابة لو أن النضار وإن
تجنّباً عنه في دنياه وابتعدا	أو جاء يطلب قربي من مواهب من
أعتاب شهمين ما مداً إليك يدا	يا أيها الذهب الوهاج فز برضا
هما إمامان إن قاما وإن قعدا	فلا تسلني حديثاً عن مقامهما
واعتقد على حبه من تبرك العقدا	فالشم لآل رسول الله تربتهم
ولم يكن قط يوماً مخضهم زبدا	هم زبدة الكون نفعاً إن مخضتهم
هم كالشهور إذا أحصيتهم عددا	هم عدة النفس ما ارتابت بعدتهم
بنصره فوفى كلّ بما وعدا	قد عاهدوا الله في التقوى وعاهدهم
شمالاً وأصبح شمل المعتدي بددا	شاء الطغاة لها التفريق فاجتمعت

وكل معتقل أمسى لهم بلدا
 يحج للبيت يبغي الحق من قصدا
 كيف انتهت وكذا من عاش مضطهدا
 وللعفاة إذا ما أبلسوا عمدا
 ضاق الزمان فأمسى عيشه نكدا
 ومن أضع هدى خيرٍ بهم وجدا
 وفداً إذا الزاد من أعماله نفدا
 بهم ليمتاز عن صدِّ من وردا
 من دونهم آدمٌ فخراً وما ولدا
 ملء الفراغ سواهم لم تجد أحدا
 وصلاً فلم يتفصم عقدها زردا
 (سبح النضار على أبوابهم سجدا)

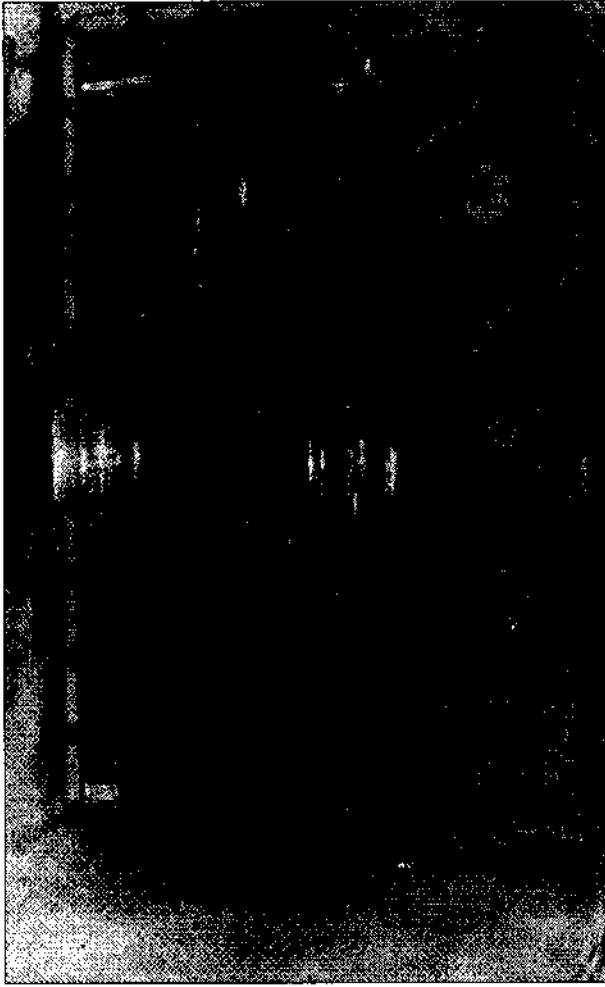
١٣٨٧ كتبه فضائلي

وفي وسط المصراعين نقوش في داخلها النصوص الآتية:

الإمام محمد الجواد
 محمد بن علي جواد الأئمة
 قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة
 في القربى
 قلمزني أحمد ديناري وخطاطي
 حبيب الله فضائلي بنظارت حاج
 ميرزا ابو القاسم كوپائي بمساعي
 الشيخ مؤيد في عهد الحاج

فكل منقى لهم أمسى لهم وطناً
 تحجه الناس من أقصى البلاد كما
 فاعجب لغاية مظلومين قد قُهرَا
 إن أصبحوا للورى كهفأً تلوذ به
 كم فرَّجت بهم جُلَى أشم به
 فمن دجا ليل مسراه استنار بهم
 قوم هُم زاد من يمشي لخالقه
 حوض الولاء وحوض الكوثر اتحدا
 إليهمُ أنهت الدنيا مفاخرها
 وإن تلفتت الدنيا لمعتصم
 قد أحكموا العروة الوثقى بخالقهم
 ما قيمة التبر ممن إذ نورخهم

الإمام موسى بن جعفر
 موسى بن جعفر باب الحوائج
 إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
 أهل البيت ويظهركم تطهيراً
 زرگري وطلا كاري حاج محمد
 حسين پرورش مينا سازي
 شكر الله صنيع زاده اهداء
 الحاج عبد الرسول علي الصفار
 (يراجع الشكل رقم ٢٥).



الشكل رقم (٢٥): «صورة الباب الذهبي في وسط طارمة باب المراد».

وفي وسط هذا الرواق من الجهة المتصلة بالروضة إيوان كبير فيه قبر الشيخ المفيد، ويفصل هذا الإيوان عن الرواق شباك فولاذي بطول الإيوان، وقد كُتبت بالفولاذ في أعلى هذا الشباك على امتداده كلمات متقطعة هذا نصها:

(يا الله . يا رحيم . يا حكيم . يا حلیم . يا علیم . يا كريم . يا الله .
يا محمد . يا علي . يا فاطمة . يا حسن . يا حسين . يا علي . يا محمد .

يا جعفر. يا موسى. يا علي. يا محمد. يا علي. يا حسن. يا مهدي.
هؤلاء. أئمتي. وسادتي. وقادتي. وشفعائي. في يوم. القيامة. هذا.
مرقد. الشيخ. المفيد. عليه. الرحمة. سنة ١٣٢٨. يا الله).

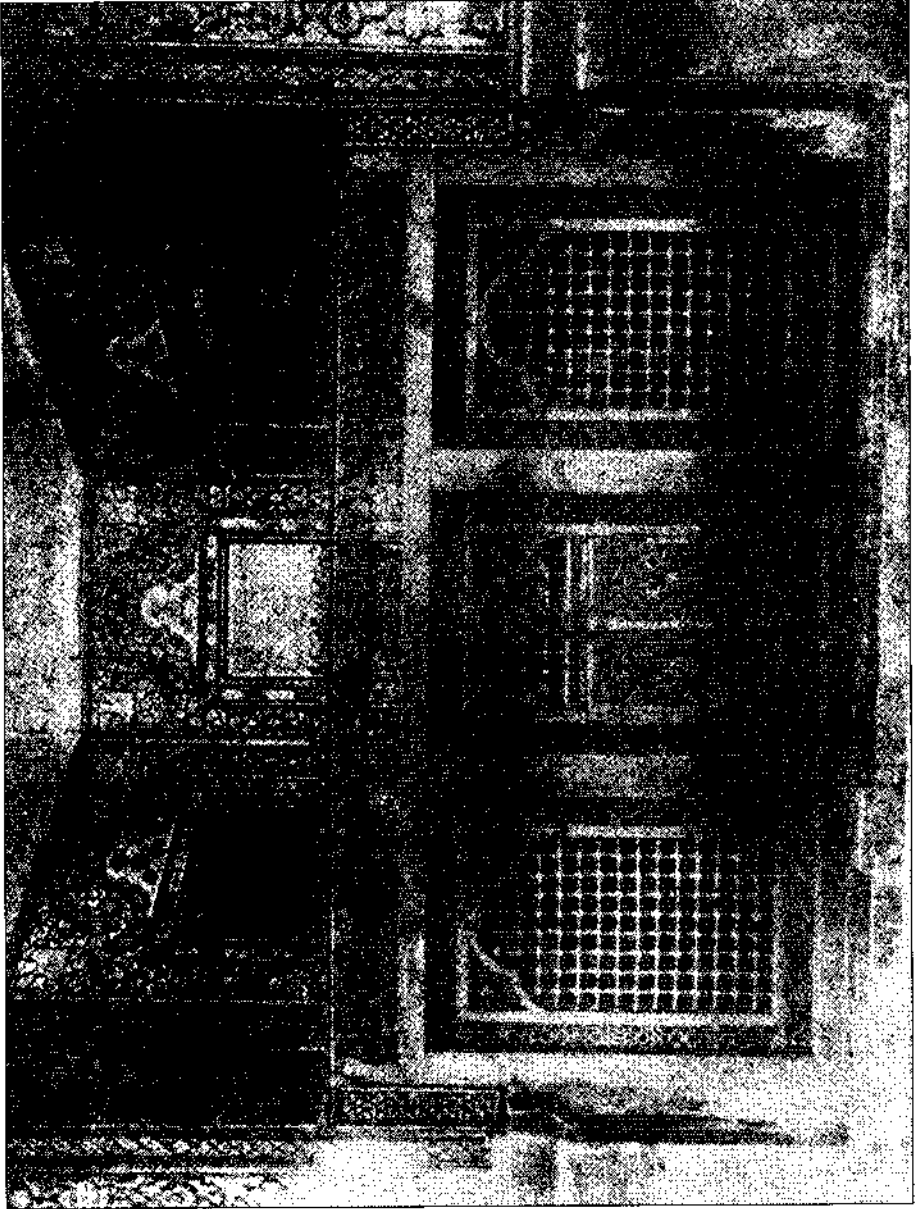
ويلي ذلك سطر فولاذي بطول الشباك تضمن الأبيات التالية في
رثاء المفيد:

لا صَوَّتَ الناعي بفقدك إنه يومٌ على آل الرسول عظيمٌ
إن كنتَ قد غُيِّبَتْ في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيمٌ
والقائم المهديُّ يفرح كلما تُليِّتَ عليك من الدروس علومٌ
وانتشرت في أطراف الشباك كلمة «يا الله» ثلاث مرات وكلمة «يا
محمد» مرتين وكلمة «يا علي» مرتين.

وفي داخل الإيوان في أعلاه قطعة رخام حُفِرَ فيها النص التالي:

(هذا مرقد الشيخ المفيد أبو (كذا) عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان بن عبد السلام التلعكبري البغدادي. ولد يوم الحادي عشر من
شهر ذي القعدة سنة ٣٣٦، وتوفي ليلة الثالث من شهر رمضان سنة
٤١٣، ودفن في هذا المكان بجانب قبر شيخه الشيخ الفقيه أبي القاسم
جعفر بن قولويه القمي المتوفى سنة ٣٦٨) (يراجع الشكل رقم ٢٦).





الشكل رقم (٢٦): «شباك قبر الشيخ المفيد».

٤ - الرواق الجنوبي:

طوله ٢٨ متراً. عرضه ٤,٣٠ سم.

يتصل من جهته الشمالية بالروضة، وبينه وبينها باب واحد سبق وصفه، ويتصل من جهته الجنوبية بطارمة باب القبلة، وبينه وبين الطارمة ثلاثة أبواب نورد وصفها فيما يأتي:

أ - الباب الشرقي:

خشبي. ليست فيه كتابات أو نقوش. في أعلاه مثلث كبير من الطابوق الكاشاني وردت فيه الكلمات الآتية متفرقة بين نقوشه:

موسى. ابن. جعفر. والجواد. ومَنْ. هما. سرُّ. الوجود.
هذا. ملاذ. الخائفين. وذلك. مأوى. للوفود.

سنة ١٣٦٠.

وفي وسط الكاشاني المشار إليه الأبيات التالية:

لذبابٍ للجوادين غدا صدر أهل الدين فيه منشوخ
تسجد الأملاك في أعتابه وبه من لاذ بالخير ريخ
قلتُ للسائل عن تاريخه (لذبابٍ للجوادين فتح)

١٣٥٩

ب - الباب الغربي:

خشبي. ليست فيه أية كتابة. فوق الباب كاشاني معرَّق كُتب في وسطه ما نصه:

باب قدسٍ للجوادين بهِ كلُّ همٍّ للبرايا ينجلي
بالإمامين ثرى أعتابه شرفاً فوق الثريا يعتلي
أيها السائل عن تاريخه (قم فبشِّرْ فاتح الباب علي)

المؤرخ شيخ جعفر نقدي سنة ١٣٥٧.

ج - الباب الأوسط:

ذهبي . طوله ٣,٥٠سم . عرضه ٢,٦٠سم . صنع في سنة ١٣٨٣هـ .
تتصل به فوق إطاره الأعلى لوحة مستطيلة من الميناء كُتِبَ عليها
بالذهب ما نصه :

(الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله والله أكبر . الحمد لله على
هدايته لدينه والتوفيق لما دعا إليه من سبيله . اللهم إنك أكرم مقصود
وأكرم مأتى ، وقد أتيتك متقرباً إليك بإبني بنت نبيك صلواتك عليهما
وعلى آبائهما الطاهرين وأبائهما الطيبين . اللهم صل على محمد وآل
محمد ، ولا تخيب سعيي ، ولا تقطع رجائي ، واجعلني عندك وجيهاً في
الدنيا والآخرة ومن المقربين . المتبرع الحاج عبد الرسول علي الصفار .
الساعي الشيخ محمد حسين المؤيد . سنة ١٣٨٣) .

وعلى يمين الباب ويساره لوحتان متصلتان بالإطار كُتِبَ على
أولاهما : (يا أبا جعفر مولانا محمد بن علي البر التقي الجواد (ع)) وعلى
ثانيتها : (يا أبا إبراهيم مولانا الإمام الهمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)) .
وتحت الإطار الأعلى لوحة متصلة به كُتِبَ عليها بالذهب قوله
تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا فَاذْخُلُوا خَالِدِينَ﴾ [الزمر : ٧٣] .
وعلى إطار الباب من جهاته الثلاث شعر فارسي .

وكتب على أطراف المصراعين القصيدة التالية :

باب تجلى نوره وضيأؤه	وبدا أمام الناظرين بهاؤه
قد صيغ من ذهب يضيء وفضية	تزهو فأشرق حسنه ورواؤه
بهر العقول جماله وكماله	وحكى النجوم صفاؤه ونقاؤه
هو آية في الفن أبدع صنعه	فكر أنار له السبيل ولاؤه
باب تود الشمس لوهي أثبتت	فيه فأين سناؤها وسناؤه

وعليه نور الله جل ثناؤه
بحماه إلا واستجيب دعاؤه
إلا وزال بلاؤه وعناؤه
ما جاءه راج وخاب رجاؤه
مستعطف إلا وزيد عطاؤه
قد ناطح السبع الشداد بناؤه
يوحى بمختلف العظاظ بقاؤه
وكأن من طافوا به قراؤه
ويدت معالمه ورف لواؤه
أرض العراق بقبرهم وسماؤه
دون الأنام وإنهم خلفاؤه
والمرء يحمل سره أبناؤه
وبهم تجسّم عزمه ومضاؤه
وبهم تمثّل زهده وسخاؤه
بلغ الكمال رجاله ونساؤه
في الخافقين وأورفت أفاؤه
أنواره وتقدّست آلاؤه
وترددت ما بينهم أصداؤه
قامت وكلّ العالمين فداؤه

باب الكرامة والإمامة والهدى
باب الحوائج ما دعا متضرع
باب المراد وما أتاه مروّع
باب الرجاء وفيه يزدهر المنى
باب العطاء وما استجار بطلّه
في بقعة سعدت بأقدس مرقد
باقٍ على مرّ العصور وإنه
فكأنّ هذا القبر سفرٌ خالد
ضمّ الذين بفضلهم قام الهدى
وهم الذين تشرّفت وتقدّست
آل النبي وإنهم خالصاؤه
هم فرع دوحته وعيبة سرّه
فيهم تجسّد علمه وكماله
وبهم تجلّى عدله وجهاده
بيت النبوة والإمامة حيث قد
الله بيت أينعت أثماره
وتفجرت أنهاره وتلاّأت
وسرث إلى كل الشعوب هباته
بيت جميع الكائنات لأجله

وكتب على المصراعين من الأعلى إلى الأسفل ما نصه:

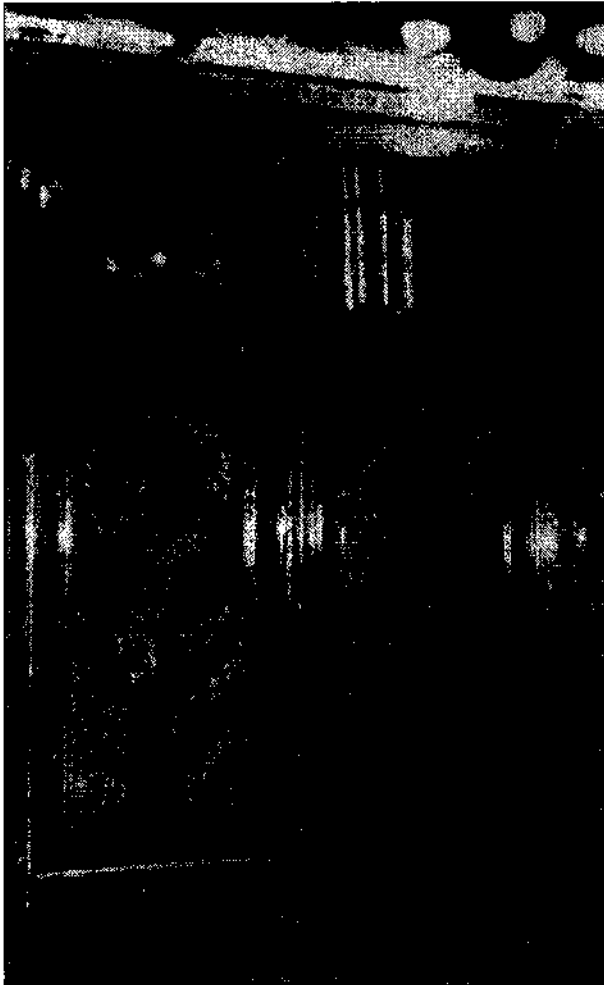
الحاج عبد الرسول علي الصفار
الساعي الشيخ مؤيد
أنا مدينة العلم وعليّ بابها
لا يضرّ معها سيئة

المتبرع لهذا الباب الذهبي المتمسك
بولاء الأئمة الأطهار
قال رسول الله صلى الله عليه وآله
حبّ عليّ حسنة

الشيخ علي الكلیدار
وقلمزني احمد ديناري ونظارت
حاج ميرزا ابو القاسم كوپائي
باتمام رسيد

صنع في أصفهان في عهد
در اصفهان بزرگري حاج محمد
حسين پرورش. طراحي ومينا
سازي شكر الله صنيع زاده

(يراجع الشكل رقم ٢٧).



الشكل رقم (٢٧): «صورة الباب الذهبي في وسط طارمة باب القبلة».

الطارمات

يحيط بالأروقة الشرقية والجنوبية والغربية ثلاث طارمات فسيحة مسقّفة مستطيلة منفصلة عن الصحن بسياج من الحديد المشبّك، يتقي بها الزائرون حرّ الشمس وأذى المطر، ويجلسون فيها أوقات الازدحام والضيق، ويدخلون منها إلى الأروقة بواسطة أكشاك في طرفي كل طارمة؛ يضعون فيها أحذيتهم وما معهم من متاع. أما الرواق الشمالي فلا تحده «طارمة» لاتصال جداره بالمسجد الصفوي السالف الذكر في صفحة ٥٣ - ٥٤ من هذا الكتاب.

ونورد فيما يلي وصفاً إجمالياً لهذه الطارمات الثلاث:

١ - الطارمة الشرقية «طارمة باب المراد»:

طولها: ٤٩,٠٠ متراً. عرضها ٥,٢٠ سم. شُيّدت لأول مرة في سنة ١٣٨١هـ كما مر، ثم جُدّدت في سنة ١٣٧٦هـ عندما أصيب خشبها بالتآكل، فأبدلت دعائمها الخشبية - وكان عددها «٢٢» عموداً - بدعائم من «الكونكريت المسلح» عددها عشرة، وزُيّن سقفها بنقوش الزجاج المعروفة باسم «عينه كاري» وكُتبت على الطابوق الكاشاني في أعلا باطنها قريباً من السقف آيات من القرآن الكريم تمتد على امتداد طولها. وقد أرخ السيد علي الهاشمي هذا التجديد بقوله:

إيوان قدس بالجوا	دَيْنِ سَمْتِ مِبَاهِجُهُ
فاق على وادي طوى	وَشُرُقَّتْ مِعَارِجُهُ
جُدِّدَ فِي عَهْدِ عَلِيٍّ	ي مَنْ زَكَتِ نَتَائِجُهُ
السادن النذب الذي	مَرْضِيَّةٌ مَنَاهِجُهُ
مَنْ جَاءَهُ أَرْخُ (بِهِ)	تُقْضَى لَهُ حَوَائِجُهُ

وفي وسط هذه «الطارمه» متصلاً بجدار الحرم إيوان ذهبي كبير تبرّع الملك الإيراني ناصر الدين القاجاري بتذهيبه في سنة ١٢٨٥هـ، وقد كُتب في أعلاه بالذهب ما لفظه: (شَيْدَه السُلْطَان بن السُلْطَان بن السُلْطَان ناصر الدين شاه قاجار ١٢٨٥).

وتحت هذه الكتابة طُرتان عن اليمين والشمال كُتب عليهما ما نصه: (السُلْطَان بن السُلْطَان ناصر الدين شاه قاجار).

وفي داخل الإيوان سطر طويل يمتد عبر أضلاعه الثلاثة كُتبت عليه بالذهب جمل متفرقة هذا نصها:

اللَّهُمَّ صلِّ على المصطفى محمد.

والمرتضى علي.

والبتول فاطمة.

والبطين الحسن والحسين.

والسجاد علي بن الحسين.

والباقر محمد بن علي.

والصادق جعفر بن محمد.

والكاظم موسى بن جعفر.

والرضا علي بن موسى.

والجواد محمد بن علي.

والهادي علي بن محمد.

والعسكري الحسن بن علي.

والحجة القائم المنتظر المهدي.

٢ - الطارمة الجنوبية <طارمة القبلة>:

طولها: ٤٧,٢٠ سم. عرضها: ٦,٠٠ سم. شُيِّدَتْ لأول مرة في سنة ١٢٨٥ هـ كما مر، ثم جُدِّدَتْ سنة ١٣٧٧ هـ، فأبدلت دعائمها الخشبية - وكان عددها «١٤» عموداً - بدعائم ثمانية من «الكونكريت المسلح»، وزيّن سقفها بالزجاج، وكُتِبَتْ في أعلاها من الداخل آيات قرآنية وسط الطابوق الكاشاني، وأرخ السيد علي الهاشمي هذا التجديد بقوله:

إيوان قدسٍ بالجوادَيْنِ سما بحسنه فاق الرياض الزاهية
قد جددوا بناءه وأشرفت فيه المرايا كالشموس الضاحية
انظر لعرشه وأرخته (كما يحمل عرش مجده ثمانية)

١٣٧٧ هـ

وفي وسط هذه «الطارمة» متصلاً بجدار الحرم إيوان كبير من الذهب والزجاج؛ يُسْرَعُ في وسطه باب الرواق الذهبي، وكان قد ذُهِبَ هذا الإيوان سنة ١٢٥٥ هـ بنفقة محمد شاه القاجاري ملك إيران يومئذ، ولم تكن «الطارمة» قد شُيِّدَتْ حينذاك.

وفي أعلى هذا الإيوان طرتان من الذهب كُتِبَ على اليمنى منهما:
(قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ وعلى اليسرى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أما الطُرتان الواقعتان في زاويتي أعلى الإيوان المتضمنتان طغراء آل عثمان مع تاريخ ١٣٢٢ فلا علاقة لهما بكل ما في «الطارمة» من بناء وذهب وزجاج، وإنما وضعتا إرضاءً للحكومة التركية أو خوفاً منها.

وفي سنة ١٣٧٩هـ أُعيد سقل ذهب هذا الإيوان وُجِّد زجاجه بعد أن علاه الصدأ وأثَّرت فيه تقلُّبات المناخ.

٣ - الطارمة الغربية «طارمة قريش»،

طولها: ٣٧,٠٠سم. عرضها: ٦,٥٠سم. ما زالت على وضعها الأول الذي مر تفصيله في صفحة ١٢٧ من هذا الكتاب.



الصحن

يحيط بالحرم من أطرافه الشرقية والجنوبية والغربية فضاءً واسع كبير؛ مبلَّط بالإسمنت؛ تقام في جنباته الصلاة، ويأوي إليه الزائرون الفقراء في الليل والنهار، يُطلق عليه اسم «الصحن». ويفصله عن الشوارع المحيطة به جدار ضخيم عالٍ سميك يُدعى «سور الصحن»، وما زالت عمارة هذا السور قائمة على حالها منذ شُيِّدت في سنة ١٣٠١هـ، من دون أن يُضاف إليها أو يستحدث فيها ما يستحق الذكر، سوى ترميم بعض من طابوقه الكاشاني وتجديد بعض منه وسوى فتح أبواب إضافية بين الصحن والطرق المتصلة به؛ لتخفيف الازدحام وتسهيل حركة الزائرين.

إن مظهر الجدران كما يبدو للمشاهد من خارج الصحن عادي جداً، فهو عبارة عن طابوق مرصوف بعضه فوق بعض بلا أي نقوش أو زركشة، ولكن يد العناية قد اتجهت نحو الجدار الداخلي فأخرجته آية من آيات الجمال والفخامة وتعبيراً دقيقاً عن مدى روعة الرياضة الفنية الإسلامية فقد تضمن كل جدار منها مجموعة متجاورة من الحجر، وأمام

كل حجرة إيواناً خاص منفصل عن الآخر مغلّف بالطابوق الكاشاني من كل أطرافه (يراجع الشكل رقم ٢٨)، وتتناثر الأبواب - وهي الآن عشرة - بين هذه الحجر لتكوّن المداخل الطبيعية للصحن الشريف، وأبرزت الأبواب الرئيسة الثلاثة في وسط الجدار الشرقي والجنوبي والغربي بشكل منسق رائع؛ حيث أحيطت أطرافها بالبناء المغلّف بالكاشاني المنقوش وإلى ارتفاع شاهق، وشيدت فوق كل واحدة منها حجرة كبيرة تمتد بامتداد سقف الممر المتصل بالباب، وجُعلت لكل حجرة نوافذ تطل على الصحن الشريف ونوافذ من الجانب الآخر تطل على الطريق الخارجي (يراجع الشكل رقم ٢٩).

ونورد فيما يلي وصفاً لجدران سور الصحن من أطرافه الأربعة كما هي عليه الآن:

١ - الجدار الشمالي:

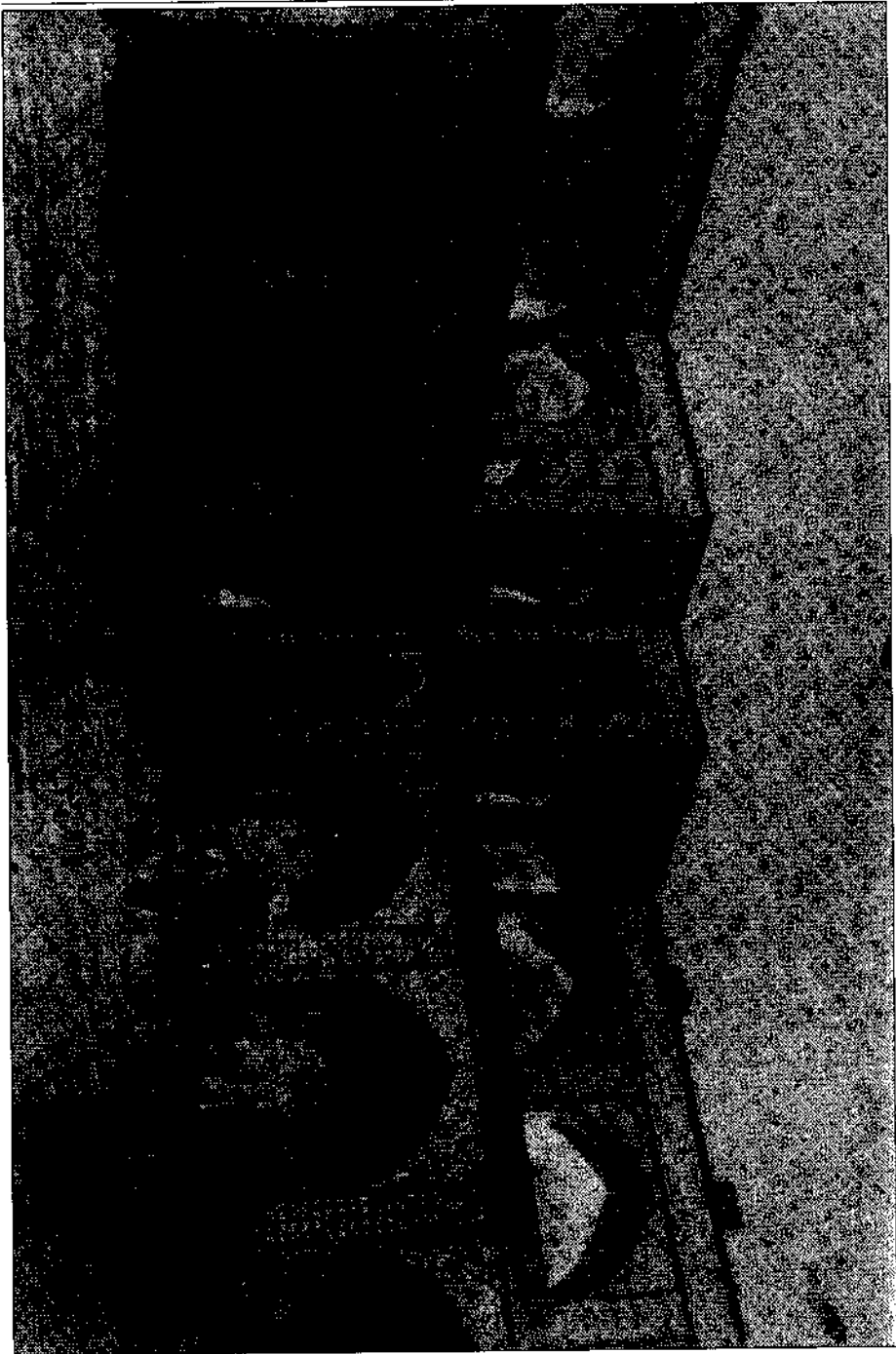
طوله: ١٣١ متراً و٢٠ سم. عدد غرفه (١١) غرفة، سبع منها في القسم الشرقي وأربع في القسم الغربي، ويتصل الثلث الأوسط من الجدار بالجامع الصفوي.

فيه بابان أحدهما من صحن المراد ويدعى «باب الجواهرية»، والثاني من صحن قريش ويدعى «باب قريش» وليس عليهما اليوم أية كتابات أو نصوص تاريخية.

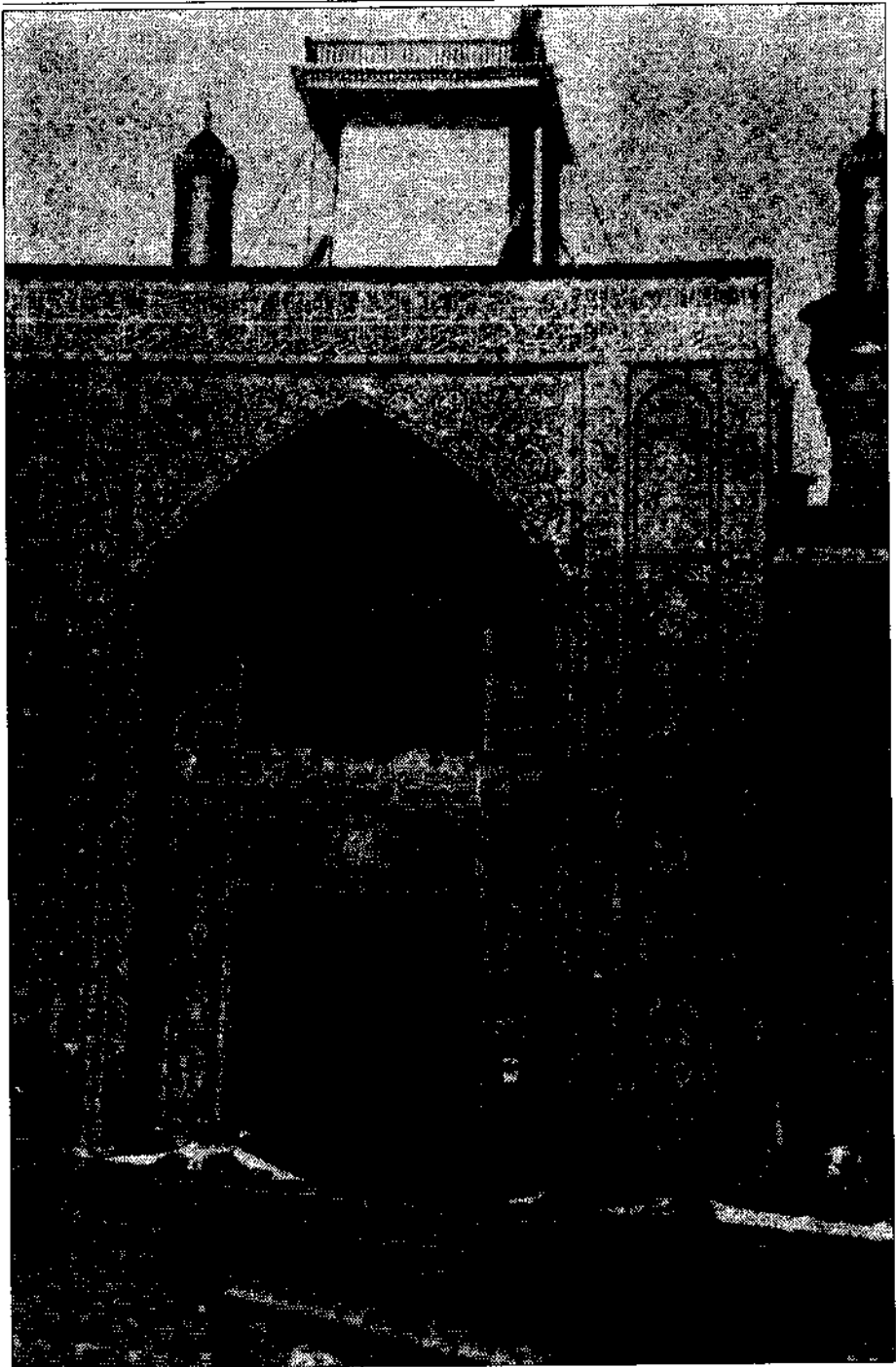
٢ - الجدار الشرقي:

طوله: ١٣٤ متراً. عدد غرفه (٢٢) غرفة.

فيه ثلاثة أبواب:



الشكل رقم (٢٨): «صورة جانب من جدار الصحن الداخلي».



الشكل رقم (٢٩): «صورة باب القبلة من الخارج».

أ - الباب الواقع في الزاوية الشرقية الشمالية المسمى بـ«باب الفرهادية»: لم يكتب عليه من داخل الصحن شيء. وكتب عليه من الخارج بالطابوق الكاشاني آيات من أول سورة الفتح، ثم العبارات التالية:

باب فرهادية

ناصر الدين شاه

السلطان

١٣٠٠

ثم يلي ذلك بيتان من الشعر الفارسي.

ب - الباب الواقع بين الوسط والشمال: ليست فيه كتابات من الداخل وكتب عليه من الخارج في أعلاه بالطابوق الكاشاني ما نصه:

(قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا إِلَّا الْوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال عز وجل أيضاً: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ أَجْرًا فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]، وقال جل شأنه أيضاً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. صدق الله).

ثم تلي ذلك في الوسط جملة «باب الرجاء».

وقد فُتح هذا الباب في سنة ١٣٧٦هـ ولم يكن باباً في عمارة السور الأصلية.

ج - الباب الكبير في الوسط؛ ويسمى «باب المراد»: تعلوه كتابات من الداخل والخارج.

ففي الداخل في أعلى البناء كُتبت سورة الضحى بكاملها على الطابوق الكاشاني، ويبدو أنها من الكتابات الجديدة. وفي وسط البناء تحت الحجرة وفوق طابق الباب كُتب ما نصه:

(قد أمر بعمارة هذا الصحن وهو الذي افتخرت به غرفات الجنان... (١) الأشرف الأرفع الأمجد والا معتمد الدولة فرهاد ميرزا، أدام الله عزه وجلاله وإقباله؛ بجاه محمد وآله الطاهرين سنة ثمان وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية المقدسة؛ عليه آلاف الثناء والتحية).

وكتب على الباب من الخارج بالطابوق الكاشاني أيضاً في أعلى البناء ما نصه:

قال الله تبارك وتعالى عز وجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقالوا: ﴿لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْزِنَا الْأَرْضَ نَقَبًا وَمِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقيل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. صدق الله العلي العظيم، وصدق رسوله النبي الكريم).

وفي وسط البناء تحت الحجرة وفوق إطار الباب كتب ما نصه:

قال الله تبارك وتعالى عز وجل جلاله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تبارك وتعالى عز وجل: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾. حرره تراب أقدام الزائرين خدام الروضة الرضوية نصر الله المشهدي سنة (١٢٩٩).

ثم تلي ذلك فوق إطار الباب مباشرة قطعة من رخام نُحتت فيها أبيات من الشعر لم نستطع قراءتها.

(١) تخريب في الكاشاني بمقدار كلمتين.

وفي الزاوية الجنوبية من هذا الجدار باب صغير ينفذ إلى بناية تُسمى «تكية البكتاشية» وتشغلها الآن مكتبة الجوادين (ع) العامة، وفوق الباب قطعة رخام حُفِر فيها ما نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. نواب مستطاب أشرف أمجد أرفع والا شاه زاده حاجي فرهاد ميرزا معتمد الدولة فرمان... مملكت فارس دامت شوكته؛ اين تكيه را بنا وحسباً لله وقف فرمودند بر طايفه بكتاشيه خاصه، وأحدي أز طوايف ديگر را در اينجا حق توقف وسُكنا نخواهد بود، شهر صفر ١٢٩٨).

ثم تلي ذلك أبيات فارسية فيها مادة تاريخ.

٣ - الجدار الغربي:

طوله: ١٣٥ متراً و٤٠ سم. عدد غرفه (٢٣) غرفة.

فيه بابان:

أ - الباب الواقع في الزاوية الغربية الجنوبية، ويدعى «باب صافي»: ليست فيه كتابات من الداخل أو الخارج.

ب - الباب الكبير الواقع في الوسط، ويسمى «باب صاحب الزمان»: تعلوه كتابات من الداخل والخارج.

ففي الداخل في أعلى البناء كُتبت آية النور بكاملها على الطابوق الكاشاني. وفي وسط البناء فوق طاق الباب كُتب ما نصه:

(الحمد لله رب العالمين. قد تم هذه^(كنا) الصحن الأقدس باهتمام عاليهاхан رفيع... حاجب الحرمين الشريفين جناب المستطاب حاج محمد مهدي أمين التجار وجناب جلالت مآب حاجي محمد حسن وكيل الدولة مشرف صحن شريف اين تراب استان محمد تقى كرمانشاهاني).

وكتب في أعلى البناء من الخارج بالطابوق الكاشاني آية التطهير وآية الولاية. وكتبت في وسط البناء تحت نوافذ الحجرة سورة الإيلاف ثم ما نصه (صدق الله العلي العظيم. سنة ثمان وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة ١٢٩٨). ثم تلي ذلك قطعة من رخام نحت فيها البيت التالي:

يا لها كعبة لنيل مراد من ضجيعين كاظم وجواد
تليه أبيات فارسية.

٤ - الجدار الجنوبي:

طوله: ١٣٥ متراً. عدد غرفه (٢٠) غرفة.

فيه ثلاثة أبواب:

أ - الباب الواقع في وسط الثلث الشرقي من الجدار: فتح في سنة ١٣٦٠ هـ ولم يكن باباً قبل ذلك. ليست فيه كتابات من الداخل.

كتب عليه من الخارج بالطابوق الكاشاني ما نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾. صدق الله العلي العظيم).

ثم سجلت تحت هذه الآية الشريفة في الوسط جملة «باب المغفرة».

ب - الباب الواقع في وسط الثلث الغربي من الجدار: فتح في سنة ١٣٧٥ هـ ولم يكن باباً قبل ذلك. ليست فيه كتابات من الداخل.

كتب عليه من الخارج بالطابوق الكاشاني ما نصه:

(قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال أيضاً عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]،

وقال أيضاً جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]. صدق الله).

ثم كتب في وسط الكاشاني تحت الآيات السالفة الذكر جملة «باب الرحمة (١٣٧٥)».

ج - الباب الكبير الواقع في الوسط، ويسمى «باب القبلة»: تعلوه كتابات من الداخل والخارج.

ففي الداخل في أعلى البناية كُتبت بالطابوق الكاشاني آية الكرسي إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ثم الجملة الآتية: (الحمد لله على التوفيق (١٢٩٨)).

وكتب في وسط البناء فوق طاق الباب بالكاشاني أيضاً ما نصه: (في أيام دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم؛ السلطان ابن السلطان ابن السلطان؛ الخاقان ابن الخاقان ابن الخاقان؛ أبو المظفر ناصر الدين شاه قاجار؛ خلد الله ملكه و... على العالمين برّه وعدله وإحسانه. وبُني هذا الصحن الشريف سنة ثمان وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة المقدسة في (١٢٩٨)).

وكتب في أعلى البناء من الخارج بالطابوق الكاشاني سورة الضحى بكاملها.

كما كتب فوق طاق الباب بالكاشاني أيضاً ما نصه:

«قال الله تبارك وتعالى وعز وجل جلاله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُمْ فِي كِبَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا نَكْفُرُونَ﴾ [الزمر: ٧٤، ٧٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].»

ملاحق الكتاب

الملحق الأول: أولاد الكاظم (ع).

الملحق الثاني: نقيباء المشهد وسدنته.

الملحق الثالث: مشاهير المدفونين بالمشهد.

الملحق الرابع: خزانة المشهد.



«الملحق الأول»

أولادُ الإمامِ الكاظمِ (ع)

للإمام موسى بن جعفر (ع) - فيما يروي النسّابون والمؤرخون - عدد كبير من البنين والبنات يقارب الأربعين، ونورد فيما يلي أسماء الذكور منهم مرتبةً على تسلسل الحروف الهجائية:

١ - إبراهيم الأصغر.

٢ - إبراهيم الأكبر.

٣ - أحمد.

٤ - إسحاق.

٥ - إسماعيل.

٦ - جعفر.

٧ - الحسن^(١).

٨ - الحسين.

٩ - حمزة.

١٠ - داوود.

(١) تكرر اسم «الحسن» مرتين في الإرشاد والمناقب.

- ١١ - زيد .
 ١٢ - سليمان .
 ١٣ - العباس .
 ١٤ - عبد الرحمن .
 ١٥ - عبد الله .
 ١٦ - عبيد الله .
 ١٧ - عقيل .
 ١٨ - علي .
 ١٩ - الفضل .
 ٢٠ - القاسم .
 ٢١ - محمد .
 ٢٢ - هارون .
 ٢٣ - يحيى ^(١) .

وأضاف بعضهم ^(٢) :

- ٢٤ - سالم .
 ٢٥ - سعيد .

ولسنا هنا بصدد القيام بالترجمة الشاملة لهؤلاء السادة وبيان تفصيل

(١) اعتمدنا في تنظيم هذه القائمة على الإرشاد للمفيد: ٣٢٣ والمناقب لابن

شهر آشوب: ٣٨٣/٢ وعمدة الطالب: ١٨٥.

(٢) جامع الأنساب: ٨٣/١ نقلاً عن كتاب «أحسن الكبار».

أحوالهم ومحل سكناهم ودفنهم؛ لما في ذلك من خروج عن المنهج المحدد لهذه الدراسة الخططية التاريخية. إنما الذي نهدف إليه في هذا المقام هو البحث عن دُفن منهم بالمشهد الكاظمي؛ وتعيين مواضع دفنهم، لمعرفة مدى الصحة التاريخية في نسبة البنية التي كانت تقوم في وسط الجهة الجنوبية الشرقية من الصحن الشريف، والتي كان يطلق عليها الناس اسم «أولاد الكاظم (ع)».

وكنّا قد ذكرنا فيما سبق^(١) قيام الفريق سليم باشا بتشيد هذه البناية في سنة ١٢٦٩هـ، ويظهر من الشعر المنظوم بتلك المناسبة - وقد سلف ذكره أيضاً - أن التشييد لم يكن كشفاً عن قبر مجهول أو مكان لا يعرفه الناس، وإنما هو تجديد لعمارة دائرة وموضع طراً عليه الخراب، مما يدل على وجود بناء سابق وذكر معلوم.

وكانت تلك البنية عبارة عن غرفة كبيرة مستطيلة الشكل مغلقة من كل أطرافها الخارجية بالطابوق الكاشاني، وتعلو فوقها قبتان صغيرتان مغلقتان بالكاشاني أيضاً، ثم أصاب الخراب أكثر جدرانها - على مرّ السنين - فبدت مشوهة جرداء، وتم هدمها في أول شهر ربيع الأول من سنة ١٣٧١هـ وأزيلت آثارها، بحجة عدم ثبوت كونها مدفناً لأولاد الكاظم (ع).

ولا بدّ لنا - ونحن بصدد استيعاب البحث في سائر ما يتعلق بالمشهد الكاظمي - من الوقوف قليلاً عند هذا الموضوع لنرى مدى صحة هذا الادعاء من عدمه:

لقد اختلف المؤرخون وعلماء النسب - فيما انتهى إلينا من آثارهم - في تسمية مَنْ دُفن في هذا الموضع من أولاد الإمام، وفي تحديد عدد

(١) تراجع صفحة ٨٦ - ٨٧ من هذا الكتاب والشكل رقم (١٥).

مَنْ دُفِنَ فِيهِ، وَفِي تَعْيِينٍ مِنْ دُفْنٍ مِنْهُمْ فِي مَقَابِرِ قَرِيْشٍ عَلَى سَعَةِ رَقْعَتِهَا، وَنَوْجِزٍ فِي أَدْنَاهُ تِلْكَ الْأَقْوَالِ الْمُتَضَارِبَةِ تَمْهِيداً لِمَعْرِفَةِ الْأَصْحِ وَاسْتِكْشَافِ الْأَرْجَحِ:

إِنْ لَوْحِ الزِّيَارَةِ الَّذِي كَانَ مَوْضِعاً فِي دَاخِلِ هَذِهِ الْبَقْعَةِ يَنْسَبُ هَذَيْنِ الْقَبْرَيْنِ لِإِسْمَاعِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ وَلَدِي الْإِمَامِ الْكَاطِمِ (ع).

وَيَصْرَحُ السَّيِّدُ مَهْدِي الْقَزْوِينِي^(١) أَنَّهُمَا غَيْرُ مَعْرُوفَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَحَدَهُمَا اسْمُهُ الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى الَّذِي وَرَدَ فِي حَقِّهِ الْقَدْحُ^(٢).

وَيُرْوَى الْمَامِقَانِي أَنَّ «الْعَامَّةَ مِنَ النَّاسِ تَرَى أَنَّهُ - أَيُّ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى - الْمَدْفُونُ بِجَوَارِ أَبِيهِ فِي الصَّحْنِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ وَهْمٌ لَا مَنْشَأَ لَهُ»^(٣).

وَيَقُولُ الْآلُوسِي: «وَفِي صَحْنِ جَامِعِ الْكَاطِمِيَّةِ حِجْرَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ وَقَبْرُ أَخِيهِ جَعْفَرِ ابْنِي مُوسَى الْكَاطِمِ»^(٤).

وَيَعْلَقُ السَّيِّدُ جَعْفَرُ بَحْرِ الْعُلُومِ عَلَى مَا كُتِبَ فِي لَوْحِ الزِّيَارَةِ مِنْ كَوْنِهِمَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فَيَقُولُ: «وَلَعَلَّ الَّذِي يُعْرَفُ بِإِسْمَاعِيلَ هُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى؛ وَقَدْ عَرَفَتْ ذَمَّهُ مِنْ أَخِيهِ الرِّضَا (ع) بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ؛ وَيُوَيِّدُهُ مَا هُوَ شَائِعٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ مِنْ أَنَّ جَدِّي بَحْرَ الْعُلُومِ طَابَ ثَرَاهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ الْكَاطِمِي أَعْرَضَ عَنِ زِيَارَةِ الْمَشْهَدِ الْمَزْبُورِ؛ فَفَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ»^(٥).

(١) فلك النجاة.

(٢) يراجع في تفصيل قدحه تنقيح المقال: ١٣٠/٢.

(٣) تنقيح المقال: ٩٧/١.

(٤) تاريخ مساجد بغداد: ١١٦.

(٥) تحفة العالم: ٣٣/٢.

وهكذا يبدو من النصوص السالفة الذكر اتفاقها على كون أحد هذين القبرين لإبراهيم بن موسى؛ واختلافها في تعيين الثاني وهل هو إسماعيل أو أحمد أو العباس أو جعفر؟

ولكنَّ الشيخ فاضل الكلیدار سادن الروضة الكاظمية الحالي يؤكد بأن المدفونين هنا لا يمتَّان بصلة لأولاد الكاظم؛ وأنه قد عُثِر في أثناء هدم هذه البناية على قطعتين من رخام تحمل كل واحدة منهما اسم المدفون بأحد القبرين، وهما كما يظهر من اسميهما ولقبيهما من الإيرانيين المتأخرين^(١).

كما أن المعروف أن إسماعيل مدفون في مصر^(٢) وأحمد في شيراز^(٣).

أما العباس وجعفر فليس لدينا ما يقوي احتمال دفنهما في هذا المكان، بل إن إعراض بحر العلوم فيما رواه حفيده فيما سبق ذكره يؤكِّد نفي الوجود لا كون العباس مقدوحاً فيه، إذ لو كان الإعراض بسبب العباس فما هو ذنب إبراهيم كي يعرض عنه أيضاً.

ومن إعراض السيد مهدي بحر العلوم ورواية الكلیدار عن الرخامتين يقوى لدينا الشك في صحة هذين القبرين، كما أن إهمال كتب الزيارات القديمة لذكر هذا المكان وهذين السيدين يرجح الظن بالعدم. وإذا كان انتفاء دفن إسماعيل وأحمد والعباس وجعفر قد يبلغ اليقين والقطع، فإن الكلام في تعيين قبر إبراهيم غير منتف، لثبوت دفنه في

(١) من المؤسف جداً أن تضع هاتان الرخامتان فيما ضاع من آثار المشهد بسبب الهدم والتجديد.

(٢) رجال بحر العلوم: ١١٦/٢ وجامع الأنساب: ٤٥/١.

(٣) تراجع تحفة العالم: ٢٩/٢ وجامع الأنساب: ٧٥/١.

مقابر قريش كما صرح بذلك صاحب الغاية^(١) والشيخ محمد السماوي^(٢) والسيد جعفر بحر العلوم^(٣)، وكما يشعر به كلام الشيخ المفيد^(٤).

ولقد كان من فرض البحث علينا أن ننساق مع هذه النصوص فتؤكد دفن إبراهيم بمقابر قريش لولا ما رأيناه من تصريحات النسابة الداوودي وآخرين من علماء هذا الفن بوجود ولدين للإمام الكاظم باسم «إبراهيم»؛ وتمييزهم بينهما بلقب «أكبر» و«أصغر».

ويقول السيد مهدي بحر العلوم تعليقاً على كلام ابن عنبه الداوودي: «والظاهر تعدد إبراهيم كما نصَّ عليه صاحب العمدة وغيره من علماء الأنساب؛ فإنهم أعلم من غيرهم بهذا الشأن، وليس في كلام غيرهم ما يصرِّح بالاتحاد؛ فلا يعارض النص على التعدد»^(٥).

ومع هذا التعدد تصعب معرفة إبراهيم المدفون بالكاظمية من سميِّه المدفون في مكان آخر، كما تصعب معرفة صاحب أبي السرايا وهل هو «الأكبر» أو «الأصغر».

وإذا رجعنا إلى مصادر النسب نستقرؤها الخبر نجد أن الشيخ أبا

(١) غاية الاختصار: ٨٧ - ٨٨، وجاء فيها: «مضى إلى اليمن وتغلب عليها في أيام أبي السرايا، ويقال أنه ظهر داعياً إلى أخيه الرضا (ع)، فبلغ المأمون ذلك فشفعه فيه وتركه. توفي في بغداد، وقبره بمقابر قريش عند أبيه (ع) في تربة مفردة معروفة»، ويقول عند ذكر موسى بن إبراهيم أن: «قبره بمقابر قريش مجاوراً لأبيه وجده (ع)».

(٢) صدى الفؤاد: ٥٨، وأرخ وفاته في سنة ٢٠٦هـ.

(٣) تحفة العالم: ٣٣/٢.

(٤) الإرشاد: ٣٢٤ - ٣٢٥، ويقول: «تقلد الإمرة على اليمن... وأقام بها مدة، إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان، فأخذ له الأمان من المأمون».

(٥) رجال بحر العلوم: ٤٣٢/١.

الحسن العمري وابن شدقم يرجحان أن يكون إبراهيم الأصغر صاحب أبي السرايا ولقبه ابن شدقم بـ«المجانب» و«المرتضى»، كما نجد أن أبا نصر البخاري والشيخ العبيدلي يذهبان إلى كونه الأكبر، وتبعهما على ذلك بعض المتأخرين^(١).

وعلى الرغم من عدم تصريح المؤرخين القدماء بلقب «أكبر» أو «أصغر» عند ذكرهم ثورة إبراهيم؛ فإن المستفاد من كلماتهم بقاؤه باليمن؛ حيث لم يذكروا هجرته منها^(٢)، ويقول الطبري في حوادث سنة ٢٠٢هـ: «وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد؛ فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد... ومضى إبراهيم بن موسى إلى اليمن؛ وكان قد غلب عليها حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان»^(٣).

ويؤيد ذلك توقُّف علماء النسب في عقب إبراهيم الأكبر، و«أكثرهم على أنه لم يعقب، وباليمن وغيره عدة من المنتسبين إليه، وأما إبراهيم الأصغر فلا شك في عقبه»^(٤)، وعقبه كما نعلم في العراق.

ويرجح السيد مهدي بحر العلوم: أن يكون إبراهيم «صاحب أبي السرايا الذي ملك اليمن، مدفوناً بكربلاء، وأنه هو المعروف اليوم بـ«إبراهيم المجانب» في رواق الحائر الحسيني»^(٥).

(١) يراجع في هذه الأقوال: عمدة الطالب: ١٩٠ وسر السلسلة العلوية: ٣٧ ورجال بحر العلوم: ٤٢٤/١ - ٤٣٠ و١١١/٣ - ١١٤ ونزهة أهل الحرمين: ٣٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٣٦/٨ و٥٤٠ و٥٤١ والكامل لابن الأثير: ١٧٧/٥ و١٧٨ و١٩٣ والبدية والنهاية: ٢٤٦/١٠ و٢٤٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٦٧/٨.

(٤) سر السلسلة العلوية: ٣٧ و٤٣ وعمدة الطالب: ١٩٠.

(٥) رجال بحر العلوم: ١١١/٣.

ويشير السيد حسن الصدر في بعض مؤلفاته إلى وجود خلاف في تسمية صاحب الصندوق بكربلاء وهل هو إبراهيم بن محمد العابد بن موسى؛ أو إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم (ع)^(١)، ولكنه يجزم في مؤلف آخر له بأن صاحب الشباك في رواق الحسين (ع) هو إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى بن جعفر (ع)^(٢).



وعلى كل حال، فإن المستفاد من مجموع ما سلف أن للإمام الكاظم (ع) ولدين باسم إبراهيم، وأن صاحب أبي السرايا هو «الأكبر» منهما، وأنه إن صحَّ دفنه في العراق فهو في كربلاء كما رجح السيد مهدي بحر العلوم فيما مر.

وأما إبراهيم الأصغر فهو الملقَّب بالمرتضى كما نصَّ عليه بعض المؤلفين^(٣)، وهو المدفون في مقابر قریش كما صرَّح صاحب الغاية^(٤).

والمظنون ظناً قوياً أن قبر إبراهيم الأصغر المرتضى هو القبر الذي يُعرف الآن بـ«مرقد المرتضى» قريباً من الصحن الشريف، وأن التلقيب بالمرتضى هو الذي سبَّب الالتباس فتصوَّره الناس قبراً للشريف المرتضى، في حين أن الشريف عليَّ بن الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ قد دُفن في داره ثم نُقل إلى كربلاء بإجماع المؤرخين^(٥).

(١) نزهة أهل الحرمين: ٣٧.

(٢) رجال بحر العلوم - هامش -: ١١٣/٣ نقلاً عن كتاب تحية أهل القبور بالمأثور.

(٣) عمدة الطالب: ١٩٠ ورجال بحر العلوم: ٤٢٤/١ - ٤٣٠ نقلاً عن ابن شدقم النسابة و١١٣/٣ نقلاً عن السيد حسن الصدر.

(٤) غاية الاختصار: ٨٧.

(٥) عمدة الطالب: ١٩٤ والدرجات الرفيعة: ٤٦٣ وتراجع مقدمة ديوان الشريف المرتضى: ٢٦/١.

وخلصه القول، فإن إبراهيم الأصغر المرتضى مدفون بالكاظمية، وإن قبره هو القبر المنسوب للشریف المرتضى، وإنه لم يُدفن في الصحن الكاظمي أيُّ ولد للإمام الكاظم (ع). وهذا هو الذي نستطيع ترجيحه الآن، ولعلَّ فيما سيصدر في المستقبل من دراسات وفيما سيُنشر من نصوص مخطوطة ما يزيد الأمر وضوحاً ويصل بنا إلى القطع واليقين.



«الملحق الثاني»

نُقباء المَشهد وسَدَنَتَه

النقباء

النقابة - كما يعرفها الماوردي -؛ موضوعةٌ على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب؛ ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحيى؛ وأمره فيهم أمضى

وولاية هذه النقابة تصح من أحد ثلاثة جهات: إمّا من وجه الخليفة المستولي على كل الأمور، وإمّا ممن فوّض الخليفة إليه تدبير الأمور كوزير التفويض وأمير الأقليم، وإمّا من نقيب عامّ الولاية»
«والنقابة على ضربين: خاصة وعامة.

فأما الخاصة: فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حدّ، فلا يكون العلم معتبراً في شروطها، ويلزمه في النقابة على أهله من حقوق النظر اثنا عشر حقاً:

أحدها: حفظ أنسابهم من داخلٍ فيها وليس منها؛ أو خارج عنها وهو منها، فيلزمه حفظ الخارج منها كما يلزمه حفظ الداخل فيها؛ ليكون النسب محفوظاً على صحته؛ معزواً إلى جهته.

والثاني: تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم، حتى لا يخفى عليه منهم

بُنُوَات، ولا يتداخل نسبٌ في نسب، ويشبثهم في ديوانه على تمييز أنسابهم.

والثالث: معرفة مَنْ وُلِدَ منهم من ذكرٍ أو أنثى فيبثته، ومعرفة من مات منهم فيذكره، حتى لا يضيع نسب المولود إن لم يثبتهُ، ولا يدَّعي نسب الميت غيرُهُ إن لم يذكرهُ.

والرابع: أن يأخذهم من الآداب بما يضاهي شَرَفَ أنسابهم وكرمَ محتدهم، لتكون حشمتهم في النفوس موفورة، وحرمة رسول الله (ص) فيهم محفوظة.

والخامس: أن ينزَّههم عن المكاسب الدنيئة؛ ويمنعهم من المطالب الخيثة، حتى لا يستقل منهم مُتَبَدِّل، ولا يستضام منهم متدلل.

والسادس: أن يكفَّهم عن ارتكاب المآثم، ويمنعهم من انتهاك المحارم، ليكونوا على الدين الذي نصره أُغْيِرَ؛ وللمنكر الذي أزاله أنكرَ، حتى لا ينطق بدمهم لسان؛ ولا يشأهم إنسان.

والسابع: أن يمنعهم من التسلُّط على العامة لشرفهم، والتشطُّط عليهم لنسبهم؛ فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض؛ ويبعثهم على المناكرة والبُعد، ويندبهم إلى استعطاف القلوب وتألُّف النفوس، ليكون الميل إليهم أوفى، والقلوب لهم أصفى.

والثامن: أن يكون عوناً لهم في استيفاء الحقوق؛ حتى لا يضعفوا عنها، وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم؛ حتى لا يمنعوا منها، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين، فإنَّ من عدل السيرة فيهم إنصافهم وانتصافهم.

والتاسع: أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم

ذوي القربى في الفداء والغنيمة؛ الذي لا يختص به أحدهم حتى يُقسَمَ بينهم بحسب ما أوجبه الله تعالى لهم.

والعاشر: أن يمنع أياهاهم أن يتزوجنَ إلا من الأكفاء، لشرفهنَّ على سائر النساء، صيانةً لأنسابهنَّ، وتعظيماً لحرمتهن أن يُزوّجهنَّ غيرُ الولاة أو ينكحهن غير الكفاة.

والحادي عشر: أن يُقوّمَ ذوي الهفوات منهم فيما سوى الحدود؛ بما لا يبلغ به حدّاً ولا ينهر به دماً، ويقبل ذا الهيئة منهم عشرته، وينفر بعد الوعظ زلّته.

والثاني عشر: مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها، وإذا لم يُردَّ إليه جبايتها راعى الجباة لها فيما أخذوه؛ وراعى قسمتها إذا قسموه، وميّز المستحقين لها إذا خصّصت، وراعى أوصافهم فيما إذا شُرطت، حتى لا يخرج منهم مستحق، ولا يدخل فيهم غيرُ محق.

«وأما النقابة العامة فعمومها أن يُردَّ إليه في النقابة عليهم مع ما قدّمناه من حقوق النظر خمسة أشياء:

أحدها: الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

والثاني: الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

والثالث: إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

والرابع: تزويج الأياى اللائي لا يتعيّن أولياؤهم أو قد تعيّنوا فعضلوهم.

والخامس: إيقاع الحجر على مَنْ عته منهم أو سفه؛ وفكّه إذا أفاق أو رشد.

فيصير بهذه الخمسة عامّ النقابة، فيعتبر حينئذٍ في صحة نقابته وعقد

ولايته أن يكون عالماً من أهل الاجتهاد، ليصحَّ حكمه ويُنفَّذ قضاؤه»^(١).
 وكان يُدعى من يتولى هذا المنصب في العصر العباسي «نقيب
 الطالبين» أو «نقيب العلويين»، ثم دعي في العصور المتأخرة «نقيب
 الأشراف».

والأشراف المقصودون بهذا الاسم هم «كلُّ مَنْ كان من أهل
 البيت، سواءً كان حسنيّاً أم حُسينيّاً أم علويّاً من ذرية محمد بن الحنفية
 أو غيره من أولاد علي بن أبي طالب أم جعفرياً أم عقيلياً أم عباسياً»^(٢)
 وإن كان الخلفاء الفاطميون بمصر قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن
 والحسين (ع) فقط.

وبقيت لهذا المنصب أهميته على مرّ القرون؛ فلا يكون النقيب إلاّ
 «من شيوخ هذه الطائفة وأجلّهم قدراً»^(٣)، كما بقيت للنقيب حتى القرن
 التاسع الهجري تلك الواجبات والحقوق التي كانت له في العصر
 العباسي مما دوّنه الماورديّ فيما نقلناه عنه آنفاً، وقد حفظ لنا القلقشندي
 نسخة توقيع بنقابة الأشراف تضمّن الإشارة إلى حقوق النقيب
 وصلاحيّاته، وجاء فيه بعد الديباجة:

«ولما كانت العترة الطاهرة النبويّة ورثت الوحي الذين آل إليهم
 ميزاتُه، وأهل البيت الذين حصل لهم من السؤدد آيأته، وقد سأل الله -
 وهو المسؤول - لهم القربى، وخصّهم بمزايا حقيقٍ بمثل متصرّفهم أنه بها
 يُحبي، وأنها لهم تجبي، لما في ذلك من بركاتٍ تُرضي سيد المرسلين
 وتعجبه، ويسطرّ الله الأجرَ لفاعله ويكتبه، وكان لا بدّ لهم من رئيس
 ينضدّ سلكتهم وينظّمه، ويعظّم فخرهم ويفخمه، ويحفظ أنسابهم، ويصقل

(١) الأحكام السلطانية: ٩٢ - ٩٤ (طبع المطبعة المحمودية بمصر).

(٢) الشرق المؤنّد: ٤٤.

(٣) صبح الأعشى: ٤٨١/٣.

بمكارمه أحسابهم، وينمي بتدبيره ريعهم، ويتابع تحت ظل هذه الشجرة الزكية ما زكى ينعمهم، ويحفظهم في ودائع النسل، ويصُدُّ عن شرف أرومتهم من الأدعياء المدَّعين بكل بسُل، ويحرس نظامهم، ويوالي إكرامهم، ويأخذهم بمكارم الأخلاق، ويمدهم بأنواع الأرفاد والإرفاق، ويتولى رذع جانبيهم إذا لم يسمع، ويتدبر فيه قوله: - أنفك منك وإن كان أجدع -.

ولما كان فلانٌ هو المشار إليه من بين هذه السلالة، وله من بينهم ميزة باطنة وظاهرة... اقتضى حسن الرأي المنيف... أن تفوِّض إليه نقابة الأشراف الطالبين؛ على عادة مَنْ تقدمه من الثقباء السادة.

فليجمع لهم من الخير ما يُبهِجُ الزهراء البتول فعله، ويفعل مع أهله وقرابته منهم ما هو أهله، وليحفظ مواليدهم، ويحرر أسانيدهم، ويضبط أوقافهم، ويعتمد إنصافهم، ويثمر متحصلاتهم، ويكثر بالتدبير غلاتهم، ويأخذ نفسه بمساواتهم، في جميع حالاتهم، وليأخذهم بالتجمُّع عن كلِّ ما يشين، والعمل بما يزين، حتى يضيفوا إلى السؤدد حُسنَ الشيم، وإلى المفاخر فاخرَ القيم، وكل ما يفعله معهم من خير أو غيره هو له وعليه، ومنه وإليه، والله يحفظه من خلفه ومن بين يديه، بمثمه وكرمه»^(١).



ويعود عهد الكاظمية بالنقابة - فيما نرجح - إلى أواسط القرن الخامس الهجري يوم أصبحت مدينةً مستقلة لها كيائها الخاص، وذلك إثر الفتن والاضطرابات التي عمت أرجاء البلاد، وخصت بغداد

(١) صبح الأعشى: ١٦٣/١١ - ١٦٤.

بالذات، فأشاعت فيها الخراب والدمار، بحيث أصبح في منتصف ذلك القرن «ما بين سوق السلاح والرصافة وسوق العطش ومربعة الخرسى والزاهر وما في دواخل ذلك ورواصفه قد خرب خراباً فاحشاً؛ حتى لم يترك النقض جداراً قائماً ولا مسجداً باقياً. وأما بين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراساً كلياً، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة في الصحراء بعد أن كانا وسط العمارة»^(١).

وكان هذا الخراب الذي حوّل منطقة «الكاظمية» من محلة من محلات بغداد إلى مدينة منفصلة تامة المرافق أحد الأسباب الرئيسة في احتياجها إلى نقيب خاصّ بها غير نقيب بغداد، مضافاً إلى تزايد العلويين فيها إلى درجة كبيرة^(٢).

ولم تقتصر مهمة النقيب في بلدة المشهد الكاظمي على حقوق النقابة الاثني عشر التي ذكرها الماوردي، بل كان من جملة حقوقه ومهامه - إن لم يكن أكبرها وأبرزها - هو الإشراف على المشهد نفسه من حيث عمارته ونظامه، ومراقبة قوامه وخدمته، وإعداده الإعداد الوافي بجميع احتياجات الزائرين، بعد أن كان كل ذلك بيد مشرف خاص يسمّى «القيم»^(٣) ليست له سلطة النقيب وأهميته والشروط المعتمدة فيه.

وهكذا يكون نقيب المشهد الكاظمي قائماً بشؤون العلويين وهي متعددة، وبشؤون المشهد وهي جمّة، وبشؤون البلدة وهي في توسع

(١) مختصر مناقب بغداد: ٣٣. وتراجع مجلة الأعلام - السنة الأولى: العدد الثاني

١٤١ - ١٥١؛ والعدد الثالث ٦٤ - ٧٢.

(٢) تجارب الأمم: ٤٠٧/٦ والمنتظم: ١٩٤/٨ و٢١٢ و٢٤٣/٩ والكامل: ٥٩/٨ و٣١١.

(٣) دلائل الإمامة: ٣٠٤ - ٣٠٥.

مستمر، ومن هنا كان للنقابة أهميتها الكبرى وللنقيب مقامه المرموق. ولما كانت إدارة المشهد وسدائنه من أبرز أعمال النقيب وواجباته منذ قامت النقابة على هذه الأرض؛ كان لا بد أن يتصل موضوع النقباء بموضوع المشهد، وأن يدرج ذلك ضمن تاريخه باعتباره من توابع البحث ومكملاته التي لا يستساغ إغفالها. وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته في سبيل العثور على أسماء النقباء بحسب تسلسلهم التاريخي فما زالت في أثناء البحث فجوات لم أستطع سدها، وليس ذلك تقصيراً مني، فيما أظن، وإنما هو تقصير أولئك المؤرخين الذين أهملوا ولم يسجلوا. ونذكر - في أدناه - من عرفنا من هؤلاء السادة النقباء:



النقابة

1

ابن جعفر القيم

ذكره الطبري الإمامي في حديث أبي الحسين بن أبي البغل الكاتب، وجاء فيه عن لسان أبي الحسين:

«تقلدت عملاً من أبي منصور بن الصالحان، وجرى بيني وبينه ما أوجب استتاري، فطلبني وأخافني، فمكثت مستراً خائفاً، ثم قصدت مقابر قريش ليلة الجمعة، واعتمدت على المبيت هناك للدعاء والمسألة، وكانت ليلة ريح ومطر، فسألت ابن جعفر القيم أن يغلّق الأبواب... إلخ»^(١).

(١) دلائل الإمامة: ٣٠٤.

ولم نعرف من مطاوي هذا الخبر ومن سائر المصادر الأخرى ما يدلنا على شخصية هذا الرجل أو ينصّ على نقابته، ولعل النقابة لم تكن مقررة للمشهد خلال تلك الفترة فكان يشرف عليه مسؤول خاص يدعى «القيّم». وما زالت كلمة «قيّم» مستعملة حتى اليوم في نفس هذا المعنى في بعض الأوساط العراقية.

وسمّاه المجلسي^(١) عند نقل نفس الحديث «أبو جعفر القيّم» ولا بدّ أن تصحيفاً طراً على أحد النصّين.



٢

الشريف محمد بن المحسّن بن يحيى بن أبي عبد الله
جعفر التواب بن الإمام أبي الحسن علي الهادي (ع)

ذكره العميدي فقال عنه: «محمد بن المحسّن بن يحيى الصوفي، نقيب مقابر قريش»^(٢).

وذكره أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري النسابة - فيما ينقل عن كتابه - عند ذكر والده المحسّن فقال: «يُعرف ولده ببني المحسّن، ولا عقب للمحسّن إلا من ابن واحد هو محمد، ومحمد هذا كان نقيباً بمقابر قريش، ونقابتها باقية في ولده».

ولبني نازوك الذين سكن بعضهم مقابر قريش قرابة مع هذا

(١) بحار الأنوار: ٨٠/١٣.

(٢) المشجر الكشاف: ٢٥.

النقيب، فإن جدهم علياً أخو يحيى جد النقيب^(١)، وبذلك يكونون من قدماء السكان في بلدة المشهد.

وعلى الرغم من عدم علمنا بتاريخ وفاة هذا النقيب فإنه كان في الربع الثالث من القرن الخامس في أرجح الظن.



٣

الشريف محمد بن محمد بن المحسن بن يحيى بن جعفر بن الإمام علي الهادي (ع)

لم نجد بين المؤرخين من نص على توليه النقابة، ولكن في أخبار العميدي النسابة - عند ذكر والده المار آنفاً - بكون النقابة باقية في ولده قرينة على كونه نقيباً، خصوصاً وأنه النجل الأكبر لأبيه.

كما أن فيما يرويه السيد علي آل طاووس عنه ما يشعر بنقابته حيث حدث عنه ما نصه: «فمن ذلك ما وجدناه في نسخة عتيقة هذا لفظه: حدثنا الشريف أبو الحسن محمد بن محمد بن المحسن بن يحيى بن الرضا أدام الله تأييده يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة أربع [..]»^(٢) وأربعمائة بمشهد مقابر قريش على ساكنه السلام قال: حدثني أبي رضي الله عنه... إلخ»^(٣).



(١) عمدة الطالب: ١٨٩.

(٢) هنا سقط في الأصل.

(٣) مهج الدعوات: ٢٦٥.

الشريف علي بن محمد بن المحسن بن يحيى بن جعفر بن
علي الإمام الهادي (ع)، المكنى بأبي طالب العلوي

ذكره ابن النجار فقال عنه:

«نقيب مشهد باب التبن، سمع القاضي أبا الحسين محمد بن
علي بن المهدي وغيره، وحَدَّث باليسير. روى عنه أبو القاسم
المبارك بن محمد بن الحسين وأبو طاهر السلفي، وكتب عنه أبو عبد الله
الحسين بن محمد البلخي، ونقلتُ نسبه بخطه...، أنبأنا عتيق بن
الحسن أن السلفي أخبره أنه سأل أبا طالب النقيب عن مولده فذكر أنه
سنة ثلاث وأربعمائة...، قرأتُ في كتاب أبي غالب شجاع بن فارس
الذهلي بخطه قال: مات الشريف أبو طالب علي بن المحسن العلوي
نقيب المشهد بمقابر قريش في يوم الأربعاء تاسع عشر المحرم سنة
خمسماية وكان قد جاوز المائة سنة من عمره»^(١).

وذكره صاحب العمدة فقال: «كان فاضلاً دينياً ويحفظ القرآن»،
وكناه أبا القاسم^(٢).

وذكره العميدي أيضاً فقال: «أبو طالب، نقيب المشهد بالعراق،
شيخ معمر، له في النسب قعدد، ولد سنة ٤٠٣ وتوفي سنة ٤٩٩، وروى
عنه السلفي عن ابن المهدي شيئاً»^(٣).

(١) تاريخ ابن النجار جزء منه مصور بمكتبة معهد الدراسات الإسلامية ببغداد: ورقة
١٧ - ١٨.

(٢) عمدة الطالب: ١٨٩.

(٣) المشجر الكشاف: ٢.

٥

الشريف محمد بن علي بن محمد بن المحسن بن يحيى بن
جعفر بن علي الهادي (ع)

ذكره العميدي فقال: «كان عالماً نساباً، وكان نقيب مقابر
قريش»^(١).

٦

الشريف أبو الفضل علي بن ناصر بن محمد بن الحسن بن
أحمد بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن
عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب (ع)

ذكره ابن النجار في تاريخه^(٢) بعد أن ذكر نسبه السابق فقال: «أبو
الفضل العلوي المحمدي، نقيب مشهد باب التبن، هكذا رأيتُ نسبه
بخط محمد بن علي بن فولاد الطبري، وهكذا ذكره السلفي في معجم
شيوخه. كان يسكن بالكرخ، وله معرفة بالأنساب، سمع أبا محمد
الحسن بن علي الجوهرى؛ وحَدَّث باليسير، روى عنه أبو المعمر
الأنصاري وأبو طالب بن خضير وأبو طاهر السلفي».

«قرأت بخط محمد بن ناصر اليزدي قال: سألتُ المحمدي [عن
مولده]^(٣) فقال: ولدتُ سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة».

«قرأت بخط أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي قال:

(١) المشجر الكشاف: ٢٥.

(٢) جزء من تاريخ ابن النجار: ٥٥ - ٥٦.

(٣) زيادة يستدعيها السياق.

توفي الشريف أبو الفضل المحمدي في يوم الخميس ثالث شوال سنة خمس عشرة وخمس مائة، ودفن يوم الجمعة بمقابر قريش بعد أن صُلِّيَ عليه [في] ^(١) باب دار الطاهر بنهر الدارس؛ وحضرت ذلك؛ ومضيت معه إلى قبره.

وذكر ابن الديبثي وأبو سعد بن السمعاني ولده أحمد فقالا: إنه [أي أحمد] ^(٢) كان نقيب العلويين بالكرخ، وأبوه نقيب العلويين المحمديين بمشهد موسى بن جعفر (ع) ^(٣).

وذكره العميدي وسماه «أبو الفضل علي بن محمد الحسن... إلخ» من دون ورود «ناصر» في سلسلة النسب، ثم قال: «نقيب مشهد باب التبن ببغداد» ^(٤).



٧

الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء العلوي

ذكره ابن تغرى بردى في وفيات سنة ٥٣٧ هـ فقال:

«وفيها توفي الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء الشريف أبو

(١) (٢) زيادة يستدعيها السياق.

(٣) ذيل تاريخ بغداد لابن الديبثي: ٢٠٠/٣ والتاريخ المذيل به على تاريخ بغداد لابن السمعاني: ٦٢/٢، وكلاهما مخطوطان، وتوجد صورة لهما في معهد الدراسات الإسلامية ببغداد.

(٤) المشجر الكشاف: ٢١٨.

محمد الحسيني البغدادي؛ نقيب مشهد موسى بن جعفر ببغداد. كان إماماً فاضلاً فصيحاً شاعراً، إلا أنه كان على مذهب القوم مغالياً في الشيع^(١).

وذكره السيد علي (خان) المدني الشهير بابن معصوم فقال:

«الشريف أبو محمد الحسن بن أبي الضوء العلوي الحسيني، نقيب مشهد باب التبن ببغداد، وكان سيداً جليلاً عالماً فاضلاً أديباً، حسن الشعر والرواية، عظيم الشأن، جليل القدر، ذكره العماد الكاتب في الخريدة... وتوفي الشريف أبو محمد المذكور سنة سبع وثلاثين وخمسمائة»^(٢).

وسماه العميدي محمداً^(٣) وفي المنقول عن تهذيب الأنساب لشيخ الشرف ابن جعفر: أن اسمه أحمد.



علي بن علي المعروف بالفاخر العلوي

النقيب بمشهد موسى بن جعفر (ع)، المتوفى حوالى سنة ٥٦٩هـ^(٤).



(١) النجوم الزاهرة: ٢٧١/٥.

(٢) الدرجات الرفيعة: ٥٢٣، ويراجع وفيات الأعيان: ٤٣٨/٤.

(٣) المشجر الكشاف: ١٦٠.

(٤) حدثني بذلك مشافهة صديقنا المفضل الدكتور مصطفى جواد عافاه الله، وذكر بأنه يروي ذلك عن تاريخ ابن الديلمي - المخطوط -.

الشريف فخر الدين محمد بن محمد بن عدنان بن المختار العلوي

ذكره ابن الفرات فقال عنه:

«في سادس عشر شهر ربيع الأول من هذه السنة وصل الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن^(١) ببغداد؛ رسول الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين العباسي؛ إلى السلطان صلاح الدين وقدم معه حملان من النفط، وحملان من القنا، وتوقيع بعشرين ألف دينار تقترض من التجار على الديوان العزيز، وخمسة من الزرايين المتقنين لصناعة الإحراق بالنار، فاعتقد^(كنا) السلطان صلاح الدين بكل ما حضر... وأركب الرسول معه مراراً وأراه معارك القتال حتى يشهد بما شاهد، فأقام عند السلطان صلاح الدين مدة، ثم استأذن في العودة فعاد»^(٢).

وذكر العماد الأصفهاني رحلته هذه في حوادث سنة ٥٨٦هـ ونص على كونه نقيب مشهد باب التبن بمدينة السلام^(٣).

وترجم له ابن الفوطي فقال:

«فخر الدين أبو الحسين محمد بن عميد الدين أبي جعفر محمد بن أبي نزار عدنان بن المختار العلوي العبيدلي الكوفي النقيب. من البيت المعروف بالفضل والنبيل... قدم فخر الدين ببغداد وصاهر بها الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي على ابنته. سمع ببغداد حجة الإسلام

(١) في الأصل المطبوع: التين، وهو تصحيف.

(٢) تاريخ ابن الفرات: المجلد الرابع - الجزء الأول: ٢١١.

(٣) الفتح القدسي: ١٩٤.

ابن الخشاب، وقلده الناصر لدين الله النقابة في سابع ربيع الأول سنة ثلاث وستمائة وجلس له الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي وكتب تقليده مكين الدين القمي. وكان النقيب حسن السيرة وعزل عن النقابة في شعبان سنة سبع وستمائة وتوفي ثالث عشر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وستمائة عن إحدى وثمانين سنة^(١).

كما ترجم له ابن الديبني فقال في ضمن ترجمته:

«تولى نقابة النقباء للطالبيين في سنة ثلاث وستمائة... ولد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وأصم في آخر عمره. توفي في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وستمائة»^(٢).



١٠

عز الدين عدنان بن المعمر بن المختار الكوفي

آل المختار «بيت معروف بالنقابة والإمارة»^(٣)، وكانت لهم نقابة النجف والكوفة و«نقابة في مشهد الإمامين الجوادين»^(٤)، قال ابن الساعي:

«في يوم الخميس حادي عشره [ربيع الأول سنة ٦٠٦هـ] عُزل عز

(١) تلخيص مجمع الآداب: ٤/٤ ق ٣/٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) المختصر المحتاج إليه: ١/١٢٨ - ١٢٩.

(٣) المختصر المحتاج إليه: ١/١٢٨.

(٤) ماضي النجف وحاضرها: ١/٢١٠.

الدين عدنان بن المعمر بن المختار الكوفي عن نقابة مشهد موسى بن جعفر (ع)»^(١). ولم يذكر متى بدأت نقابته.

ترجم له ابن الفوطي فقال:

«عز الدين أبو نزار عدنان بن أبي عبد الله المعمر بن عدنان بن المختار العلوي الكوفي النقيب. ذكره شيخنا تاج الدين ابن أنجب في تاريخه وقال: «رتب عز الدين نقيب مشهد موسى بن جعفر وعُزل في شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة وكان سيداً جليلاً عالماً، ومولده سنة سبعين وخمسمائة، وتوفي يوم السبت رابع شعبان من سنة خمس وعشرين وستمائة ودفن في داره بالقرب من باب المراتب على شاطئء دجلة»^(٢).



نجم الدين أبو نصير محمد بن الموسوي

بيت الموسوي من البيوت التي سكنت الكاظمية منذ العصر العباسي، وكان بيتاً جليلاً معروفاً بالشرف والمجد، ذكره صاحب الغاية فقال:

«بيتٌ جمع أسباب السؤدد ومكثت فيه النقابة والرياسات المتنوعة كإمارة الحجيج والقضاء والنظر في المظالم والنيابة عن السلاطين بديوان بغداد إذا غابوا عن العراق، فهو بيت سماكه السماء وأرضه

(١) الجامع المختصر: ٢٨٥/٩.

(٢) تلخيص مجمع الآداب: ٤/٤ ق ٢٣٨/١.

الأفلاك... ذوو بنايات ضخمة؛ وأحوال وسيعة؛ ووجاهة عظيمة؛ وصيت طائر؛ وذكر سائر.. الخ»^(١)..

وكان محمد هذا من ذلك البيت الرفيع العماد، وقد نقل من خطه سبطه هبة الله بن الحسن الموسوي في كتابه «المجموع الرائق» الذي ألفه سنة ٧٠٣هـ أدعية الأيام السبعة المروية عن الإمام موسى بن جعفر (ع) فقال:

«نقلتها من خط جدي لوالدتي السعيد نجم الدين أبي نصير محمد بن الموسوي نقيب مشهد الكاظم والجواد (ع) تغمده الله برحمته»^(٢).



الشريف جلال الدين محمد المصطفى بن رضي الدين

علي آل طاووس

ذكره صاحب الغاية فقال:

«جلال الدين، يلقَّب بالمصطفى، كان سيداً جليلاً زاهداً منقطعاً بداره عن الناس، ذا خبر ورأي وكبر وترفع. كانت بيني وبينه معرفة تكاد أن تكون صداقة. عرَّضَ عليه النقابةَ صاحبُ الديوان ابن الجويني فامتنع، وكان يتولى نقابة بغداد والمشهد، فكُفِّتَ يده عن ذلك، مات رحمه الله سنة ٦٨٠هـ»^(٣).

(١) غاية الاختصار: ٨٢.

(٢) مجلة الأعلام: ١٤٣/١١ - السنة الأولى -.

(٣) غاية الاختصار: ٥٨.

والمقصود بالمشهد بعد ذكر بغداد هو المشهد الكاظمي، والظاهر أنَّ النقابة التي امتنع عن قبولها هي نقابة الطالبين، ولعل ذلك كان بعد وفاة أبيه رضيَّ الدين نقيب الطالبين المتوفى سنة ٦٦٤هـ، كما يظهر أن امتناعه عن قبول نقابة الطالبين قد أغاض صاحب الديوان فكفَّ يده عن نقابة بغداد والمشهد الكاظمي.



١٣

الشريف نجم الدين بن أبي جعفر الهندي الحسيني

ذكره صاحب الغاية ضمن بيت هندي الحسينيين فقال:

«منهم نجم الدين بن أبي جعفر، النقيب الطاهر، تولَّى النقابة بمقابر قريش زمن ابن الجويني [المتوفى سنة ٦٨١هـ]، ثم رُتّب كاتب السبب، ثم عُزل. وكان مقيماً بالحلة، للفقر عليه أثر ظاهر، يكتب خطأ ويقول شعراً لا بأس بهما. له ولد اسمه عبد الله ومن بني عمه محمد بن منصور»^(١).



١٤

أمين الدين الهندي الجوهري

قال صاحب الحوادث في وقائع سنة ٦٧٤هـ ما نصه:

(١) غاية الاختصار: ١٤٦.

«وفيها عُزِلَ أمين الدين مبارك الهندي الجوهري من نقابة مشهد موسى بن جعفر (ع) . . . ولما كان مبارك المذكور نقيباً قال فيه بعض الشعراء:

رأيت في النوم إمام الهدى موسى حليف الهمّ والوجد
يقول: ما تنكبني نكبةً إلا من الهند أو السند
تحكّم السندي في مهجتي وحكّم الهندي في ولدي
فلعنة الله على مَنْ به يُحكّم السندي والهندي^(١)



١٥

نجم الدين علي بن الموسوي

قال صاحب الحوادث في وقائع سنة ٦٧٤هـ ما لفظه:

«وفيها عُزِلَ أمين الدين . . . من نقابة مشهد موسى بن جعفر (ع)،
وعُيِّنَ في النقابة نجم الدين علي بن الموسوي»^(٢).



١٦

محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي الحسيني

ذكره ابن الفوطي فقال:

(١) الحوادث الجامعة: ٣٨٥، وفيه «تحكم» والصواب ما أثبتناه.

(٢) الحوادث الجامعة: ٣٨٥.

«محيي الدين، أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم بن أبي طريف محمد بن علي، يعرف بابن المنكر^(كذا) العلوي، الحسيني الزيدي، النقيب بمشهد موسى، ولي النقابة بمشهد الإمام موسى بن جعفر، وكان من أصحاب النقيب الطاهر رضي الدين أبي القاسم علي بن علي بن طاووس الحسيني، وهو من أولاد السادات النقباء، وله نفس شريفة، ولذلك علته الديون في قضاء الحقوق»^(١).



١٧

السيد عبد الكريم آل طاووس

ترجم له ابن الفوطي فقال:

«غياث الدين، أبو المظفر، عبد الكريم بن جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني، الفقيه، العلامة، النسابة: كان جليل القدر، نبيل الذكر، حافظاً لكتاب الله المجيد، ولم أر في مشايخي أحفظ منه للسير والآثار والأحاديث والأخبار والحكايات والأشعار، جمع وصتف، وشجر وألف، وكان يشارك الناس في علومهم، وكانت داره مجمع الأئمة والأشراف، وكان الأكابر والولاة والكتاب يستضيئون بأنواره ورأيه، وكتبت لخزائنه كتاب - الدر النظيم في ذكر من تسمى بعبد الكريم -، وسألته عن مولده فذكر أنه ولد في شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة. وتوفي في يوم السبت سادس عشر شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة»^(٢).

روى الشيخ آقا بزرك الطهراني عن تكملة أمل الآمل للسيد حسن

(١) تلخيص مجمع الآداب: ٣٩٩/٥ - طبع الهند -.

(٢) تلخيص مجمع الآداب: ٤/٤ ق/٢، ١١٩٤.

الصدر أنه ولي نقابة مشهد الكاظمين، ونُصَّ على ذلك في هامش بعض الكتب^(١)، ويؤيده تلقيبه بالنقيب في بعض المؤلفات المعاصرة له^(٢)، ولم يُعَلِّمْ نقابة أخرى له، كما يؤيده أيضاً سكناه في مشهد موسى بن جعفر (ع)^(٣) وتلقيبه بالكاظمي^(٤) لاستدامة مكثه هناك.



١٨

رضي الدين علي بن غياث الدين عبد الكريم آل طاووس

ذكره ناسخ بحر الأنساب وقال فيه بعد سرد نسبه الشريف:

«كان هذا رضي الدين ووالده^(٥) غياث الدين نقباء مشهد الإمام موسى^(كنا) والجواد رضي الله تعالى عنهما. كانا عالمين في النسب، يقف بقولهما، ويعتمد على خطهما، رحمهما الله تعالى رحمة واسعة»^(٦).



١٩

تقي الدين الحسن العلوي

قال صاحب الغاية فيه:

(١) بحر الأنساب - طبعة مصورة بالأوفست سنة ١٣٨٥هـ - ٤٣.

(٢) الحوادث الجامعة: ٤٨٠.

(٣) تلخيص مجمع الآداب: ٤/٢ ق ٨٧٨.

(٤) مقابس الأنوار: ١٦.

(٥) في الأصل: ولده.

(٦) بحر الأنساب لركن الدين الموصللي: هامش صفحة ٤٣.

«الحسن تقي الدين، أبو طالب، النقيب. ولي النقابة بمقابر قريش مراراً... سيد متزهّد منقطع، يسكن مدينة السلام، فيه خير ودين، وله فضل، ويكتب مليحاً. مات في سنة^(١)... له أولاد باقون ببغداد»^(٢).



٢٠

جمال الدين أحمد بن الحسن العلوي

هو السيد جمال الدين أحمد بن تقي الدين الحسن بن علي المحيصي.

ذكره ابن المهنا العبيدلي في تذكرة الأنساب^(٣)؛ ووصفه بأنه: «سيد عالم محتشم متوجّه شاعر، نقيب مشهد الكاظم (ع)».



٢١

مؤيد الدين النسابة

قال صاحب الغاية:

«مؤيد الدين النقيب النسابة، هو شاب جميل الصورة؛ حميد الأخلاق، انتسب إلى طريقة السيد أحمد الرفاعي الكبير، وكان مقداماً شهماً، ورد إلى بغداد، ورُتّب نقيباً بالمشهد الكاظمي الجوادي، ثم عُزل

(١) بياض في الأصل.

(٢) غاية الاختصار: ٩٤.

(٣) كان هذا الكتاب في مكتبة الشيخ محمد السماوي بالنجف الأشرف، ولا أعلم من اشتراه بعد وفاة صاحب المكتبة وبيع ما فيها.

عنه، وانحدر إلى واسط فتولّى النقابة بها، وها هو إلى اليوم نقيبها. ووالده باقٍ منقطع في داره على قدم الزهد والتصوّن، أحسن الله أحواله وأعانه^(١).

٢٢

علي بن علي بن الحسيني

ذكره العبيدلي السالف الذكر بهذا الاسم في مشجّرتة الكبرى ووصفه بـ«نقيب بمقابر قریش». كما ذكر ولده محمداً أبا الفتوح وقال أنه «[من] بيوت النقابة بمقابر قریش» من دون تصريح بتوليه النقابة.



٢٣

محمد بن أبي بكر الطاووسي

هو محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطاووسي. ذكره ابن المهنا العبيدلي في مشجّرتة الكبرى وقال: «نقيب مشهد الكاظم (ع).



٢٤

علي بن عبد الكريم بن أحمد العلوي الحسيني الحنبلي

كان نقيباً يعظ بمشهد موسى بن جعفر (ع)، وكان يسب

الرافضة... ولمّا حدث غرق سنة ٧٢٥هـ كان نقيباً، وأخذ الناس ليريهم قبر أحمد بن حنبل وقد أحاط الماء به ولم يفتح داخله. توفي بالطاعون الجارف سنة ٧٤٩هـ ودفن في المشهد الكاظمي^(١).

٢٥

جلال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي المظفر هبة الله الموسوي

ذكره صاحب العمدة فقال: «كان كريماً سخياً، تولّى نقابة مشهد موسى الكاظم (ع)»^(٢).

وإذا كان جده هبة الله من رجال مطلع القرن الثامن فهو متأخر عنه قرابة نصف قرن.

٢٦

صفي الدين الحسين بن علي الموسوي

هو نجل النقيب السابق، وذكره في العمدة بعد ذكر أبيه وقال: «وتزوج ابنه أبو عبد الله الحسين صفي الدين نقيب مشهد موسى: شاهي بنت محمود»^(٣).



(١) رواية الدكتور مصطفى جواد عن تاريخ الذهبي.

(٢) عمدة الطالب: ٢٠١.

(٣) عمدة الطالب: ٢٠١.

الشيخ عبد الحميد الكلیدار

هو الشيخ عبد الحميد بن الشيخ طالب الشيبلي؛ سادن المشهد الكاظمي^(١). المولود في ٧ ذي القعدة سنة ١٢٨٢هـ والمتوفى في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٦هـ. مُنح رتبة النقابة - بعد غياب للنقابة عن الكاظمية زاد عن أربعة قرون - بفرمان صادر من استانبول؛ على الرغم من عدم كونه علوي النسب، والنقابة - كما عرفنا - خاصة بالعلويين. والظاهر أن والي بغداد يومذاك كان قد طلب من السلطات العثمانية إصدار هذا الفرمان ليغيب به نقيب الأشراف ببغداد بسبب سوء تفاهم نشأ بينهما. ولما تسلّم الشيخ عبد الحميد فرمان النقابة أرسل إليه السيد محمد القزويني برقية تهنئة تتضمن هذين البيتين:

ملك الأنام حباك من أطفاه رتباً بها قد نلت منه نصيباً
باب الحوائج صرت بواباً له فلذا ارتضاك على حماه نقيباً^(٢)



(١) ترجمنا له بالتفصيل في «سنة المشهد الكاظمي».

(٢) شعراء الحلة: ٢٥٩/٥.

السدنة

كانت مهمة الإشراف على المشهد والعناية بشؤونه في طليعة واجبات النقيب ومهامه الرئيسية - كما مر -، ونال المشهد على أيدي نقبائه كل ضروب الرعاية والاهتمام؛ طيلة العهود التي حُظيت الكاظمية خلالها بوجود أولئك السادة الأكارم.

وقد حُتمت قائمة النقباء السالفي الذكر بأواخر القرن الثامن الهجري؛ حيث لم نثر على اسم نقيب للمشهد أو إشارة إليه بعد ذلك التاريخ. ولعل تردّي الأوضاع الإدارية في العراق خلال تلك الفترة الزمنية وما بعدها؛ والصراع الحاد الذي قام بين الكتل المتنفذة يومذاك في التسابق للاستيلاء على السلطة؛ لم يدع مجالاً لحكومات تلك العهود للتفكير بهذه الجوانب والقيام على تنفيذها كما يجب، فبقيت البلدة ومشهدا بلا نقيب خاص يدير الأمر ويشرف على الشؤون العامة.

وعندما تمّ للصفويين احتلال العراق في سنة ٩١٤هـ بادروا إلى تشكيل إدارة دينية كبرى في بغداد باسم «مشيخة الإسلام» في مقابل المشيخة التركية القائمة في اسطنبول، وجعلوا مركزها الرئيس في الكاظمية، وأوكلوا أمرها لعالم فاضل هو الشيخ عبد الله قنديل، وأعطيت لهذه المشيخة من الصلاحيات والإمكانات ما يناسب اسمها الضخم الرنان، وكانت شؤون المشهد في رأس واجبات تلك المشيخة ومهامها. وبذلك تمّ الاستغناء عن منصب النقابة ولم يعد له ما يبرّر وجوده.

وعلى أثر انتهاء العهد الصفوي وتسلّم الأتراك مسؤولية الحكم في العراق ألغى مركز شيخ الإسلام وسائر تشكيلاته، وبقي المشهد بدون مسؤول يقوم بواجباته، فكان لا بد من تعيين من ينهض بذلك على أن لا يكون من أبناء البلدة وسكانها؛ لعدم ثقة سلطة الاحتلال بهم وبتنفيذهم الصادق لكل ما يصدر إليهم من أمر ونهي.

ويروي الشيخ علي الكلیدار أن خصومة عنيفة حصلت بين سادن الحرم المكي يومذاك - واسمه ربيعة - وبين شرفاء مكة دفعته إلى الهجرة إلى الشام والاتصال الوثيق بالحكومة العثمانية، ثم جاء إلى بغداد فيمن جاء مع الحملة العسكرية التركية، فعينتته سلطات الاحتلال في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري متولياً^(١) لشؤون المشهد الكاظمي، ثقةً به، ومكافأةً له على إخلاصه، ومراعاة لانسجام عمله الجديد مع ما كان يقوم به سابقاً من سداة الحرم المكي.

ولكن الشيخ رشيد الكلیدار يروي أن قدوم «ربيعة» مع الحملة العسكرية إنما كان تلبية لطلب أخيه الشيخ محمد الشبيبي سادن الكعبة الشريفة؛ الذي لم يستطع السفر مع الحملة لكبر سنّه، ولم يكن ذلك عن خصومة بينه وبين شرفاء مكة.

(١) لم ندر ماذا كان يسمى القائم بهذا الأمر حينذاك ويقول الشيخ رشيد الكلیدار أنه كان يسمى «نقيب أشرف المشهد الكاظمي». ثم أطلق عليه بعد ذلك لقب «كلیدار»، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين: «كلید» بمعنى مفتاح و«دار» بمعنى صاحب، ويُقصد بها مَنْ عنده المفتاح، ثم استبدلت في السنين الأخيرة بكلمة «سادن» تعريباً للتسمية؛ والسادن في اللغة «خادم الكعبة، والجمع السَدَنَة وسَدَانَة الكعبة: خدمتها وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه... والفرق بين السادن والحاجب أن الحاجب يحجب وأذنه لغيره؛ والسادن يحجب وأذنه لنفسه». يراجع لسان العرب: ٢٠٧/١٣.

وعلى كل حال، فإن سلسلة أسرة السدانة في الكاظمية تبدأ من «ربيعة» وما زالت تتوارث هذا المركز حتى اليوم. ولكن الذي يؤسف له أننا لم نعرف أسماء من تولّى السدانة بعد ربيعة من أولاده وذريته القدامى بالتسلسل والتفصيل؛ نتيجة لضياع «فرماناتهم» وتضارب معلومات أبناء الأسرة في ذلك.

ونورد فيما يلي أسماء من عرفنا من هؤلاء السدنة ومختصراً من الترجمة لكل واحد منهم، استكمالاً لسياق البحث، وأداءً لحق التاريخ، وجزاءً لما بذلوا في سبيل المشهد من جهود؛ وما قاموا به من واجبات الصيانة والعناية؛ وما أسداه بعضهم للبلدة والوطن من أياد بيضاء وفضل كبير:

١ - ربيعة؛ المار الذكر.

٢ - جواد.

٣ - ابنه أحمد بن جواد.

٤ - ابنه علي بن أحمد.

ذكر هؤلاء الثلاثة سليلهم الشيخ عبد النبي بن علي الكاظمي عند ترجمته لنفسه، ولا بد أنهم كانوا من سدنة المشهد، ولكننا لم نعر علي فرمان لهم أو ذكر أو ترجمة.

٥ - الشيخ عبد النبي بن علي بن أحمد بن الجواد، المعروف بالكاظمي.

ولد في الكاظمية سنة ١١٩٨هـ، وتلمذ علي السيد محمد رضا شبر وولده السيد عبد الله شبر والشيخ أسد الله صاحب المقابس، وحكى السيد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل أنه قرأ المطول على الشيخ

محمد حسن آل ياسين وأنه كان مستغرقاً في الاشتغال وأنه كانت له خزانة كتب كبيرة جيدة.

هاجر من العراق بعد سنة ١٢٤٤هـ، وسكن قرية «جُوَيَا» من قرى بشارة في جبل عامل، ورأس في تلك البلاد وتزعم، وشهد له بالعلم والفضل علماء جبل عامل وأجلاؤها، وكانت له يد طولى في معظم العلوم والفنون كما تشهد به تصانيفه الكثيرة القيمة.

توفي في جُوَيَا نفسها في خامس شهر ذي القعدة سنة ١٢٥٦هـ ودُفن بها، وكتبت على قبره هذه الأبيات وكل شطر منها تاريخ لوفاته^(١):

يا مرقداً بين ثراه العلاء سُقيت صوبَ البرِّيا مرقدُ
يُنمى إليك الفضل فاهناً به تاجاً ففيه الشرف الأوحد
فلا عداك الغيث منهلهُ لطف وفيض الله لا ينفد

«وله آثار جليلة وتصانيف مفيدة، منها:

١ - تكملة نقد الرجال. فرغ منه ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الثاني سنة ١٢٤٠هـ.

٢ - اختصار الإقبال. فرغ منه في سنة ١٢٥٤هـ.

٣ - الغرة في شرح الدرّة. في علم الكلام.

٤ - الكشكول.

٥ - المطاعن.

(١) هكذا ورد في الكرام البررة، والظاهر أن شطرين منها قد عراها التصحيف أو التحريف فلم ينطبقا على تاريخ الوفاة.

- ٦ - تدوين حواشي البهائي على النجاشي.
 - ٧ - تحفة المسافر.
 - ٨ - الحق الحقيقي. في الرد على الأخبارية.
 - ٩ - شرح قواعد العلامة. إلى آخر كتاب الطهارة.
 - ١٠ - العقود المنشورة. في كليات الفقه.
 - ١١ - فصل الخطاب. في أصول الفقه.
 - ١٢ - توضيح خلاصة الحساب للبهائي.
 - ١٣ - شرح المنظومة. أي الغرة.
 - ١٤ - مناسك الحج.
 - ١٥ - الإقبال في عمل السنة.
 - ١٦ - منظومة في أصول العقائد.
 - ١٧ - تعليقة على «مطالب النفس ومسائلها» في الفلسفة للملا حمزة الجيلاني^(١).
 - ٦ - أحمد بن عبد النبي.
 - ٧ - محمد بن أحمد بن عبد النبي.
- ولي أحدهما سدانة الحرم بعد سفر الشيخ عبد النبي إلى جبل عامل، وقد توفيا بالطاعون حينما داهم الكاظمية في سنة ١٢٤٦ هـ.
- ٨ - عبد الرزاق بن محمد بن أحمد بن عبد النبي.

(١) لخصنا هذه الترجمة من الكرام البررة: ٢/ ٨٠٠ - ٨٠٢ ومعارف الرجال: ٢/ ٧٣.

ولي السدانة سنة ١٢٤٦هـ، وحُظِيَ بسدانة المشهد الغروي في سنة ١٢٥١هـ، ثم حصل على التزام قضاء الحلة.

وعندما تولى أمر المشهد الغروي سكن هناك، وأودع شؤون المشهد الكاظمي إلى ولده الشيخ طالب، ونظم الشيخ جابر الكاظمي قصيدة يهنئ بها الشيخ طالب بمنصب أبيه في النجف الأشرف ونيابته عنه في سدانة الروضة الكاظمية؛ جاء فيها:

ألفَتْ مهجتي الغرام وأتى لي قلب يطيق حمل الغرام
بأبي جيرة نأوا عن فؤادي وجفوني ظلماً بغير اجترام
ويقول في آخرها:

هاكها طالب خيارَ نظام بخيار الشهور شهر الصيام
فابتداء الكتاب عونٌ لمن قال ل وفي قوله اختتام الكلام
قال أرخ (مفتاح أزكى جنان بيدئ طالبٍ سليل الكرام)^(١)
وتوفي الشيخ عبد الرزاق في سنة ١٢٦٢هـ.

٩ - طالب بن عبد الرزاق:

ولد سنة ١٢٣٠هـ، وولي السدانة إثر وفاة أبيه سنة ١٢٦٢هـ، وكان قبل ذلك - كما سلف - نائباً عن أبيه في القيام بهذا الأمر.

تألب عليه خصومه فوشوا به لدى الحكومة العثمانية فعزلته عن السدانة سنة ١٢٨٠هـ أيام ولاية عمر باشا على العراق، ولما ولي مدحت باشا أمر العراق بذل جهداً كبيراً في سبيل عودة الشيخ طالب لمركزه فأعيد في سنة ١٢٨٦هـ، وقد نظم الشيخ جابر الكاظمي قصيدة بهذه المناسبة؛ قال فيها:

(١) مجموع هذا التاريخ ١١٦١هـ، وهو غير تام.

طالب الخير نال نجح الأمانى
ليثُ غابٍ قد غاب عنه ومذآ
وشهاب ما غاب حتى رأينا
وسحاب قد عاود الروض لَمَّا
عاد للمنصب الذي قد تحلَّى
منصب خصَّه به الله قدماً
آب للجنة التي خَلَّد اللدَّ
فهو رضوان وهو يسقي من الرض

وعندما أرادت الحكومة التركية تشكيل وفد مفاوضات الصلح بينها وبين الحكومة الإيرانية برئاسة القائد علي پاشا اختارت الشيخ موسى كاشف الغطاء والشيخ طالب الكلیدار عضوين في الوفد؛ اعتماداً على كفاءتهما وكياستهما الفائقة^(٢).

توفي الشيخ طالب في سادس شهر شَوَّال سنة ١٢٩٢هـ، وأرخ وفاته السيد حسين بن السيد رضا علي الهندي الكاظمي بقوله:

ناداه موسى مرحباً يا طالباً للخلد أرخ (في جوار الكاظم)
١٠ - عيسى بن عبد الرزاق:

تولَّى السدانة بعد وفاة أخيه الشيخ طالب، وعارضه فيها ابن أخيه حسن الشيخ طالب محتجاً بكون السدانة وراثية يرثها الولد من أبيه، ثم تمَّ الاتفاق بينهما على أن يكون الشيخ حسن رئيساً للبلدية ويظل الشيخ عيسى سادناً للمشهد.

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٩٤ - ٩٥.

(٢) رواية الشيخ رشيد الكلیدار عن كتاب ناسخ التواريخ.

وتوفي الشيخ حسن بعد وفاة أبيه بستة أشهر، وكان أخوه عبد الحميد يومذاك طفلاً صغيراً لم يبلغ مبالغ الرجال، فاستمر الشيخ عيسى بسدائه إلى آخر حياته.

توفي الشيخ عيسى ليلة الأربعاء ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٠٤هـ.

وفي ديوان الشيخ جابر الكاظمي قصيدة بمناسبة زفاف الشيخ عيسى يهنئ بها أخاه الشيخ طالب؛ مطلعها:

أتت مثل قرن الشمس حوراء كاعبا جهاراً ولم ترقب رقيباً مراقباً^(١)

١١ - عبد الحميد بن طالب:

ولد في ٧ ذي القعدة ١٢٨٢هـ، وتوفي أبوه وهو ابن عشر سنين، ثم توفي عمه الذي ولي أمر السدانة بعد الشيخ طالب؛ وهو ابن ٢٢ عاماً.

وعلى أثر وفاة عمه أصدر الولي مصطفى عاصم باشا قراراً من مجلس إدارة ولاية بغداد بإيداع أمر السدانة وكالة إلى الشيخ علي بن الشيخ عيسى، فاعترض الشيخ عبد الحميد على هذا القرار وطلب من السلطة أن تكل أمر السدانة إليه لأنه صاحب الحق الأصيل فيها وأن عمه الشيخ عيسى إنما وليها لصغر سنه يومذاك، وبعد الاستمرار في المطالبة أصدر الوالي أمراً باشتراك الشيخ علي والشيخ عبد الحميد في السدانة وكتب إلى العاصمة التركية طالباً إصدار «الفرمان» الأصولي بذلك، ولكن نظارة الأوقاف رفضت فكرة المشاركة وطلبت إيداع الأمر لأحدهما.

ووصل كتاب نظارة الأوقاف بعد انتقال الوالي السابق؛ فاختر

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: ٨٩ - ٩١.

الوالي الجديد محمد سري پاشا - وكان قد تسلم مهام ولاية بغداد منذ فترة قريبة - الشيخ عبد الحميد سادناً والشيخ علي الشيخ عيسى رئيساً للخدام، واستمر الأمر كذلك إلى أن تولى الحاج حسن پاشا أمر العراق، حيث عزل الشيخ علي من رئاسة الخدمة وكتب إلى نظارة الأوقاف مطالباً بتعيينه سادناً. وتماهلت نظارة الأوقاف في الجواب عدة سنين بقي خلالها الشيخ عبد الحميد قائماً بشؤون السدانة حتى حلت سنة ١٣١٩هـ حيث ورد فيها فرمان بتعيين الشيخ علي سادناً للمشهد وحرمان الشيخ عبد الحميد من ذلك، ولكن الأمر لم يدم طويلاً فعادت السدانة إلى الشيخ عبد الحميد بعد سنتين من عزله. وتبارى الكتاب والشعراء في المساهمة بالإشادة بهذه العودة والتبريك بهذه المناسبة.

ومن تلك الرسائل رسالة من الشيخ عبد الحسين الحويزي يقول

فيها:

«مَنْ اللهُ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ غَدَاةٌ بَلَّغَكَ مِنْكَ، وَجَعَلَ الْيُسْرَ فِي يَسْرَاكَ وَالْيَمْنَ فِي يَمْنَاكَ... وَأَلْقَتْ لَدَيْكَ غُرَّ الْمَعَالِي مَقَالِيدَهَا، وَجَمَعَتْ حَوْلَ فَنَاءِ عَزْكَ فِرْقَهَا وَعِبَادِيدَهَا، حَيْثُ تَشَبَّهَتْ بِأَعْرَاقِ دُوْحَةِ الزَّعَامَةِ، وَأَخْلَصَتْ الْخِدْمَةَ لِلْسَيِّدِينَ الْمَقْدَّمِينَ بِالْإِمَامَةِ... إلخ».

وتليها قصيدة للحويزي نفسه جاء فيها:

وطاب لنا الزمان وقد فرهنا
 حمدنا الدهر حيث به «حميد»
 فعاد البشر حين أتاه يسعى
 من الإقبال في عيش رغيد
 أتاه النصر من «عبد الحميد»
 بيوم صار ذلك يوم عيد
 ويقول في أواخرها:

أيا بحر الندى الطامي وطود الـ
 لقد عقمت بك الدنيا وكانت
 هدى السامي الممنع بالصعود
 تُلقَّب قبل عصرك بالولود

وللسيد محمد القزويني بهذه المناسبة من جملة قصيدة:

بشرى «حميد» الفعل في رتبة خذها فقد وافتك مياسة
فُقت ملوك الأرض من أجلها كعادة تختال في دلها
لم ترض ألاك قريناً لها فزدتها حسناً إلى شكلها
وقال في ختامها مؤرخاً:

إنعامه تاريخه (أبشروا رَدَّ الأمانات إلى أهلها)^(١)
ولبعض شعراء الكاظمية قوله:

للملك الأعظم دامت يدُ أعاد مفتاح جنان الهدى
قد طوّقت في فضلها منك جيدُ فأنعمَ قرير العين فيها ودُمُ
إليك يا رضوانها فهو عيدُ وجاء في تاريخ ذلك:

بورك يومٌ أرّخوه (به عدتَ قرير العين عبد الحميدُ)
وللسيد أحمد السيد صالح القزويني قوله:

بشرى حميد الفضل بل كل من هذي مفاتيح كنوز الهدى
قد كان مثلي يتولاه بهنّ قد أتحفك الله
فيك نرى ما نتمناه^(٢) مؤيداً لا زلتَ في نصره

وتوفي الشيخ عبد الحميد يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٦هـ بعد أن أبلي بلاءاً حسناً في المشاركة الفعلية بجهد الإنكليز حيث كان قائداً للمجاهدين وعضداً قوياً لبطل الجهاد السيد مهدي السيد حيدر الكاظمي.

(١) في الأصل المنقول عنه: بشروا، وصواب التاريخ يستدعي ما أثبتناه.

(٢) شعراء الحلة: ٩٩/١ وشعراء الكاظمية [المجلدان الرابع عشر والخامس عشر من هذه الموسوعة] وأوراق آل الكلدار.

١٢ - علي بن عبد الحميد:

ولد سنة ١٣١٨هـ، وولي سداة المشهد في أوائل عام ١٣٣٧هـ إثر وفاة أبيه، وبقي في هذا المركز قرابة ٤٨ عاماً بذل خلالها كثيراً من الجهود في سبيل المشهد، وحصلت أثناء عهده الطويل تطورات عمرانية كبرى لم تكن لتحصل لولا نشاطه واهتمامه ومساعدته.

توفي ليلة الخميس عاشر شهر صفر سنة ١٣٨٥هـ، وأقيم حفل تأبيني كبير في الصحن الكاظمي بمناسبة ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاته شارك فيه عدد من الكُتَّاب والشعراء.

وللشيخ حسن أسد الله الكاظمي قصيدة في رثائه جاء في أولها:

يحق علينا أن نعيد لك الذكرى	وأنفسنا حرى وأعيننا عبرى
وننشر من أيامك الغر ما طوث	يد البين في سفر العلى صحفاً غرا
ونذكر عهداً كان نصراً وزاهراً	وهيهات ننسى عهدك الزاهر النضرا
وما ذكرتك النفس إلا توجّدت	لفقدك ما ترجو عزاءاً ولا صبرا
دهاني الأسى فاستشعرته مشاعري	فمدت فمي نظماً وناظرتي نثرا
إلى أن تجاري الدمع والشعر بالبكا	وخير البكا ما يجمع الدمع والشعرا

كما أرخ الشيخ حسن السالف الذكر سنة الوفاة بقوله:

يقولون لي: قد مات من كان جامعاً	جميع صفات الفضل والنبل والمجد
فقلت لهم: ما مات من شاع ذكره	بكل مكانٍ من ثناء ومن حمد
وما فقدته في العلى ذكرياته	من الباقيات الصالحات أو الولد
فيا فجعة دهياء أرخ (بيومها)	عليّ أوى الفردوس في جنة الخلد

وللسيد عبد الرسول الكفائي قصيدة في رثائه قال فيها:

أبكى الأسى قلبي عليك تفجعاً	فتفجرت لك عين شعري أدمعاً
-----------------------------	---------------------------

هي ذوب أحشائي تسيل قوافياً متفجرات في مصابك هُمَّعا
بكر النعي فراخ يندب للنهي ندباً به روح الفضيلة قد نعي
وله أيضاً مؤرخاً من جملة قصيدة:

إذا أفل البدر في ليلةٍ فمن بعده النجم لم يَأفلِ
ومَنْ نسله صالح فاضلٌ فذلك فخر الأب الأفضلي
وإن يخلُ من أسدٍ غائبه فليس بخالٍ من الأشبلِ
فمدحاً في الخلد أرخته (نزياً بروضة قدسٍ علي)

١٣ - فاضل بن علي بن عبد الحميد:

ولد سنة ١٣٤٤هـ، ودرس في المدارس الحديثة فاجتاز بعض
مراحلها.

وفي سنة ١٣٧٠هـ أصبح نائباً عن أبيه في السدانة. ثم أصبح سادناً
للمشهد على أثر وفاة والده، وصدر المرسوم الجمهوري بذلك في ٧ -
٧ - ١٩٦٤م.

وما يزال سادن المشهد حتى اليوم؛ سدد الله خطاه.



«الملحق الثالث»

مشاهير

المدفونين في المشهد

كان المنصور العباسي - كما أسلفنا في مقدمة الكتاب - قد اختار الأرض المجاورة لمدينته المدوّرة لتكون مدفناً للعباسيين والأشرف من الناس؛ وأطلق عليها اسم «مقابر قريش» تنيهاً على اختصاصها بالقرشيين باديء ذي بدء.

وكان أول مَنْ دُفِنَ فيها: جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور، المتوفى سنة ١٥٠هـ^(١).

ثم دُفِنَ فيها بعد ذلك: الهيثم بن معاوية عامل المنصور على البصرة، المتوفى سنة ١٥٦هـ^(٢).

وعامر بن إسماعيل المسلي، المتوفى سنة ١٥٧هـ^(٣).

ونصر بن مالك، المتوفى سنة ١٦١هـ^(٤).

(١) تاريخ الطبري: ٣٢/٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠/٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٢/٨.

(٤) تاريخ الطبري: ١٤٠/٨.

وأبو عبيد الله معاوية بن عبد الله الأشعري، المتوفى سنة ١٦٩هـ أو ١٧٠هـ^(١).

وقاضي القضاة أبو يوسف الأنصاري، المتوفى سنة ١٨٢هـ، على قول^(٢).

وغيرهم ممن لا نرى ضرورة لاستيعابهم.

ولما توفي الإمام الكاظم موسى بن جعفر (ع) عام ١٨٣هـ دُفن بمقابر قريش أيضاً، كما دُفن إلى جنبه حفيده الإمام الجواد محمد بن علي (ع) سنة ٢٢٠هـ.

ونُسب المكان على مرور الأيام إلى الإمام الكاظم (ع)، وكثر الدفن فيه رغبة في مجاورة الإمامين وتبركاً بالتقرب إليهما وتشفعاً بهما.

ولو تصفحنا كتب التاريخ والتراجم لرأينا من أسماء الذين دُفِنوا في المشهد الكاظمي ما يربو على كل عدِّ وحصر وما لا تستطيع استيعابه المجلدات الضخمة، وكان في جملة هؤلاء المدفونين أعداد هائلة من العلماء والأدباء والمفكرين والملوك والرؤساء والوزراء وقادة الجيش وطبقات أخرى من الناس.

وكان من مشاهير المدفونين في هذا المشهد المقدس في العصر العباسي:

محمد الأمين بن الرشيد، المتوفى سنة ١٩٨هـ^(٣).

(١) وفيات الأعيان: ٢٥/٦.

(٢) تلخيص مجمع الآداب: ٤/٤ ق/٣/٥٥٣. ولم يذكر قدماء المؤرخين كالخطيب البغدادي وأضرابه موضع دفن هذا الرجل، ويراجع في الشك في قبره: زهر الربيع: ٢٦٥ ومجلة لغة العرب البغدادية: ٧٥٤/٦.

(٣) الكامل: ٥٩/٨.

والدته زبيدة، المتوفاة سنة ٢١٦هـ^(١).

وإبراهيم بن محمد، المعروف بابن عائشة، المقتول سنة ٢١٠هـ^(٢).

وعبيد الله بن عبدالله بن طاهر، المتوفى سنة ٣٠٠هـ^(٣).

وسليمان بن محمد النحوي، المعروف بالحامض، المتوفى سنة ٣٠٥هـ^(٤).

ومحمد بن القاسم الأنباري النحوي، المتوفى سنة ٣٢٧هـ أو ٣٢٨هـ^(٥).

وعلي بن إسحاق البغدادى الشاعر، المعروف بالزاهي، المتوفى سنة ٣٥٢هـ^(٦).

والحسن بن محمد المهلبى، الوزير، المتوفى سنة ٣٥٢هـ^(٧).

ومعز الدولة البويهى، الأمير، المتوفى سنة ٣٥٦هـ^(٨).

وعلي بن عبدالله الناشى، المتوفى سنة ٣٦٥هـ^(٩).

وجعفر بن محمد القمى، المعروف بابن قولويه، المتوفى سنة ٣٦٨هـ^(١٠).

(١) الكامل: ٥٩/٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٦٠٤/٨.

(٣) وفيات الأعيان: ٣٠٦/٢.

(٤) وفيات الأعيان: ١٤٠/٢.

(٥) وفيات الأعيان: ٤٦٤/٣.

(٦) وفيات الأعيان: ٥٣/٣.

(٧) وفيات الأعيان: ٣٩٤/١.

(٨) وفيات الأعيان: ١٥٨/١.

(٩) معجم الأدباء: ٢٨٢/١٣.

(١٠) رجال الطوسي: ٤٥٨.

والحسين بن الحجاج الشاعر، المتوفى سنة ٣٩١هـ^(١).
وأبو علي بن أبي جعفر أستاذ هرمز، المعروف بعميد الجيوش،
المتوفى سنة ٤٠١هـ^(٢).

ومحمد بن محمد بن النعمان، المعروف بالمفيد، المتوفى سنة
٤١٣هـ^(٣).

وجلال الدولة البويهى، الأمير، المتوفى سنة ٤٣٦هـ^(٤).
وأبو منصور بن جلال الدولة البويهى، المعروف بالملك العزيز،
المتوفى سنة ٤٤١هـ^(٥).

وعلي بن أفلح العبسي الشاعر، المتوفى سنة ٥٣٥ أو ٥٣٦ أو
٥٣٧هـ^(٦).

وعلي بن صدقة، الوزير، المتوفى سنة ٥٥٢هـ^(٧).
ومحمد بن عبد الكريم الأنباري، كاتب الإنشاء، المتوفى سنة
٥٥٨هـ^(٨).

ومحمد بن الحسن، المعروف بابن حمدون، الكاتب، المتوفى
سنة ٥٦٢هـ^(٩).

(١) وفيات الأعيان: ٤٢٧/١، ويقول ابن خلكان: «أوصى أن يدفن عند رجلني موسى بن جعفر وأن يكتب على قبره: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد).

(٢) المنتظم: ٢٥٣/٧.

(٣) رجال النجاشي: ٢٨٧.

(٤) الكامل: ٣٧/٨.

(٥) الكامل: ٤٠/٨.

(٦) وفيات الأعيان: ٦٩/٣.

(٧) المنتظم: ١٧٩/١٠.

(٨) المنتظم: ٢٠٦/١٠.

(٩) وفيات الأعيان: ١٦/٤.

- ويزدن التركي، الأمير، المتوفى سنة ٥٦٨هـ^(١).
- وسعد بن محمد التميمي، المعروف بحيص بيص الشاعر، المتوفى سنة ٥٧٤هـ^(٢).
- وأبو طالب علي بن البخاري، المتوفى سنة ٥٩٣هـ^(٣).
- ويحيى بن أبي الفرج الشيباني، الكاتب، المتوفى سنة ٥٩٤هـ^(٤).
- ومحمد بن محمد الكرخي، الحافظ، المنشد، المتوفى سنة ٥٩٨هـ^(٥).
- وأحمد بن علي البخاري، قاضي القضاة، المتوفى سنة ٥٩٩هـ^(٦).
- والحسن بن نصر، المعروف بابن الناقد، المتوفى سنة ٦٠٤هـ^(٧).
- ويحيى بن محمد العلوي، نقيب الطالبين بالبصرة، المتوفى سنة ٦١٣هـ^(٨).
- وناصر بن مهدي العلوي، الوزير، المتوفى سنة ٦١٧هـ^(٩).
- ويعقوب بن صابر البغدادي الشاعر، المتوفى سنة ٦٢٦هـ^(١٠).

-
- (١) المتتظم: ٢٤٢/١٠.
 (٢) وفيات الأعيان: ١٠٨/٢.
 (٣) الكامل: ٢٣٩/٩.
 (٤) وفيات الأعيان: ٢٩٢/٥.
 (٥) الجامع المختصر: ٨٥/٩.
 (٦) الجامع المختصر: ١١٤/٩.
 (٧) مرآة الزمان: ٥٣٦.
 (٨) مرآة الزمان: ٥٨١.
 (٩) الكامل: ٣٤٥/٩.
 (١٠) وفيات الأعيان: ٤٣/٦.

ونصر الله بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفى سنة ٦٣٧هـ^(١).

إلى آلاف وآلاف غيرهم:

وتزايد الدفن في المشهد بعد العصر العباسي بشكل ملفت للنظر، ثم تزايد أكثر فأكثر بعد الألف الهجري حتى جاوز العد والإحصاء، وأصبحت محاولة التعداد في عداد المستحيل.

وكنت أود أن أسرد أسماء مشاهير المدفونين في المشهد الكاظمي ممن بلغنا خبر دفنه، تخليداً لهم وتكريماً لتاريخهم، لولا الخروج عن صلب الموضوع والحاجة إلى عشرات المجلدات.

وسوف نقتصر - نزولاً على ضرورة الاختصار - على ذكر المدافن التاريخية التي ما زالت معروفة منذ القرون الإسلامية المتقدمة حتى اليوم، وهي ثلاثة:

١ - قبر ابن قولويه القمي:

هو «جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قَوْلَوَيْه، أبو القاسم، وكان أبوه يلقَّب مَسَلَمَةَ من خيار أصحاب سعد بن عبد الله الأشعري القمي عظيم الشأن. وكان أبو القاسم من ثقات أصحابنا وأجلّائهم في الحديث والفقہ. روى عن أبيه وأخيه عن سعد وقال: ما سمعتُ من سعد إلا أربعة أحاديث. وعليه قرأ شيخنا أبو عبد الله [أي المفيد] الفقه ومنه حمل، وكل ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه. له كتب حسان:

(١) وفيات الأعيان: ٣٢/٥.

- ١ - كتاب مداواة الجسد.
- ٢ - كتاب الصلاة.
- ٣ - كتاب الجمعة والجماعة.
- ٤ - كتاب قيام الليل.
- ٥ - كتاب الرضاع.
- ٦ - كتاب الصداق.
- ٧ - كتاب الأضاحي.
- ٨ - كتاب الصرف.
- ٩ - كتاب الوطىء بملك اليمين.
- ١٠ - كتاب بيان حلّ الحيوان من محرّمه.
- ١١ - كتاب قسمة الزكاة.
- ١٢ - كتاب العِدَد.
- ١٣ - كتاب العِدَد في شهر رمضان.
- ١٤ - كتاب الرد على ابن داوود في عدد شهر رمضان.
- ١٥ - كتاب الزيارات^(١).
- ١٦ - كتاب الحج.
- ١٧ - كتاب يوم وليلة.
- ١٨ - كتاب القضاء وأدب الحكّام.

(١) طبع على الحجر في النجف الأشرف باسم «كامل الزيارات» سنة ١٣٥٦هـ.

- ١٩ - كتاب الشهادات .
- ٢٠ - كتاب العقيدة .
- ٢١ - كتاب تاريخ الشهور والحوادث فيها .
- ٢٢ - كتاب النوادر .
- ٢٣ - كتاب النساء لم يتمه^(١) .
- ٢٤ - كتاب الأربعين^(٢) .
- ٢٥ - كتاب الفطرة .
- ٢٦ - فهرست ما رواه من الكتب والأصول^(٣) .
- روى عنه التلعكبري والشيخ المفيد والحسين بن عبيد الله وأحمد بن عبدون وابن عزور^(٤) .
- توفي - رحمه الله - سنة ٣٦٨هـ^(٥) ، ودُفن عند رجلي الإمام الكاظم (ع)^(٦) . وما زال قبره معروفاً حتى اليوم داخل الإيوان المعروف بإيوان الشيخ المفيد .

٢ - قبر الشيخ المفيد العكبري:

هو «محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام بن جابر بن

(١) رجال النجاشي: ٨٩ - ٩٠ ، وتراجع خلاصة الأقوال: ١٦ .

(٢) معالم العلماء: ٢٦ .

(٣) فهرست الطوسي: ٤٢ - ٤٣ .

(٤) رجال الطوسي: ٤٥٨ .

(٥) رجال الطوسي: ٤٥٨ ورجال ابن داوود: ٨٨ .

(٦) الفوائد الرضوية: ٧٨/١ .

النعمان بن سعيد بن جبير بن وهب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان بن عبد الدار» المنتهي بنسبه إلى يعرب بن قحطان^(١).

«يكنى أبا عبدالله، المعروف بابن المعلم. من جملة متكلمي الإمامية. انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب»^(٢).

«رئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة، مع الجلالة العظيمة في الدولة البويهية... وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، حسن اللباس... وكان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر. عاش ستاً وسبعين سنة... كانت جنازته مشهودة، شيّعه ثمانون ألفاً»^(٣).

«مقدّم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطر، شاهدته فرأيته بارعاً»^(٤).

«كان كثير التقشف والتخضع والإكباب على العلم. تخرّج به جماعة، وبرع في مقالة الإمامية حتى كان يقال: له على كل إمامي مئة»^(٥).

«كان ذا جلالة عظيمة في دولة بني بويه... وكان خاشعاً متعبداً متألهاً»^(٦).

(١) رجال النجاشي: ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) فهرست الطوسي: ١٥٧ - ١٥٨.

(٣) شذرات الذهب: ١٩٩/٣.

(٤) فهرست ابن النديم: ٢٥٢.

(٥) لسان الميزان: ٣٦٨/٥.

(٦) تاريخ دول الإسلام: ١٩١/١.

«فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم»^(١).

قرأ وروى عن نيف وخمسين شيخاً من شيوخ عصره^(٢). وله أكثر من مائتي مصنف كبار وصغار^(٣). وقد طبع بعضها في العراق وإيران.

ولد يوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ست وثلاثين أو ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وصلى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بميدان الأشنان؛ وضاق على الناس مع كبره^(٤).

«وكان يوم وفاته لم يُرَ أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق»^(٥).

ورثاء الشاعر مهيار الديلمي بقصيدة غراء جاء في أولها:

ما بعد يومك سلوة لمعلل
متني ولا ظفرت بسمع معذل
سوى المصاب بك القلوب على الجوى
فَيَدُ الجليد على حشا المتململ
وتشابه الباكون فيك فلم يبن
دمع المحق لنا من المتعمل^(٦)

(١) رجال النجاشي: ٢٨٤.

(٢) كتابنا المخطوط - الشيخ المفيد -.

(٣) فهرست الطوسي: ١٥٨ وشذرات الذهب: ١٩٩/٣.

(٤) رجال النجاشي: ٢٨٧.

(٥) فهرست الطوسي: ١٥٨.

(٦) ديوان مهيار: ١٠٣/٣.

ورثاه أيضاً تلميذه الشريف المرتضى بقصيدة جاء في أولها:

مَنْ عَلَى هَذِهِ الدِّيارِ أَقاما؟ أو ضفا ملبس عليه وداما؟
عج بنا نندب الذين تولوا باقتياد المنون عاماً فعاماً^(١)

ورثاه كذلك الشاعر عبدالمحسن الصوري بقطعة من الشعر جاء فيها:

تبارك مَنْ عَمَّ الأنام بفضله وبالموت بين الخلق ساوى بعدله
مضى مستقلاً بالعلوم «محمد» وهيهات يأتينا الزمان بمثله^(٢)
ويراجع الشكل رقم (٢٦) المار الذكر في ص ١٥٩ من هذا الكتاب.

٣ - قبر نصير الدين الطوسي:

هو «محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين، الطوسي، الفيلسوف»^(٣) المولود يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى عند طلوع الشمس سنة سبع وتسعين وخمسمائة^(٤).

نشأ بطوس، واشتغل هناك بطلب العلوم^(٥)، وكان من أشهر أساتذته معين الدين سالم بن بدران المصري وكمال الدين الموصلية^(٦).

اتصل الطوسي بناصر الدين محتشم حاكم قهستان ووزير علاء

(١) ديوان الشريف المرتضى: ٢٠٤/٣.

(٢) ديوان الصوري: ٢٠/أ - مخطوط مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي -.

(٣) فوات الوفيات: ١٨٦/٢.

(٤) الفوائد الرضوية: ٦٠٥/٢.

(٥) روضات الجنات: ٥٨٢.

(٦) فوات الوفيات: ١٨٨/٢.

الدين محمد ملك الإسماعيلية، ويقال أن ناصر الدين هو الذي استدعى الطوسي. وبقي نصير الدين لدى الناصر حيناً من الدهر، وألّف خلال ذلك كتابه «أخلاق ناصري» وسماه باسم صاحبه الناصر^(١).

«ولما فُتِحَتْ قلعة - ألموت - [من قبل المغول] خرج نصير الدين... وكان في خدمة علاء الدين... وحضر بين يدي السلطان [المغولي] فحُظي عنده»^(٢).

ودخل الطوسي بغداد مع المحتلين المغول، واتصل بأعلام العراق، ثم ذهب إلى الحلة - وكانت من مراكز العلم الكبرى يومذاك - ومكث فيها برهة من الزمن، وكانت له مع أعلامها مساجلات ومطارحات قيمة^(٣).

«وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده في الأموال، واحتوى على عقله حتى أنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به... وولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده، وكان له في كل بلد نائبٌ يستغل الأوقاف ويأخذ عُشرها ويُحمل إليه ليصرفها في - جامكيات - المقيمين بالرصد ولما يُحتاج إليه من الأعمال بسبب الإرصَاد، وكان للمسلمين به نفع... وكان يبرهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم، وكان - مع هذا كله - فيه تواضع وحسن ملتقى»^(٤).

و«ابتنى بمراغة قبة ورصدًا عظيمًا، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء، وملاها من الكتب التي نُهبَتْ من بغداد والشام

(١) روضات الجنات: ٥٨٢.

(٢) الحوادث الجامعة: ٣١٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/٢٠ وروضات الجنات: ١٤٨.

(٤) فوات الوفيات: ١٨٨/٢.

والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد، وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة، وجعل له الأوقاف»^(١)، «وكانت الآلات المستخدمة في هذا الرصد موضع الإعجاب، وهي تشتمل كرة ذات حلقات متقاطعة تسمى الآلة ذات الحلق؛ وربعاً حائطياً لقياس الارتفاع؛ ودائرة بروج لقياس الانقلاب الصيفي والشتوي. وقد تسنى لنصير الدين الطوسي في هذا المرصد إنجاز تقاويم فلكية جديدة تعرف بالزيج الإيلخاني تنوياً باسم هولاءكو - الإيلخان الأول -، وقد عمت هذه التقاويم وانتشرت في أنحاء آسية حتى الصين»^(٢).

وبدأ العمل في إنشاء هذا الرصد سنة ٦٥٧هـ وانتهى سنة ٦٧٢هـ^(٣).

وفي عام ٦٦٢هـ «وصل نصير الدين محمد الطوسي إلى بغداد لتصفّح الأحوال والنظر في أمر الوقوف... ثم انحدر إلى واسط والبصرة، وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد»^(٤).

وعاد إلى بغداد عام ٦٧٢هـ مع السلطان أبا قا خان «وتصفّح أحوال الوقوف... وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها»^(٥)، وكان «معه كثير من تلامذته وأصحابه»^(٦).

وتوفي - رحمه الله - يوم الغدير ثامن عشر ذي الحجة عام ٦٧٢هـ

(١) فوات الوفيات: ١٨٦/٢.

(٢) تاريخ العرب للدكتور حتي ورفيقه ٤٦١/٢.

(٣) الحوادث الجامعة: ٣٤١.

(٤) نفس المصدر: ٣٥٠.

(٥) نفس المصدر: ٣٧٥.

(٦) فوات الوفيات: ١٨٩/٢.

«ودفن في مشهد موسى بن جعفر (ع) في سرداب قديم البناء خالي من دفن؛ قيل أنه كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله»^(١).

خلف من مصنفاته عدداً كبيراً في الكم والكيف، طبع بعضه في العراق وإيران والهند.

ويراجع الشكل رقم (٢٤) المار الذكر في ص ١٥٢ من هذا الكتاب.



(١) الحوادث الجامعة: ٣٨٠.

«الملحق الرابع»

خِزَانَةُ الْمَشْهَدِ

كانت للمشهد الكاظمي - خلال العصور الخالية - خزانة نفيسة تضم من الكنوز الفنيّة ما لا يقدر بثمن؛ ولا يدخل في حساب.

وتحدثنا المصادر التاريخية أن من جملة نفائسها في القرن الرابع الهجري: قنديلٌ صفرٍ مربعاً بديع الصنعة؛ غاية في حسنه، من عمل أبي الحسن علي بن عبدالله بن وصيف الناشي؛ شاعر أهل البيت (ع)؛ المتوفى سنة ٣٦٥هـ. وكان الناشي يعمل الصفر ويخرّمه وله فيه صنعة بديعة^(١).

وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري كان في المشهد «قناديل ومحاريب ذهب وفضة، وستور، وغير ذلك»^(٢).

وفي أوائل القرن السادس الهجري كان في المشهد «ودائع وذخائر»^(٣) مع «القناديل الفضة والستور والديباغ»^(٤).

وفي القرن السابع ضُمَّتْ خزانة المشهد - فيما ضمت - عدداً من

(١) معجم الأدياء: ٢٨٥/١٣.

(٢) الكامل: ٥٩/٨.

(٣) المنتظم: ٢٤٣/٩.

(٤) ذيل تاريخ دمشق: ٢٠٦.

الكتب النفيسة ذات الخطوط المنسوبة والقراءات والسماعات الموثوقة، ومن جملتها.

- ١ - «نسخة عتيقة من كتاب الملاحم للبطائني»^(١).
- ٢ - «كتاب منية الداعي وغنية الواعي، وقفية ابن يلмыш، عليه خط السعيد رضي الدين علي بن طاووس بسماع من قرأه عليه»^(٢).
- ٣ - كتابٌ على ظهره خط السيد أحمد آل طاووس^(٣).

وبقيت هذه الخزانة في تزايد مستمر؛ حتى بلغت أوج ازدهارها في أيام الحكم الصفوي، حيث أهدى لها الملوك الصفويون روائع الفن الإيراني متمثلاً بأنواع السجاد والستور والشمعدانات وغيرها من الهدايا الثمينة القيمة.

وفي سنة ١١٥٣هـ وصلت هدايا نادر شاه - ملك إيران يومذاك - إلى العتبات المقدسة في العراق^(٤). ولكننا لم نعرف نوع تلك الهدايا وما كان للمشهد الكاظمي منها على وجه التفصيل.

وعندما غار الوهابيون على النجف الأشرف في سنة ١٢١٦هـ وقتلوا ونهبوا وفعّلوا الأفاعيل «نُقلت خزينة النجف الأشرف خوفاً من غارات الوهابيين، وضموها إلى خزينة موسى الكاظم (ع)^(٥).

ويُفهم من هذا الضمّ وجود «خزينة» في المشهد الكاظمي يودع فيها

(١) الإقبال: ٥٩٩.

(٢) سلسلة الكتاب: ٢٠/١.

(٣) فرحة الغري: ١٢٣.

(٤) تراجع صفحة ٧٧ من هذا الكتاب.

(٥) دوحة الوزراء: ٢١٧.

نفائس ما يُهدى إلى المشهد من تحف ونوادِر؛ وأنها كانت - لنفاستها وكثرتها - من الأمان والسعة على درجة وافية باستيعاب خزانة النجف وحمايتها .

ويروي لنا المعمّرون أنه كانت داخل الضريح الفضي صندوقان يضمّان نسخاً ثمينة من القرآن المجيد من موقوفات المشهد .

أما اليوم فلا نعلم من أمر الخزانة شيئاً . وقد سألتُ الشيخ فاضل الكلّيدار - سادن المشهد الحالي - عن محتويات الخزانة فنفي أن يكون فيها الآن شيء مهم وذكر أن أبرز محتوياتها الحالية يتلخص فيما يلي :

سيفان مرصّعان بالياقوت والأحجار الكريمة، أهداهما أنور باشا وزير الحربية التركية .

شمعدانات أربعة من الفضة، أهداها ناصر الدين شاه ملك إيران .

(٢١) مصحفاً شريفاً، منها المخطوط والمطبوع .



الْبَيْعَةُ وَالْحَاجِيَةُ وَالْإِنْفَاقُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لله وصلوةً على عباده الذين اصطفى.



ليس الحديث عن المعنى والأحاجي والألغاز حديثاً عن تراث شعبي بحث كالأزياء والمقاييس والمكايل وما كان على شاكلتها، بل إنما هو - بالإضافة إلى كونه تراثاً شعبياً - حديث عن فن رائع مفعم بالجمال، مليء بالطرافة، فيه للذهن متعة، وللفكر عمل وحركة، وللذوق تربية وصقل، ولأوقات الفراغ إشغال نافع وقتل لا يحاسب عليه دين ولا قانون. وبهذا كان من أجمل ألوان اللهو البريء المفيد الذي خلفه لنا الأقدمون، بعد أن وضعوا قواعده واندفعوا بكل طاقاتهم الذهنية نحو إجادته وإثرائه بكل ما أوتوا من وسائل الإثراء الفكري المبدع.

وعلى الرغم من تعدد أسماء هذا الفن ومصطلحاته في مصادر اللغة والأدب حيث دعي بـ «العويص» و«اللغز» و«المحاجاة» و«الملاحن» و«المعمى» وما شابهها^(١)، فإنها بأجمعها تعني - في الأصل - معنى واحداً وشيئاً معيناً اختلفت نماذجه وتشعبت صورته بفضل الاستمرار والتطور فأصبح ذا أقسام كثيرة ومراحل متعددة وألوان متغايرة يطلق على كل قسم منها اسم معين أو اصطلاح خاص.

(١) خزنة الأدب: ١١٦/٣.

أما الأساس الأول لهذا الفن - ولم يكن فناً آنذاك - فأعتقد أنه مقتبس من تلك الكلمات التي كان يورّي العرب بها عما يريدون عندما يتجنّبون الإفصاح والتصريح، فراراً من تبعة أو تملصاً من عقاب، وهي الكلمات التي اصطلح عليها بعد ذلك بـ «الملاحن».

وللعالم اللغوي المعروف أبي بكر بن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ كتاب بهذا الاسم، عرّف في أوله معنى الملاحن وقال: «إن أصل اللحن أن تريد شيئاً فتورّي عنه بقول آخر»، وذكر أن «اللحن - عند العرب -: الفطنة، ومنه قول النبي - (ص) -: لعل أحدكم ألحن بحجته من بعض، أي أفطن لها وأغوص عليها»^(١).

ثم روى في هذا الباب أمثلة كثيرة شحن الكتاب بها، ومنها مثلاً: أن تقول: والله ما رأيت فلاناً قط ولا كلمته، فمعنى ما رأيت أي ما ضربت رثته، ومعنى ما كلمته أي ما جرحته، وتقول: والله ما دخلت لفلان بيتاً ولا رأيت له بيتاً، والبيت الأول هو القبر والبيت الثاني المرأة. وتقول: والله ما ظلمت فلاناً ولا غيره، أي ما سقيته ظملاً، والظلم: اللين قبل أن يروب^(٢).

وبالنظر إلى جمال اللحن لدلالته على الفطنة وصف مالك بن أسماء جارية به فقال:

منطق رائع وتلحن أحياناً نا وخير الحديث ما كان لحناً^(٣)
وإلى هذا المعنى أشار القتال الكلابي بقوله:

(١) الملاحن: ٤، وراجع في الحديث النبويّ النهاية: ٥٣/٤.

(٢) الملاحن: ٨ - ١٤.

(٣) مجالس ثعلب: ٥٩٩/٢ وسقط اللثالي: ١٦/١.

ولقد لحنتم لكم لكيما تفهموا ولحنتم لحننا ليس بالمرتاب^(١)
وبهذا المعنى فسر قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٢).



وعندما بدأ الرواة في تسجيل الأحاديث والشعر والتاريخ وكتابتها صوتاً لها من النسيان والتحريف، ظهرت إلى الوجود مشكلة جديدة سببت كثيراً من الألم ومن مواقف الخجل لعدد من العلماء والأدباء المعروفين، تلك هي مشكلة «التصحيف».

والتصحيف هو: أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه وعلى غير ما اصطُح عليه في تسميته، ويروى في أصل لفظه: أن قوماً كانوا أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال عندها: قد صحفوا فيه: أي روهه عن الصحف، ومصدره التصحيف، والشيء الذي وقع فيه التغيير: مُصَحَّف. ويكون التصحيف مرادفاً للتغيير والتبديل.

وإلى هذا المعنى أشار أبو نواس في مدح أستاذه خلف الأحمر:

لا يهم الحاء في القراءة بالـ خاء ولا لامها مع الألف
ولا يُعَمِّي معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف^(٣)

ولما كان التصحيف - كما أسلفنا - تغييراً في الحرف من ناحية النقط أو الإعجام يسبب تغييراً في المعنى كان - لا محالة - خطأ يؤاخذ عليه المصحِّف ويكون دليلاً على قلة تثبته، وحفلت كتب الأدب

(١) لسان العرب: ٣٨٠/١٣.

(٢) سورة محمد - ٣٢ -، وبرايع مجمع البيان: ١٠٥/٥ وتفسير ابن كثير: ١٨٠/٤.

(٣) ديوان أبي نواس: ٥٧٦.

والتراجم بتسجيل مجموعة كبيرة من الصحفيات وقع فيها القراء والفقهاء والمحدثون والأدباء واللغويون، وفيها ما يثير العجب، بل وفيها ما يبعث على الضحك، ومن الأمثلة على ذلك:

إن المحدثين بالبصرة غبروا زماناً يروون أن علياً (ع) قال مخاطباً أهل البصرة: ألا إن خراب بصرتكم هذه يكون بالريح، فما أقلعوا عن هذا التصحيف إلا بعد مائتي سنة عندما شاهدوا خرابها بالزنج^(١).

وروى بعض المحدثين: غمُّ الرجل ضيق أبيه. وإنما هو: غمُّ الرجل صنو أبيه^(٢).

ومما يروى في هذا الباب: أن أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون كان قد حضر مجلس المأمون للمظالم فبدأ يقرأ عليه القصص، وكان أحمد هذا معروفاً بالنهم، فمرت به قصة عليها - فلان البيزدي - فقرأها: - الشريدي -، فقال المأمون: أبو العباس جائع هاتوا له ثريدة، فقدمت إليه فأكرهه على أكلها، وغسل يده وعاد في تصفح القصص، فمرت به قصة مكتوب عليها «فلان الحمصي» فقرأها «الخبصي»، فقال المأمون: كان غداء أبي العباس غير كاف، لا بد للثريدة من أن تتبع بخبيصة، فقربت إليه فأكرهه على أكلها^(٣).

ومن صحيفات الأصمعي: أنه روى شطر ذي الرمة هكذا:

فيها الضفادع والحيتان تصطخب

(١) كشف الظنون: ٤١١/١.

(٢) التصحيف: ٣٣.

(٣) أدب الكتاب: ٥٨ وتاريخ الخلفاء: ٢١٦ - ٢١٧.

فقال أبو علي الأصفهاني: أي صوت للسمك؟ إنما هو «تصطحب» أي تتجاوز^(١).

وألزم المتوكل عبادة المخنث في يوم من أيام رمضان أن يقرأ في المصحف فصحف ما شاء الله، حتى بلغ قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْتَبِينَ﴾ فصحفه إلى - وبشر المختبين - فأمر به فسحب على وجهه^(٢).

وهكذا كان التصحيف في بدء أمره تغييراً في الحرف قائماً على الخطأ والجهل، ولكنه سرعان ما تطور بعد زمن قصير فأصبح في كثير من الأحيان عملاً متعمداً يراد به إخفاء المقصود لغرض التفكه والتندر أو لأي غرض آخر. ومن أمثلة هذا التصحيف المتعمد:

إن الحسن بن وهب نهض ذات ليلة عن مجلس ابن الزيات فقال: سحير، أي بت بخير، فقال له ابن الزيات: تنبه، أي بت به^(٣).

وقال المتوكل يوماً ليوحنا بن ماسويه الطيب: بعث بيتي بقصرين، فقال له يوحنا: آخر الغداء، أراد المتوكل: تعشيت فضرني^(٤).

وكان المعتمد العباسي ولعاً بهذا النحو من التصحيف، ومما يروي

عنه:

طُسْتُ حَسَن = طَبِيبِي حَبِيبِي.

حَمْرَةٌ حَدَثُكَ بِشَأْنِي = حَمْرَةٌ خَدِيكَ سَنَانِي.

مَشْمَشَةٌ ثَقِيلَةٌ = مَن يَنُمُ يَنبُهُ بِقَبْلَةٍ.

(١) التصحيف: ٦٠ - ٦١.

(٢) التنبيه: ٧٧/ب.

(٣) التنبيه: ٧٨/أ.

(٤) ن م: ٧٨/ب.

حبش بن بحير = حبيبي بت بخير .

قلنسوة خضرا = قلبي يتوهج ضرا^(١) .

ثم انتقل هذا النحو من النثر إلى الشعر فقال أبان يهجو أبا نؤاس :

أبو نؤاس بن هانبي وأمه جُلُّ بان^(٢)

والناس أفطن شيء إلى دقيق المعاني^(٣)

وكان اسم أم أبي نؤاس «جلبان» وأراد أبان بالتصحيح أنها «خل

ثان» غير أبيه .

ولعلية بنت المهدي في خادم لها يقال له «رشا» وقد حجب عنها :

وجد الفؤاد بزينا وجدا شديدا متعبا

ولقد كنيت عن اسمها عمدا لكي لا تغضبا

فجعلت زينب سرة وأردت ربما معجبا^(٤)

و«زينا» تصحيف «رشا» والرشأ هو الريم .



وتطور الأمر بهذا اللون الجدي من التصحيف فولد منه المعمي .

وأعتقد أن للفرس يداً كبرى في هذا التطور وفي خلق المولود الجديد،

وما لبث المعمي يسيراً من الوقت حتى أصبح فناً شائعاً فرغ له الأدباء

كثيراً من الوقت ليضعوا له قواعده ومناهجه وأصوله الثابتة .

والتعمية - كما يعرفها اللغويون - : أن تعمي على الإنسان شيئاً

(١) ن م : ٧٩/١ - ٧٩/ب .

(٢) الجلل: الزهر، وجل بان: زهريان .

(٣) طبقات الشعراء: ٢٤٢ .

(٤) الأوراق: ٦١ - ٦٢ .

فتلبسه عليه تلييسا. وفي حديث الهجرة: (لأعمين على من ورائي) من التعمية والإخفاء والتلييس. وعميت معنى البيت تعمية، ومنه المعمى من الشعر^(١).

ويكون المعمى في أصله إخفاءً لشيء ما والتلييس على المخاطب فيه.

ويقال بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ هو أول من نظر فيه واستخرجه حيث يروي الزبيدي أسطورة يقول فيها: «أن ملك اليونان كتب إلى الخليل كتاباً باليونانية، فخلا الخليل بالكتاب شهراً حتى فهمه، فقليل له في ذلك فقال: قلت أنه لا بد من أن يفتح الكتاب باسم الله أو ما أشبهه، فبنيتُ أول حروفه على ذلك فاقْتاس لي. فكان هذا هو الأصل الذي عمل له الخليل كتاب المعمى^(٢).

وسواءً كان الخليل واضعاً للمعمى حقاً - حيث قرأ الخط اليوناني كما قرأ المتأخرون الخط الهيروغليفي - أو لم يكن كذلك، فإننا لم نجد للمعمى أثراً في عصر الخليل وبعد عصره بقليل، وإن كان له أثر فهو في أضيق دائرة وأندر مثال.

وبقي الأمر كذلك حتى حل القرن الرابع وهو القرن الذي ازدهرت فيه الصنعة والتزويق والترف الفكري، وإذا بالمعمى ينتشر هنا وهناك ويصبح فناً من الفنون ذات الشأن التي يلهم بها الأدباء في ساعات فراغهم، ويصرف فيها المفكرون كثيراً من الجهد والوقت. وتكوّن له معنى جديد هو اختيار رموز خاصة يعني كل واحد منها حرفاً من

(١) لسان العرب: ١٥/١٠٠.

(٢) طبقات النحويين: ٤٧ وشرح العيون: ١٥٢.

الحروف الهجائية، ويعبر بهذه الرموز عن حروف الكلمة أو الجملة أو البيت المطلوب تعميته.

ويشاء الحظ الحسن أن نظفر بشرح واف للمعتمى كما كان في القرن الرابع، حيث سجل الأديب حمزة بن الحسن الأصفهاني - وهو من أدياء ذلك القرن اللامعين - كل قواعد هذا الفن وأصوله المعقدة بشكل لم نعثر على مثله في المؤلفات الأخرى المعاصرة له^(١). ونورد فيما يلي نص تلك القواعد بتفصيلها الكامل لتكون لدى القارئ صورة ذهنية واضحة لهذا الفن الجميل:

«مما يستعان به على إخراج المعتمى من الشعر تدبيره على أوزانه والحدق بالذوق فيه وإحصاء حروفه حتى تقف بذلك على جنس الوزن، فتدبر وزن الشعر وحروفه على ما يوجبه مقدار البيت في الطول أو القصر. فإذا عرفت ذلك بدأت بإحصاء الترجمة المرسومة للحروف حتى تقف على عددها، فإذا وقفت على جملة العدد نصفتّه، فإن اتفق أن يكون نصفه عند منقطع كلمة تأملت الترجمة المرسومة للحرف الواقع في مصراع البيت وتأملت الحرف الذي في آخر البيت، فإن اتفقا فالبيت مُصْرَعٌ، وربما اتفقا ولم يكن هناك تصريح، وإن كان انقضاء الكلمة الواقعة في المصراع بعد استغراق نصف البيت عدداً أو قبل استغراقه وكان أحد النصفين زائداً على الآخر حرفاً أو حرفين أو ثلاثة أحرف عملت على أن أحد النصفين فيه حروف مشدودة، واعتمدت على أن نصف البيت حيث انقطعت الكلمة. وربما اختلف الحرف الذي يقع في مصراع البيت والحرف الذي في القافية ويكون البيت مصرّعاً، وهو أن

(١) أورد العسكري في ديوان المعاني: ٢/٢١١ شيئاً من قواعد التعمية واستخراج المعتمى، ولكنه لاختصاره غير واف بالغرض.

يكون أحد المصراعين في التمثيل مثل قولك - أحمد - والمصراع الآخر - اعبدا -، أو مثل قولك - أحمد - والآخر - اعبدي - للمؤنث، فيكون المصراعان متفقين في النظم والذوق مختلفين في صورة الترجمة والخط وزيادة الحروف.

ثم نظرت إلى أكثر ما يتكرر من الحروف ويروح مع غيره، فإذا وجدت في بيت قد رُسمت لحروفه طير في التمثيل غراباً يتكرر مع عصفورة وعصفورة تتكرر مع غراب عملت على أن أحدهما ألف والآخر لام، فإن وقعا في طرفي الكلمة دبّرت ما يحتمل أن يكون حشوهما، وإن وقعا في جانب من الكلمة نظرت ما يحتمل أن يكون قبلهما من الحروف أو بعدهما فوصلته بهما.

ثم تأملت كلمة على حرفين فعلت على أنهما - من - أو - عن - أو - في - أو - قد - أو بعض الكلمات التي تشاكلها على ما تقتضيه الكلمة التي قبله والكلمة التي بعده، وربما كان الحرفان من حروف الأمر كقولك - خذ - دع - سر - قل.

ثم تأملت ما يطول من الكلمات فعلت على أنه «استفعال»، وربما كان مضافاً إلى مؤنث فتزداد الكلمة طولاً، فتصرفها على ما تقتضي صورتها من «استفعله» أو «يستفعله» أو «يستفعلهما» أو «يستفعلهم» أو «مفاعلات» مضافة أو غير مضافة.

وتعمل على ابتداء المصراع الثاني من الحروف واواً في بعض الحالات على جملة من النظر لا على الحقيقة، وكذلك أكثر أوائل الكلمات في الحشو، وإذا لاح لك أن الكلام مما يُعطف بعضه على بعض تعمل على أنها حروف عطف من واوات أو فاءات، فإذا حققت إصابة حروف البيت دبّرت حينئذ وزنه وعملت على أن تجعل لحروف

البيت قالباً من تقديرك بالحركات والسواكن، حتى إذا وزنت البيت بالمعيار الذي تقيسه به انتهى معيارك عند فناء الحروف ولم يفضل منها شيء ولم يفضل المعيار عليها، فإن فضل أحدهما على الآخر غيرت المعيار والمقايسة وقست قياساً ثانياً للوزن ودبرت الحروف على خلاف تدبيرك الأول، فتقيس أوله مع وسطه وآخره وتمحص فكرك وتدبيرك فيه من أوله إلى آخره. ولا تقصد بعض حروفه بالتدبير دون بعض فإنك إن فعلت ذلك طال عناؤك وانتقض عليك تدبيرك، فإذا فطنت لحرف من الحروف التي تقف على معيار كلمتها ولا تدري بناء حقيقتها فأدره على حروف التهجي من «أ.ب.ت.ث.» حتى يمر بك الوزن الموافق لمرادك فترسم تلك الكلمة به، فليس يخرج شيء من الكلام العربي عن تأليف الحروف الثمانية والعشرين، وينبغي تثبيته على ما يوجه نظم الكلام من توفية الحروف معانيها، فتعلم أن قولك: - الذي - يقتضي صلة، وأن الحروف التي تجيء بعدها الأفعال لا تجعل في مواضعها الأسماء، والحروف التي تقتضي الأسماء لا تُتبعها بالأفعال، وإذا اقتضاك الكلام الظروف من الأزمنة والأمكنة أو اقتضت الظروف ما يتبعها من الأسماء المضافة إليها أتبت كل واحد من ذلك ما يقتضيه ويوجه حكم التأليف ورسم الكلام، ولم يشغل فكرك بتدبير كلمة على وزن اسم وهي فعل، أو وزن فعل وهي اسم، أو حرف مبنى وهو اسم، أو اسم وهو حرف مبنى.

وأقوى الأسباب في استخراج المعنى ما يضطرك إليه الوزن من ترتيب الحروف مراتبها التي ترسم بها، فإذا دبرت بيتاً ولم تصب قالب وزنه على ما تصرفه في تدبيراتك فشدد بعض ما ترسمه من تلك الحروف أو مدها أو قصر الممدود منها، فإذا حصلت وزن البيت وجنسه هان عليك التماس حروفه واستنباطها.

وربما دبرت البيت المعمى وأصبت قلب وزنه وتقاطع كلماته وهيئة اتساقه، وساعدتك الحروف على ما ترسمها به وأرتج عليك فيه حرف واحد فيضطرك ذلك الحرف إلى نقض ما دبرته واستئناف تدبير ثان له فيكون سبب إصابتك ذلك الحرف النافر عن سائر حروفك المدبرة، فلا تضجر من صعوبة ما يرد عليك من المعمى فإن الفكر يهجم على حقيقته إن أثرت الصبر عليه.

والذي يوجب إخراج المعمى من الشعر حتى لا يعذر أحد من رواة الشعر وحملة الأدب وذوي الفطنة والذكاء في جهله وجحود معرفته، خلال ثلاث:

منها: أن تأليف حروف الكلام العربي متناه معلوم الرسوم وقد وقف على مهمله ومستعمله.

ومنها: أن ازدواج الكلام محدود، متى أزيل عن الحدود التي رسم بها أنقص معناه، أعني بذلك وضع الكلمات مواضعها من الأسماء والصفات والأفعال والحروف والصلات.

ومنها: أن تأليف الشعر محدود محصور لا يمكن الزيادة فيه ولا النقص منه ولا تحريك ساكنه ولا تسكين متحركة فإن الوزن يأباه، إلا ما كان مطلقاً من ذلك جائزاً في حكم الزحاف، فكل ما صحت أصوله وثبتت حقيقته فإن العقل يحتذيه ويلصق به حتى يخرج إلى العيان ويبدى مستوره.

وإن شئت التعمية جعلت أسماء طير بعدد حروف الكلام، أو جعلت غير الطيور من أسماء السباع أو الوحوش أو الناس أو أجناس الطيب أو أنواع الفاكهة أو الرياحين أو الآلات أو الجواهر أو نظمت خرزا كنظملك هذه الأسماء أو صورت علامات مختلفة. فإن أردت أن

تعمي بيتاً جعلت مكان كل حرف اسم طائر أو غيره، فإذا تكرر ذلك الحرف كررت ذلك الطائر أو ذلك الشيء الذي قد رسمته به.

مثال لذلك:

إذا أردنا أن نعمي هذا البيت:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تكتب:

طاووس. تدرج. باز. شاهين. باشق. يؤؤ. عقاب. شاهين.
صقر. يؤؤ. نسر. رخمة. غراب. باشق. رخمة. غداف.
عقاب. شاهين. دراج. طيهوج.

باشق. قبجة. طاووس. ورشان. باز. طيهوج. غداف. رخمة.
باشق. رخمة. شاهين. باز. طيهوج. حمامة. بطة. غداف. طيهوج.
تدرج. غراب. غداف. عقاب. طيهوج.

وقد تدار ترجمة البيت المعمي حتى لا يوقف على أوله ويتوهم على كل كلمة فيها أنها ابتداء البيت دون الكلمة الأخرى، فيعسر إخراجه، ويتضاعف العناء في تدبيره، فإذا أديرت لك ترجمة بيت فابدأ بتدبير حروفه واستخراجها قبل تدبير وزنه، فإذا كانت الترجمة مبسطة معروفة المبتدأ فابدأ بتدبير وزنها قبل الحروف واستخراجها، فإنك إذا بدأت بتدبير بيت قد أديرت ترجمته وأنت لا تقف على أوله فأعد تدبير وزنه ولا تخف، فإنك إن فعلت ذلك انشق لك وزن صحيح غير وزن البيت الذي ترجم لك، فكانت سبيله كسبيل دوائر العروض عند فك الأوزان المختلفة منها^(١).

(١) التنبيه: ١/٩٦ - ١/١٠٠.

وإلى هنا ينتهي ما أوجزناه من كلام حمزة الأصفهاني عن المعمى وقواعده وأصوله كما كانت في القرن الرابع الهجري، وقد خرجنا منه بنتيجتين:

الأولى - إن المعمى - بهذا الشكل - يعني رصف رموز معينة على الورق بدلاً عن الحروف الهجائية، ثم امتحان الأفهام بحل هذه الرموز.
الثانية - إن المعمى بهذا الشكل أيضاً - فن معقد يعسر فهمه واستعماله على كثير من الناس.



وبالنظر إلى ذلك التعقيد الكبير والصعوبة التي كان يزخر بها المعمى، فإن المتأخرين ممن ورثوا هذا الفن حاولوا بكل وسعهم تسهيله وتيسيره، مع المحافظة على أصل معناه كـ «رمز كتابي» فتولّد من هذا التسهيل لونان من الكتابة الرمزية:

الأول - الرمز بالأرقام؛

وهذا الرمز يعتمد على الحساب العددي للحروف الأبجدية، حيث يوضع موضع كل حرف رقمه في ذلك الحساب. وليس وضع الأرقام للحروف أو تقييم كل حرف بعدد معين أمراً جديداً خلقتة القرون المتأخرة، فقد روى ابن النديم^(١)، أن لفظ القلم في حساب الجمل «نفاع»، ويعني بذلك أن نفاع بمجموع أرقام حروفه يساوي مجموع أرقام القلم على النحو التالي:

$$\text{القلم: } ٢٠١ = ٤٠ + ٣٠ + ١٠٠ + ٣٠ + ١$$

$$\text{نفاع: } ٢٠١ = ٧٠ + ١ + ٨٠ + ٥٠$$

(١) الفهرست: ١٥.

واستعمل الحساب العددي للحروف بعد عصر ابن النديم في تحديد التاريخ وضبطه، حيث يؤرخ الشيء المقصود تاريخه بكلمة أو جملة أو شطر من الشعر يكون مجموع إعداد حروفه مساوياً للسنة المقصودة، ولا مجال للتعرض لتفاصيل ذلك في هذه السطور. ثم أخذ الآخذون من التاريخ بالحروف فكرة هذه الرموز الكتابية. ويحسن بنا قبل ذكر نماذج منها أن نسجل جدولاً بالحروف الأبجدية وأرقامها تسهيلاً وإيضاحاً.

ب = ٢	أ = ١
د = ٤	ج = ٣
و = ٦	هـ = ٥
ح = ٨	ز = ٧
ي = ١٠	ط = ٩
ل = ٣٠	ك = ٢٠
ن = ٥٠	م = ٤٠
ع = ٧٠	س = ٦٠
ص = ٩٠	ف = ٨٠
ر = ٢٠٠	ق = ١٠٠
ت = ٤٠٠	ش = ٣٠٠
خ = ٦٠٠	ث = ٥٠٠
ض = ٨٠٠	ذ = ٧٠٠
غ = ١٠٠٠	ظ = ٩٠٠

وعلى ضوء هذا الجدول إذا أردنا كتابة كلمتي «التراث الشعبي»
على شكل الرمز، وضعنا مكان كل حرف رقمه الخاص هكذا:

١ ، ٣٠ ، ٤٠٠ ، ٢٠٠ ، ١ ، ٥٠٠ ، ١ ، ٣٠ ، ٣٠٠ ، ٧٠ ، ٢ ،
١٠ . وإذا أردنا كتابة كلمتي «الجمهورية العراقية» مثلاً كتبنا:

١ ، ٣٠ ، ٣ ، ٤٠ ، ٥ ، ٦ ، ٢٠٠ ، ١٠ ، ٥ ، ١ ، ٣٠ ، ٧٠ ،
٢٠٠ ، ١ ، ١٠٠ ، ١٠ ، ٥ .

وبهذه الطريقة نستطيع - مثلاً - أن نكتب صفحة كاملة من الأرقام
لا يشك الناظر إليها أنها أرقام مرصوفة، ولكنها لدى العارف الخبير
رسالة أخوية كاملة الدلالة .

واختباراً للقارىء نسجل فيما يلي أرقاماً بدون إيضاح عسى أن
يستطيع حلها:

١ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٧٠ ، ٤٠ ، ١٠ ، ٨٠ ، ٥٠ ، ٣ ، ٤٠ ، ١٠ ، ٣٠ .

الثاني - الرمز بالأشجار:

وهذا يعتمد على تسلسل الحروف الأبجدية بلا أعداد وأرقام،
حيث تنقش مكان كل حرف صورة شجرة ذات خطوط أو أغصان جانبية
يرمز بها للحرف المطلوب . وتبدأ كتابة الشجرة بأن يُحَطَّ خط مستقيم من
الأعلى إلى الأسفل هكذا (١) ثم يعبر عن كل كلمة من كلمات «أبجد .
هوز . حطي . كلمن . سعفص . قرشت . ثخذ . ضطع» بخط مائل على
شكل غصن من الجهة اليمنى للكاتب، ويعبر عن كل حرف من حروف
كل كلمة من تلك الكلمات بخط مشابه من الجهة اليسرى، على النحو
التالي:

فإذا أردنا كتابة كلمة «وَعَى» مثلاً بهذا الشكل من الرمز كتبنا:



فالشجرة الأولى - كما يلاحظ القارئ - تعبر عن «الواو» ولما كان الواو من حروف الكلمة الثانية من كلمات «أبجد هوز. . الخ» وضعنا من الجهة اليمنى غصناً أو خطأً يرمز إلى كلمة أبجد السابقة على الكلمة التي فيها الحرف المطلوب، ثم لما كان الواو هو الثاني من حروف كلمة هوز وضعنا خطين على الجهة اليسرى يرمزان إلى الهاء والواو، وبذلك نعرف أن الحرف المقصود هو الواو. ولو عدنا إلى الشجرة الثانية نجد أنها تعني «العين»، ولما كان العين من حروف الكلمة الخامسة من كلمات «أبجد. . الخ» وضعنا على اليمين أربعة خطوط رمزاً لكلمات أبجد هوز حطي كلمن التي لا يوجد فيها الحرف المطلوب، ثم لما كان العين هو الحرف الثاني من حروف سعفص وضعنا خطين نشير بهما إلى السين ثم العين، وهكذا الأمر في الشجرة الثالثة.

ومثال آخر:



ونعني به «العراق»، ولما كان الحرف فالأول هو الألف وهو من حروف الكلمة الأولى «أبجد» لم يكن للشجرة أغصان من الجهة اليمنى لعدم وجود كلمات تسبق الكلمة المحتوية على الحرف المطلوب، ثم لما كان الألف هو الحرف الأول من أبجد وليس يسبقه حرف آخر في

الكلمة كان للجهة اليسرى خط واحد فقط يشير إلى أن الحرف المطلوب هو الحرف الأول من أبجد. وعلى هذا قياس الأشجار التالية له.



وهناك نمط آخر من فنون اللهو البريء يسمى «الأحجية» ويجمع على «أحاجي» وهو - كسابقه - فن حافل بالجمال مفعم بالطرافة والمتعة الذهنية البالغة. وعلى الرغم من عدم العثور على تاريخ مؤكد لبدئه فإنه متأخر عن المعمى بلا شك، وربما كان من مواليد القرن السادس في أكثر الظن.

ويفسر اللغويون لفظ الأحجية فيقولون: «كلمة محجية: مخالفة المعنى للفظ، وهي الأحجية والأحجوة. وقد حاجيته محاجاة وحجاءاً فاطتته فحجوته. وبينهما أحجية يتحاجون بها. وقال الأزهري: حاجيته فحجوته إذا ألقيت عليه كلمة محجية مخالفة المعنى للفظ. والأحجية والحجيا: هي لعبة وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم، وهي من نحو قولهم: أخرج ما في يدي ولك كذا»^(١).

ويفلسف حاجي خليفة هذا الفن فيقول: «هو علم يبحث فيه عن الألفاظ المخالفة لقواعد اللغة العربية بحسب الظاهر وتطبيقها عليها، إذ لا يتيسر إدراجها بمجرد القواعد المشهورة. وموضوعه: الألفاظ المذكورة من الحيثية المذكورة. ومبادئه مأخوذة من العلوم العربية. وغرضه: ملكة تطبيق الألفاظ التي تتراءى بحسب الاختلال. والاحتياج إلى هذا العلم من حيث أن ألفاظ العرب قد يوجد فيها ما يخالف قواعد

(١) لسان العرب: ١٤/١٦٥.

العلوم العربية بحسب الظاهر بحيث لا يتيسر إدراجه فيها بمجرد معرفة تلك القواعد^(١).

والحقيقة أن الأحجية - بما تضمه من طراوة ويسر وجمال - بريئة من هذه التعقيدات كل البراءة، وليس لها أدنى ارتباط بهذه الاصطلاحات الملتوية الثقيلة على السمع والبصر، وما هي إلا عمل ذهني لذيد يلهو به الإنسان في ساعات فراغه التي يستجم فيها من إرهاق تلك المصطلحات.

وقد استخلصنا من مجموع ما سمعنا وقرأنا أن للكلمة المحجية شروطاً خمسة:

- ١ - أن تكون الكلمة المحجية اسماً نحوياً لا فعلاً ولا حرفاً، ويتساوى في ذلك أن يكون اسم إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد أو أي شيء آخر. كما يتساوى في الاسم أن يكون مفرداً أو جمعاً.
- ٢ - أن يكون هذا الاسم مؤلفاً من كلمة واحدة، فلا تصح المحاجاة باسم مركب كـ «عبدالله» أو «دار السلام».
- ٣ - أن يكون الاسم غير مضاف إلى ضمير، ومجرداً من أداة التعريف.
- ٤ - أن لا يتكرر حرف واحد أو أكثر من حروف الكلمة المحجية مرتين فيما يعطى لها من مرادفات.
- ٥ - أن يعبر عن معنى الكلمة المحجية بكلمة أو كلمتين أو أكثر بدلها، من دون استعمال شيء من حروفها بالنص فيما يعبر عنها من كلمات.

(١) كشف الظنون: ١٣/١.

ونورد فيما يلي مثلاً للأحجية وبياناً لشروطها من حيث التطبيق:

لو أردنا المحاجاة بكلمة «إيوان» فإننا نعبر عنها بقولنا: «يا متكاسل»، ونطلب من السامع أن يصل من قولنا هذا إلى معرفة الاسم المطلوب. ويفكر السامع عند إلقاء ذلك عليه في الكلمة المرادفة لـ «يا» فيجد أنها «أي» ثم في الكلمة المرادفة لـ «متكاسل» فيجد أنها «وان» أي متواني، وعندما يجمع كلمتي «أي» و«وان» تتضح لديه الكلمة المطلوبة «إيوان». علماً بأن التقيد بالحركات والسكنات والتشديد والتخفيف والمد والتسهيل غير مطلوب مطلقاً، بل لا يطلب من هذه العملية سوى اكتشاف الحروف وجمعها من دون التفات إلى غير ذلك.

ونعود الآن إلى الشروط الخمسة السابقة لفهم كيفية تطبيقها في هذا المثال، وواضح أن الشرط الأول متحقق لأن «إيوان» اسم من الأسماء، والشرط الثاني كذلك لأنه اسم مفرد متألف من كلمة واحدة، والثالث كذلك لأنه غير مضاف وغير محلى بأداة التعريف، والرابع كذلك أيضاً لأن «أي» و«وان» لم يتكرر أي حرف منهما فيما أعطي لهما من مرادفات، والتكرار الممنوع هو أن نعطي مرادفاً لكلمة «أي» ثم مرادفاً لكلمة «يوان» مثلاً فيكون الياء الأوسط مكرراً مرتين، ثم نجد الشرط الخامس متحققاً أيضاً حيث لم يستعمل في جملة «يا متكاسل» أي حرف أو أكثر من الحروف الأصلية لـ «إيوان»، والاستعمال الممنوع للحروف الأصلية أن نجعل مرادف «إيوان» «ياوان» أو «أي متكاسل» حيث نستعمل في المرادف بعض مقاطع الكلمة الأصلية.

ومثال آخر:

لو أردنا المحاجاة بكلمة «حبّات» عبرنا عنها بجملة «ودّ عاداً» وطلبنا من السامع أن يستخرج من هذه الجملة نص الكلمة المطلوبة،

وعندما يفكر السامع في المرادفات يصل إلى أن «حُب» مرادف «وَد» و«آب» مرادف «عاد» ثم يجمع هاتين الكلمتين ليصل إلى اللفظ المقصود «حباب».

وعلى هذا النحو يطرّد القياس.

هذا ولم تقتصر المحاجة على الاستعمال الثري لها، بل شارك فيها الشعراء أيضاً بشعرهم، كقول أحدهم:

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد
ماذا يماثل قولي: «جوع أمدّ بزاد»

والمقصود بالكلمة المماثلة: «طوامير» جمع طومار، لأن «طوى» بمعنى الجوع و«مير» بمعنى أمدّ بزاد.

وقال الآخر:

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي: «ظهر أصابته عين»
والمقصود به «مطاعين» جمع مطعان، لأن «مطا» بمعنى ظهر و«عين» أي أصابته عين^(١).



ونعود الآن إلى النمط الثالث والأخير من أنماط اللهو البريء النافع، ونعني به «اللغز»، وقد أوتي هذا النمط من الحظ والتوفيق ما جعله أوسع هذه الأنماط شعبية واستعمالاً، وأكثرها فروعاً وتشعباً، وأوفرها شواهد وأمثلة في النثر والشعر.

ولفظ اللغز - على ما يفسره علماء اللغة - مأخوذ من قولهم: «ألغزَ الكلامَ وألغَزَ فيه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره. واللُّغز واللُّغز واللُّغز: ما ألغِزَ من كلامٍ فُشِّبَ معناه، مثل قول الشاعر:

ولما رأيت النسْرَ عَزَّ ابن دأية وعشش في وكره جاشت له نفسي
أراد بالنسر الشيب شبهه به لبياضه، وشبه الشباب بابن دأية وهو الغراب الأسود لأن شعر الشباب أسود.

واللُّغز: الكلام الملبس. وقد ألغز في كلامه يلغز إلغازاً إذا ورى فيه وعرض ليخفى، والجمع ألغاز»^(١).

ويقول اللغويون أيضاً: «إن كلمة اللغز في أصلها تعني حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الأرض ثم يحفر في جانب منها طريقاً ويحفر في الجانب الآخر طريقاً وكذلك في الجانب الثالث والرابع، فإذا

(١) لسان العرب: ٤٠٥/٥.

طلبه البدوي بعصاه من جانب نفق من الجانب الآخر. ثم استُعير لمعارض الكلام وملاحظته^(١).

وهكذا يكون اللغز - لغة - تعمية للمراد وإضماراً له على خلاف ما يظهر منه.

ويروي مؤرخو الشعر والأدب أن اللغز - بهذا المعنى - قديم وعريق في الأدب العربي، وأن قدمه يتجاوز عصر الإسلام إلى الجاهلية، حيث رووا: أن عبيداً بن الأبرص لقي امرأ القيس فقال له عبيد: كيف معرفتك بالأوابد - والأوابد أساس اللغز وبمعناه - فقال: ألق ما أحببت، فقال عبيد:

ما حبة مية أحيت بميتها دراء ما أنبتت سنا وأضراسا
فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تُسقى في سنا بلها فأخرجت بعد طول المكث أكدا سا
فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة لا يستطيع لهن الناس تماسا
فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها روى بها من محول الأرض أيباسا
فقال عبيد:

ما مرتجات على هول مراكبها يقطعن طول المدى سيرا وأمراسا

(١) نفس المصدر: ٤٠٦/٥.

فقال امرؤ القيس:

تلك النجوم... إلى آخر هذه المطارحات، وهي طويلة لا يتسع المجال لنقلها^(١).

وسواءً صحت نسبة هذه الأبيات لصاحبها أم لم تصح، فإنها تدل على قدم هذا الفن وعراقته بحيث استطاع أحد الوضاعين - إن كانت موضوعه - أن ينسب مثل ذلك لهذين الشاعرين الجاهليين ولم ينكر عليه منكر بعدم وجود هذا اللون من الأدب في ذلك العصر.

ومن الأمثلة على قدم اللغز عند العرب ما أنشده أبو العباس أحمد بن يحيى:

ولقد رأيت مطية معكوسة	تمشي بكلكلها وتزجيتها الصبا
ولقد رأيت سبيئة من أرضها	تسبي القلوب وما تنيب إلى هوى
ولقد رأيت الخيل أو أشباهها	تثني معقفة إذا ما تجتلى
ولقد رأيت جواريا بمفازة	تجري بغير قوائم عند الجرا
ولقد رأيت غضيضة هركولة	رود الشباب غريرة عادت فتى
ولقد رأيت مكفرا ذا نعمة	جهده بالأعمال حتى قد ونى

قال أبو العباس: «المطية المعكوسة: سفينة. والسبيئة من أرضها: حَمْر. والخيل أو أشباهها عنى بها تصاوير في وسائل. وجواريا بمفازة عنى بهن السراب. والغضيضة الهركولة: امرأة، وعادت: من العيادة، ومكفرا ذا نعمة عنى به السيف»^(٢).

ويرى السيوطي أن الألغاز عند العرب أنواع: «ألغاز قصدها

(١) ديوان امرئ القيس: ٩٥ - ٩٧ وديوان عبيد بن الأبرص: ٨١ - ٨٣.

(٢) أمالي القالي: ١/٢٦٧.

العرب، وأبيات لم تقصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازاً، وهي نوعان: فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها، وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع، وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً، وكذلك ألف غيره، وإنما سموا هذا النوع «أبيات المعاني» لأنها تحتاج إلى أن يُسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وهلة. وتارة يقع الألغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب»^(١).

وتطور اللغز على مر القرون حتى بلغ في العصور المتأخرة قمة أهميته، وكثر فيه التأليف والتصنيف^(٢)، بل بلغ من أهميته إطلاق اسم العلم عليه. ونروي في أدناه نصاً من تلك النصوص المتأخرة التي عنيت بالحديث عن اللغز لفهم منه تفصيل معناه بعد هذا التطور الكبير.

قال حاجي خليفة:

«هو علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة بل تستحسنها وتنشرح إليها، بشرط أن يكون المراد من الألفاظ الذوات الموجودة في الخارج، وبهذا يفترق عن المعنى، لأن المراد من الألفاظ اسم شيء من الإنسان وغيره وهو من فروع علم البيان، لأن المعتبر فيه وضوح الدلالة كما سيأتي، والغرض فيهما الإخفاء وستر المراد، ولما كان إرادة الإخفاء على وجه الندرة عند امتحان الأذهان لم يلتفت إليهما البلغاء حتى لم يعدّوهما أيضاً من الصنائع البديعية التي يُبحث فيها عن الحسن العرضي. ثم هذا المدلول الخفي إن لم يكن ألفاظاً وحروفاً بلا قصد دلالتها على معانٍ أخر بل ذوات موجودة يسمى «اللغز» وأكثر مبادئ هذا العلم مأخوذ من

(١) المزهري: ٣٣٨/١.

(٢) كشف الظنون: ١٥٠/١ وذيله: ٩٨/١ و١١٨.

تتبع كلام الملمغزين . . . وبعضها أمور تخيلية تعتبرها الأذواق، ومساائلها راجعة إلى المناسبات الذوقية بين الدال والمدلول الخفي على وجه يقبلها الذهن السليم، ومنفعتها تقويم الأذهان وتشحيذها^(١).

ومهما يكن من أمر اللغز ومعناه النظري وتطوره التاريخي فإن ما ورثناه من ألغاز السلف ينقسم من الناحية التطبيقية إلى ثلاثة أنحاء:

الأول: الألغاز الشعرية:

وليس لهذا النحو ضابط خاص أو أسلوب ثابت، بل ليس له من قاعدة سوى رغبة المتكلم في إخفاء مقصوده والتورية عنه، سواء أ كانت هذه التورية بلغة الأعداد أو بواسطة قلب اللفظ أو بعثرة حروفه - مع ذكرها - أو إعطاء صفات الشيء المقصود أو ما شاكل ذلك. ونورد فيما يلي من الشواهد ما يعطي صورة مصغرة عن هذا اللون من ألوان اللغز.

فمن التورية بالأعداد قول أبي نؤاس:

فما إن فيه من باقي	جنان حصّلت قلبي
وثلاثا ثلثه الباقي	لها الثلثان من قلبي
وثلث الثلث للساقي	وثلاثا ثلث ما يبقى
تجزأ بين عشاق ^(٢)	فيبقى أسهم ست

وقد فرض أبو نؤاس قلبه واحداً وثمانين جزءاً، الثلثان منها أربعة وخمسون، وثلثا ثلثه ثمانية عشر، وثلثا ثلث ما يبقى جزءان، وثلث الثلث جزء، فذلك خمسة وسبعون، وتبقى أسهم ست هي التي تجزأ بين عشاقه.

(١) كشف الظنون: ١٤٩/١.

(٢) ديوان أبي نؤاس: ٢٩٨.

ومن التورية بقلب حروف اللفظ قول الشاعر في «فَرَح»:

يا خبيراً بالمعمى خبيرة تعلو وتصفو
هات قل لي أيما اسم عندما يُقلبُ حرف^(١)
وقول الآخر في «جَوْز»:

ما اسمُ شيء يوليكَ نفعاً إذا ما أنت أوليته فعلاً عسوفاً
هو فرد الحروف إن جاء طرداً وهو زوج إذا عكست الحروف^(٢)
وقول الثالث في «دملج»:

إلى النساء يلتجي وعندهنَّ يوجَدُ
الجسم منه فضة والقلب منه جلمد^(٣)
وقول الرابع في «كمون»:

يا أيها العطار أعرب لنا عن اسم شيء قلَّ في سؤمك
تراه بالعينين في يقظة كما ترى بالقلب في نومك^(٤)
ومن التورية ببعثرة الحروف - مع ذكرها - قول الشاعر في «يحيى»:

رُبَّع موسى مكرر كالطلاق في اسم من شفني بذكر الفراق
غير أنني رأيت آخر صبحٍ ثاني الاسم من أمير العراق^(٥)
وقول الآخر في «موز»:

ما اسم لشيء حسنٍ شكله تلقاه عند الناس موزونا

(١) الكشكول: ٢٤.

(٢) الكشكول: ٦٦.

(٣) المستطرف: ٢٣٤/٢.

(٤) نفس المصدر: ٢٣٦/٢.

(٥) التنبيه: ٨٥/ب.

- تراه معدودا فإن زدته
وقول الآخر في «أحمد» :
واوا ونونا صار موزونا^(١)
- أوله ثالث تفاحة
ورابع الخمر له ثالث
وقول الآخر أيضاً في «غزال» :
وأخر التفاح ثانيه
وأخر الورد لباقيه^(٢)
- اسم من قدهويثه
فإذا زال رُبُّهُ
ومن التورية بذكر صفات الاسم المراد قول الشاعر في «القلم» :
ظاهر في حروفه
زال باقي حروفه^(٣)
- وذو شحوبٍ راعع ساجدٍ
ملازم الخمس لأوقاتها
ويعني بالخمس الأنامل الخمس، والباري هو الذي يبري القلم.
ودمعه من عينه جاري
معتكف في خدمة الباري^(٤)
- وقول الآخر في «ساقية» :
وجارية لولا الحوافر ما جرت
وترضع أطفالاً ولا هي أهمهم
وقول الآخر في «الميزان» :
وأشاهدها تجري وليس لها رجل
وليس لها ثدي وليس لها بَعْلٌ^(٥)
- وقاضي قضاة يفصل الحكم ساكتا
قضى بلسانٍ لا يميل وإن يمل
وبالحق يقضي لا يبوح فينطق
على أحد الخصمين فهو مصدق^(٦)

(١) المستطرف: ٢/٢٣٤.

(٢) التنبية: ٨٨/أ.

(٣) المستطرف: ٢/٢٣٣.

(٤) العقد المفصل: ٢/٤٠، وقريب منه في المستطرف: ٢/٢٣٣ وكشف الظنون: ١/

١٤٩.

(٥) المستطرف: ٢/٢٣٥.

(٦) العقد المفصل: ٢/٤٠.

الثاني: الملقق:

وهو - كما يُستشف من اسمه - عملية تلفيق وتغيير تُجرى على حروف الكلمة المقصود تعميمها بحيث يقدّم المتأخر منها ويؤخر المتقدم - مع المحافظة على نصوصها بلا تلاعب وحذف - ، وبذلك يصعب الاهتداء إلى الاسم المطلوب إلا بعد تفكير وتأمل وتقليب مستمر لتلك الحروف .

وشروطه كما ترشدنا إليه موارد الاستعمال :

١ - أن يكون اسماً لا فعلاً ولا حرفاً، ويتساوى فيه أن يكون اسم إنسان أو حيوان أو نبات أو أي اسم آخر، كما يتساوى فيه المفرد والمركب، والواحد والجمع .

٢ - أن لا يكون مضافاً إلى ضمير ولا مُحلّى بالألف واللام،

ومثاله :

لو أردنا الألفاظ بكلمة «عراق» مثلاً جعلنا بدلاً عنها كلمة «قارع»، ثم طلبنا من السامع أن يصل من طريق هذه الكلمة الملققة إلى الاسم المقصود، وواضح أن حروف «عراق» هي حروف «قارع» بالضبط، ولكن التغيير الذي طرأ عليها جعل الإنسان بحاجة إلى التفكير والتأمل ليصل إلى الحل الصحيح .

وهكذا الأمر في كلمة «يسرك» التي نصل بواسطتها بعد التغيير والتبديل إلى الاسم المطلوب «كرسي» .

ومثل ذلك أيضاً :

ألماس - ونقصد به : إسلام .

مُرَوَّع - ونقصد به : عمرو .

مسائل الرد - ونقصد به: دار السلام.

حكمهم البشع - ونقصد به: محكمة الشعب.

وعلى هذا النحو يطرّد القياس.

الثالث: الكلمات المتقاطعة:

وهي لعبة شائعة بلغ من شيوعها وانتشارها أن كثيراً من الصحف اليومية والمجلات الدورية قد خصصت لها ركناً ثابتاً فيها. وبالنظر إلى ما حظيت به من شهرة ووضوح أمر لم نجد حاجة إلى التعرض لها بالشرح والتفصيل.

ولكنّ الشيء الذي يجب التنبيه عليه أن هذه اللعبة الشائعة مشتقة من لعبة شائعة كانت تستعمل سابقاً باعتبارها لوناً من ألوان اللغز، وهي عبارة عن ذكر عدد حروف الكلمة المعماة - وقد لا يذكر بعضهم عدد الحروف - وأرداف ذلك بذكر معاني بعض حروفها وفقراتها على الطريقة المستعملة في الكلمات المتقاطعة. ونورد فيما يلي مثالين لهذه الطريقة كي يتضح المقصود:

قال أحدهم في «سمرقند»:

وما اسم سداسي إذا ما لمحتة	ترى فيه أجزاءً تدم وتشكر
له ثلث يأتي به الموت فجأة	وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث - رعاك الله يا صاحبي - له	على مدد الأيام نشر معطر
وفي نصفه لما تحرك بعضه	حديث شهى في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني إذا ما أعدته	إلى النار للتحليل والعقد سكر ^(١)

(١) المستطرف: ٢٣٦/٢.

الثالث الأول: سُمّ، والثاني: رَقّ، والثالث: نَدّ، والنصف الأول:
سَمَر، والنصف الثاني: قَنَد.

وقال الآخر في «قدس»:

ما بلدة أولها سورة بل جبل صعب بعيد المنال
وما سوى آخرها قد غدا اسماً وفعلاً وهو حرف يقال
وقلبه فعل، واسم لما يصير منه الجسم مثل الخلال^(١)

السورة والجبل: ق. وما سوى آخرها: قَدُّ - اسم -، وَقَدَّ - فعل
-، وَقَدَّ - حرف -، وقلبه: دَقَّ - فعل -، ودق - اسم مرض -.



وبعد:

فهذا حديث مقتضب عن تلك النماذج الجميلة للهو البريء المفيد
الذي خلفه لنا الاقدمون «تراثاً شعبياً» خالداً وعملاً أدبياً رائعاً. وما
أحوجنا اليوم ونحن ننفذ عنّا غبار التقليد للأجانب ونتحسس واقع
وجودنا الذاتي أن نعود - في أوقات فراغنا - إلى أمثال هذه الملاهي
النافعة واللُّعب المفعمة بالمتعة والفائدة، ونترك كل ما جاءنا به المستعمر
الغازي من سوائل قتل الوقت التي لم يكن يقصد منها إلا إفسادنا تحت
ستار اللعب وتخديرنا تحت إغراء اللهو.

فإلى تراثكم أيها العرب، وإلى أمجادكم أيها المسلمون، والله
تعالى هو الموفق والمعين.



تاريخ الحكيم البويهري
في العراق

آل بويه أسرة فارسية ديلمية؛ استطاعت أن تلفت إليها أنظار التاريخ؛ وأن يكون لها شأن بارز في تاريخ العراق وإيران في القرن الرابع الهجري، وأقامت دولة «بما لم يكن في حساب الناس، ولم يخطر ببال أحد، فدوخت الأمم، وأذلت العالم، واستولت على الخلافة فعزلت الخلفاء وولتهم، واستوزرت الوزراء وصرفتهم، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق، وأطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق»^(١)، ولكنها - على الرغم من كل ذلك - لم تحظ حتى اليوم بدراسة منهجية تؤرخها بأمانة ونزاهة وصدق، وتتحدث عنها بصراحة سليمة من الإفراط والتفريط.



إن المنطقة التي انطلق منها رجال هذه الأسرة الأوائل؛ تعرف بـ «الديلم». وقد اختلف المؤرخون في اسم الديلم ومصدر اشتقاقه، فهل كان قوماً سميت بلادهم باسمهم أو أرضاً سمي سكانها باسمها؟

يقول المقدسي: «وإنما نسبناه (الإقليم) إلى الديلم لأن به ديارهم وفيه ملكهم ومنه منبعهم... ولم نجد لهذا الإقليم اسماً يجمع كوره فأضفناه إليهم ولقبناه بهم»^(٢).

(١) الفخري ٢٤٤.

(٢) أحسن التقاسيم: ٣٥٣.

ويقول ياقوت: «الديلم جيل سموا بأرضهم - في قول بعض أهل الأثر - وليس باسم أب لهم»^(١).

فهو - إذن - اسم قوم قطنوا تلك المناطق فسميت أرضهم باسمهم ونسبت إليهم - على رأي المقدسي -، وهو أرض معينة سكنها لفيث من الناس فسموا باسمها - على رواية ياقوت -.

والذي يقرأ التاريخ يرى أن هذه التسمية أبعد زمناً وتوغلاً في القدم من المقدسي، وإذا كان بدوره قد ابتكر هذا الاسم لأنه لم يجد اسماً لهذا الإقليم فسببه التوسع في إطلاق هذا الاسم على هذه الكور المتعددة؛ ذلك التوسع الذي نشأ عن توسع الديالمة في ملكهم ورقعة نفوذهم وانتشارهم في عدة مدن وأنحاء من بلاد الفرس مما جعل الجغرافيين يطلقون هذا الاسم على هذه المدن المتعددة والمناطق المتفرقة. أما الديلم الحقيقية الأولى فهي ما عبر عنها المقدسي بـ «ديلمان» وجعلها إحدى كور إقليم الديلم. ومن معرفة اسمها يظهر أن اسم هؤلاء القوم مشتق من اسم أرضهم كما قال ياقوت.

وبلاد الديلم - في نظر جغرافي القرن الرابع - إقليم كبير يشتمل على خمس كور: أولها من قبل خراسان قومس، ثم جرجان، ثم طبرستان، ثم الديلمان، ثم الخزر. وتقع بحيرتهم في وسط الكور الأربعة الأخيرة ولا تتصل بقومس لأنها تقع على رؤوس الجبال بين الري وخراسان وتفصل طبرستان بينها وبين البحيرة^(٢).

أما قومس فهي «كورة رحبة نزهة حسنة الفواكه... وأكثرها جبال، قليلة المدن، خفيفة الأهل، كثيرة الأنعام»^(٣).

(١) معجم البلدان: ١٨٦/٤.

(٢) (٣) أحسن التقاسيم: ٣٥٣.

«وأما جرجان فإنها كورة سهلية جبلية، لولا البرد لعملت فيها النخيل.. غزيرة الأنهار، كثيرة البساتين»^(١).

«وأما طبرستان فإنها كورة سهلية بحرية، ولها أيضاً جبال، كثيرة الأمطار، قشفة كربة، وسخة مبرغثة... كثيرة الأسماك والثوم»^(٢).

«وأما الديلمان فإنها كورة في الجبال صغيرة المدن.. وقد أضفنا إليها الجيل لأن أكثر الناس لا يكادون يفرقون بينهم»^(٣).

«وأما الخزر فإنها كورة واسعة خلف البحيرة... كثيرة الأغنام والعسل.. بأخرها سد ياجوج وماجوج»^(٤).

ويستعرض المقدسي في كتابه أهم منتوجات هذا الإقليم وصادراته فيقول في خلال ذلك: «هذا إقليم القز والصوف، به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار. مستقيم الأسعار. مصر ظريف. لهم عمل لطيف... بحر عميق به مدن تطيف. به أسماك سرية، وضياع جلييلة، وفواكه لذيذة، وأشياء متضادة... به تين وزيتون وأترنج وخرنوب. كثير العناب. حسن الأعناب. رساتيق رحاب، ومدن طياب. واسم كبير، وماء غزير، ودخل كثير، وبز خطير»^(٥).

أما أصل الديلم فلعله يرجع «إلى أقوام غير إيرانية كانت تسكن في مناطق بحر قزوين في الزمن القديم»^(٦)، ويدلنا على ذلك ما رواه الاضطخري من أن «لسانهم مفرد غير العربية والفارسية، وفي بعض

(١) (٢) نفس المصدر: ٣٥٤.

(٣) (٤) أحسن التقاسيم: ٣٥٥.

(٥) أحسن التقاسيم: ٣٥٣.

(٦) دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري: ٢٣٨.

الجبل - فيما بلغني - طائفة منهم يخالفون بلسانهم لسان الجيل والديلم»^(١).

ويذهب أحد المستشرقين إلى أن «أغلبية الديلم كانوا قد أصبحوا إيرانيين بمعنى الكلمة في العصر الإسلامي»^(٢). ولم نعثر على دليل واحد يؤيد هذا الرأي، بل لعل الدليل قائم على عكس ذلك حيث كان الديلم والإيرانيون على طرفي نقيض في العقيدة واللغة والتقاليد والنظم الاجتماعية في القرون الأولى من العهد الإسلامي.

ومن ناحية وضعهم الاجتماعي كانوا يخضعون في الحكم لرب البيت (كتخدا)، ولم تكن «شريعة لهم محصلة ولا طاعة فيهم مستقرة»^(٣) و«لا تُرى لهم لباقة ولا علم ولا ديانة»^(٤) و«يمتازون بالخشونة والجلد والعجلة وقلة المبالاة»^(٥)، وكانت لهم مقابل ذلك «دولة ورجلة وهيبة»^(٦)، ونالت النساء مقاماً كبيراً لديهم حيث كنَّ «يجرين مجرى الرجال في قوة الحزم وأصالة الرأي، والمشاركة في التدبير»^(٧).

ويشير بعض المؤرخين - ومنهم المقدسي - إلى بعض العادات الغربية عندهم، كما ينبه على بعض ما يمتازون به في الشكل والسحنة والوجه والشعر، ولكنني أطوي تفصيله لعدم اتصاله بصميم البحث.

والديانة في الديلم غير واضحة المعالم لدينا لنحددها على وجه

(١) مسالك الممالك: ٢٠٥.

(٢) دراسات الدوري: ٢٣٨.

(٣) الخراج لقدامة بن جعفر: ٢٦١.

(٤) أحسن التقاسيم: ٣٥٥.

(٥) مسالك الممالك: ٢٠٣.

(٦) أحسن التقاسيم: ٣٥٥.

(٧) ذيل تجارب الأمم: ٣١٣.

القطع واليقين، بل لم تتضح أيضاً للمؤرخين الأقدمين، فقد صرح قدامة بن جعفر أنه «لا شريعة لهم محصلة»^(١)، وعبر المسعودي عنهم أنهم «جاهلية ومنهم مجوس»^(٢) وأنهم «مذ كانوا لم ينقادوا إلى ملة ولا استحجوا شرعاً»^(٣)، وكذلك يعلن المقدسي أنه لا ديانة لهم^(٤).



وفي أيام الخليفة عمر بن الخطاب تم فتح الري وجرجان وقزوين وطبرستان^(٥). وكان الذي غزا الديلم خاصة هو البراء بن عازب فقاتلهم حتى أدوا إليه الإتاوة^(٦). ويروى أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لما ولي الكوفة من قبل عثمان غزا الديلم مما يلي قزوين^(٧)، كما جاء في روايات أخرى أن سعيد بن العاص لما ولي الكوفة بعد الوليد بن عقبة غزا الديلم فأوقع بهم^(٨).

ومهما يكن من أمر فالشيء المستفاد من هذه النصوص أن فتح البلاد قد تم في أيام الخليفة عمر، وأن رسول الخليفة قد تسلم منهم الإتاوة الشرعية، وأنهم فضلوا دفع الجزية على إعلان الإسلام لشدة عنادهم وتصلبهم وإصرارهم على ما هم فيه. ثم يظهر من غزوات الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص أنهم لم يفوا بدفع الجزية أيضاً، الأمر

(١) الخراج: ٢٦١.

(٢) مروج الذهب: ٢٩٤/٤.

(٣) نفس المصدر: ٢٩٦/٤.

(٤) أحسن التقاسيم: ٣٥٥.

(٥) تاريخ أبي الفداء: ١٦٤/١ والكامل: ١١/٣.

(٦) البلدان للهمداني: ٢٨٢ والكامل: ١١/٣.

(٧) نفس المصدر: ٢٨٢ والكامل: ١١/٣.

(٨) الكامل: ٥٤/٣ ومعجم البلدان: ٨٠/٧.

الذي كان يدفع هؤلاء الولاة إلى إعادة الكرة تلو الكرة لتعود المياه إلى مجاريها، ولكن سرعان ما يتمنعون ويمتنعون. وإلى هذا يشير قدامة بن جعفر حيث يقول عنهم أنهم «بعد فتحهم قد نقضوا وكفروا غير مرة»^(١).

وفي أيام الحجاج بن يوسف الثقفي أو قبيل أيامه نقضوا عهدهم مرة أخرى، وأبوا أن يسلموا وأن يدفعوا الجزية، فلم يجد الحجاج بدأ من أن يطلب وفداً منهم للتفاهم، فقدم الوفد فدعاهم إلى أن يسلموا أو يقرروا بالجزية فأبوا، فأمر أن تصور له الديلم سهلها وجبلها وعقابها وغياضها فصورت له، فدعا من قبله من الديلم فقال: إن بلادكم قد صورت لي فرأيت فيها مطعماً فأقروا لي بما دعوتكم إليه قبل أن أغزيكم الجنود فأخرب البلاد وأقتل المقاتلة وأسبي الذرية، فقالوا: أرنا هذه الصورة التي أطمعتك فينا وفي بلادنا، فدعا بالصورة فنظروا فيها فقالوا: صدقوك عن بلادنا. هذه صورتها غير أنهم لم يصوروا فرسانها الذين يمنعون هذه العقاب والجبال، وستعلم ذلك لو تكلفته. فأغزاهم بالجنود وعليهم محمد بن الحجاج فلم يصنعوا شيئاً^(٢).

وجوابهم هذا للحجاج دليل كبير على الجرأة والاعتماد على النفس في ذلك العصر الذي كانت فيه الفتوحات الإسلامية على مرأى ومسمع منهم، وكان الجيش الإسلامي ينساب دفاقاً في الآفاق فيكتسح كل ما يقف أمامه من عقبات وحدود وسدود.

ومن جملة الشواهد على تكرر تمردهم وازدهائهم بقوتهم أن الجيش الإسلامي قد شعر في غزواته الأولى للديلم أن هؤلاء أمة لا تلين قناتهم بسهولة ولا يقرون بالنظم الجديدة بيسر، فقرر القادة في ذلك الحين ضرورة إنشاء معسكر دائم آمن إلى جنب بلادهم ليسهل غزوهم

(١) الخراج: ٢٦٦.

(٢) البلدان للهمداني: ٢٨٣.

كلما امتنعوا وإخضاعهم كلما ثاروا، وفي هذا الشأن يقول المسعودي: «ثم جاء الإسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغراً هي وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل، وقصدها المتطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها»^(١)، ويؤيده ياقوت فيقول: «إن سعيد بن العاص لما غزا الديلم قدم قزوين فمصرها وجعلها مغزى أهل الكوفة إلى الديلم»^(٢).

وهكذا نرى هؤلاء القوم في عصيان مستمر وخلف بالعهود وخروج على النظام وعدم التزام بالمحالفات، على الرغم من تلك الغزوات التي أقامتهم وأقعدتهم عدة مرات، وعلى الرغم من المعسكر الدائم الذي أسس قريباً منهم.

واستمر هؤلاء على هذا الأسلوب من التمرد حتى دخلت سنة إحدى ومائتين، فاستطاع عبد الله بن خرداذبة والي طبرستان أن يفتح اللارز والشيزر من بلاد الديلم، وافتتح جبال طبرستان فأنزل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون وأسر أباليلى ملك الديلم^(٣).

والظاهر أن هذه الغزوة كانت هي الأخيرة في بابها لأن جيش

(١) مروج الذهب: ٢٩٦/٤.

(٢) معجم البلدان: ٨٠/٧.

(٣) الطبري: ١٤١/٧ والكامل: ١٨٤/٥.

وبالنظر إلى ما لهؤلاء الديلم من شهرة بالصبر والثبات فقد اعتبر هذا الفتح من أسمى الفتوح الإسلامية التي شهدتها المسلمون حتى أصبح مضرب الأمثال، يقول سلم الخاسر:

إننا لنأمل فتح الروم والصين

بمن أذل لنا من ملك شروين

الطبري: ١٤١/٧.

المسلمين استطاع - هذه المرة - إخضاع الديلم للحكم الإسلامي، فلم يسمع عنهم - بعد هذا اليوم - إعلان الحرب على الخليفة كما كان ديدنهم أولاً. ولكن كل ذلك لا علاقة له بالدين، لأن الدين خضوع روحي لا ارتباط له بالسيف والفتح ولا ينفع معه العُدَد والعُدَد، ولم يشر التاريخ إلى إسلامهم في هذه المعركة أو بعدها، بل كل ما في الأمر أنهم دفعوا الجزية وتعهدوا بمثلها في كل عام، ثم عاد الجيش إلى قواعده سالماً.



فمتى استجاب هؤلاء للدعوة الإسلامية؟

يقول بعض المؤرخين: إن ذلك كان في أيام الحسن الأطروش الذي ظهر ببلاد الديلم وطبرستان سنة إحدى وثلاثمائة، «وقد كان أقام في الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية، وكذلك الجيل، فدعاهم إلى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا...» وبنى في الديلم مساجد^(١)، «وكان بمدينة سالوس حصن منيع قديم، فهدمه الأطروش حين أسلم الديلم والجيل»^(٢).

وانسياقاً مع هذه الروايات يكون دخول الديلم في الدين الإسلامي في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع وأنهم لم يكونوا قد عرفوا الدين بهذا الدين قبل ذلك الحين.

ولكننا حينما ندرس نهضات العلويين في بلاد الديلم وما يجاورها من القرى والأمصار، كنهضة يحيى بن عبدالله الملقب بصاحب الديلم

(١) مروج الذهب: ٢٣٦/٤.

(٢) الكامل: ١٤٦/٦.

(١٧٦هـ)، ومحمد بن القاسم العلوي (٢١٩هـ)، والحسن بن زيد (٢٥٠هـ)، ومحمد بن زيد (٢٧٠هـ)، وأضرابهم من العلويين. إننا حين ندرس نهضات هؤلاء السادة ونطلع على مدى نفوذهم الكبير في الديلم ومدى انقياد الديلم لهم - كما يأتي تفصيله - لا نستطيع القول بدخول الإسلام إلى الديلم في أواخر القرن الثالث. وإني لأعتقد اعتقاداً جازماً أن هؤلاء العلويين الذين سبقوا الأطروش بعشرات السنين كانوا قد سعوا في هذه السبيل سعياً كبيراً، وأن سعيهم قد أثار الأثر المحمود المبارك، ولكنه ربما يكون تأثيراً غير شامل فسعى الأطروش في شموله وتعميمه، كما سعى في هدم سائر آثار المجوسية والزرادشتية.

ولعلنا نستفيد الإشارة إلى ذلك مما رواه المسعودي عن الحسن بن زيد العلوي وأخيه محمد من كونهما يدعوان إلى الرضا من آل محمد^(١). وبديهي أن الدعوة إلى الرضا من آل محمد لا تصح ولا تليق ما لم تسبقها دعوة إلى الإسلام والإقرار بالشهادتين، وهل الإمامة إلا فرع اعتناق الإسلام والايمان به؟.

وسواء أدخل الإسلام إلى الديلم في أواخر القرن الثاني أو الثالث فإن دخوله إلى هناك كان على يد الدعوة العلويين، وكان سلطان هؤلاء وتأثيرهم في تلك المناطق قوياً جداً وإلى حد بعيد، على خلاف ما كان عليه القادة الفاتحون الكثر الذين غزوا تلك البلاد ثم رجعوا من دون أن يستطيعوا التغلغل في تلك الأطراف.

ولعل لما كان عليه هؤلاء العلويون من تواضع محبب وخلق فاضل ودعوة تعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة أثراً مهماً في تقبل الديلم

للدين وحسن استقبالهم لدعائه . وهذا هو الواقع في كل زمان ومكان، فالدين لا يملى بالقوة ولا يفرض بالإكراه .



وبانتهانا إلى هذه النقطة في تسلسل الحديث يفرض علينا البحث أن نعرض لشيء من تاريخ هؤلاء العلويين وأسباب هجرتهم إلى هناك ومجمل نهضاتهم في تلك البلاد .

هناك عدة أسئلة ترتسم في الذهن حينما نسمع باسم الحكم العلوي في الديلم . فلماذا هاجر هؤلاء السادة إلى الديلم؟ ولم كانت هذه البلاد دون غيرها هي المختارة لديهم؟ ومتى كانت هجرتهم إليها؟ .

ولعل أوضح الأسئلة وأيسرها جواباً هو الأول - ويتعلق بسبب هذه الهجرة - ولا أظن أن باحثاً درس التاريخ ومحصر حقائقه واطلع على تفاصيله يحتاج إلى جواب عن هذا السؤال، وهذا هو التاريخ ينادي معلناً بملاء فيه ما ابتلي به أولاد علي (ع) من محاربة ومطاردة وشدة ومحنة في العهد الأموي أولاً والعباسي ثانياً .

ولقد كان الضغط الأموي على هذه الفئة المضطهدة شديداً جداً وإلى أبعد الحدود، خصوصاً بعد فاجعة الطف الأليمة التي أتت على الحسين (ع) وأصحابه وأكثر أهل بيته . ثم قام بعد ذلك الحكم العباسي، فكان ضغط بني الأعمام أشد من ذلك وأقسى، حتى قال أبو فراس الحمداني :

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت تلك الجرائم إلا دون نيلكم
وقال آخر :

تالله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

فلا غرابة - إذن - أن نرى بني علي مشردين في البلدان، موزعين على الأمصار، خشية من السيف المصلت على رؤوسهم. وهذا هو السبب الحقيقي في هجرتهم إلى الديلم وغير الديلم من بلاد الله الواسعة، وما عليهم في ذلك لوم أو تريب.

وعلى هذا فلا غرابة أيضاً إذا ما رأينا وجهتهم تتجه نحو بلاد فارس والديلم بالخصوص - وهو ما فرضناه ثاني الأسئلة - فلهم في ذلك عدة أسباب موجبة نلخص أهمها فيما يلي:

١ - إن أكثر القبائل العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة كانت مواترة من علي(ع)، حيث سبق أن قتل عدد من أبطالها وأبنائها بسيفه في حروب النبي (ص) في بدء الدعوة الإسلامية، فلا يأمن هؤلاء العلويون على أنفسهم منهم إذا ما التجأوا إليهم وحلوا بين ظهرانيهم. وكذلك الأمر في القادة الذين أرسلوا أيام الفتوح إلى الأمصار لإخضاعها لحكم الإسلام، ثم تهيأ لهم السكني فيها والإقامة بها، لأنهم لم يكونوا على تفاهم وصحبة مع علي (ع) أولاً ومع الحسن والحسين (ع) بعد ذلك - لأسباب لا مجال لذكرها -. ثم كان بعدهم عمال بني أمية وولاتهم، وهم صدى لما في نفس الخليفة - أي خليفة منهم - من حقد وضغينة على هؤلاء، فلم ير العلويون في سائر المناطق الإسلامية خيراً من منطقة فارس والديلم دعة وحرية واطمئناناً، لأنهم لم يكونوا مواترين من علي(ع) ولعدم تغلغل النفوذ الأموي بينهم. وهكذا كان، فلم يتعرض الفرس والديلم بسوء لهؤلاء اللاجئين.

٢ - إن بلاد الديلم بالخصوص لم تكن مسلمة في ذلك الحين - كما مر آنفاً - فلم يكن للجاسوسية الأموية أي أثر فيها، ولم يكن لعنوان الخلافة وأبهتها أي هيمنة على تلك البلاد، فلم يكن باستطاعة الأمويين

مطاردة العلويين هناك، بل لم يكن باستطاعتهم دخول تلك البلاد لأي غرض من الأغراض.

٣ - إن الوضع الجغرافي في تلك البلاد من كثرة الجبال والتلال والوديان والكهوف كانت من أسباب الأمان لهؤلاء السادة المهاجرين، فلو فرض للجيوش الأموية احتلال البلاد والسيطرة عليها، لم يكن من السهل العثور على أعدائهم، لسهولة سبل الفرار إلى تلك الجبال والوهاد، والاعتصام بكهوفها ومغاورها التي لا تمر على بال.

٤ - إن دخول العلويين لتلك البلاد لم يكن بعنوان الدعوة إلى الإسلام بل باسم الالتجاء والفرار من السلطة الحاكمة، وكانت هذه السلطة - طبعاً - مكروهة أشد الكره لدى سكان تلك المناطق، لأنها هدت كيانهم وهدمت مجدهم وثلت عرشهم، فكان العلويون يستغلون هذا الشعور المهيمن على السكان، ويشيرون بكل الوسائل كوامن حقدهم وغيظهم ويجعلون منهم جنداً مجنداً للدفاع عنهم إذا جد الجد. كما يحلم العلويون أيضاً بما يمكنهم القيام به بعد استقرارهم وتمركزهم هناك من دعوة إلى الإسلام ونشر لأحكامه على هدى مذهب أهل البيت (ع)، ولعلمهم يحلمون أيضاً بإمكان تأسيس دولة علوية قوية بسواعد الديلم - بعد إسلامهم وتشيعهم في مستقبل أمرهم -.

كل هذه الأسباب وأمثالها كان دافعاً للعلويين على اختيار إقليم الديلم مقصداً في هجرتهم وملجأ لهم من مطاردة الحاكمين، وأظنها أسباباً على جانب كبير من الوجاهة وبعد النظر وسلامة التفكير.

أما تاريخ هذه الهجرة ومعرفة بدتها فلم نعثر له على ضبط وتحديد في كتب التاريخ، فلا نعلم متى كان وفي أي سنة بدأ، وهل كان في العهد الأموي أو العباسي؟ وليس لدينا في مصادر المراجعة أي نور

يضيء لنا السبيل سوى نص لمولانا أولياء الله الأملي في كتابه - تاريخ رويان - جاء فيه :

«لما بويغ الرضا (ع) بولاية العهد كان له أحد وعشرون أخاً مع عدة من أولاد أخوته وبني عمه الحسينيين والحسينيين توجهت أنظارهم إلى ذلك ووصلوا إلى الري ونواحي العراق وقومس، فلما غدر المأمون بالرضا وقتله بالسم خابت آمالهم، ولما بلغهم ذلك التجأوا إلى جبال الديلم وطبرستان، وإلى الري ونهاوند، فبعضهم استشهد هناك وبقي مزاره إلى الآن، وبعضهم توطن هناك، إلى أن آل الأمر إلى المتوكل الذي كان ظلمه للسادات متجاوزاً الحد فهربوا منه واتخذوا مساكن في الجبال وفي طبرستان»^(١).

وخلاصة هذا النص أن العلويين كانوا قد دخلوا إيران في أيام مبايعة الرضا(ع) بولاية العهد (٥٢٠١هـ)، وأنه لم يكن لهم عهد بإيران قبل ذلك، ولكن التحقيق التاريخي ينفي هذا الرأي كل النفي، لما نقرأه في التاريخ من ثورات وحركات للعلويين في تلك المناطق قبل هذا الحين :

يقول الطبري في حوادث سنة خمس وسبعين ومائة :

«وفيها صار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الديلم فتحرك هناك»^(٢). ثم يقول في حوادث سنة ست وسبعين ومائة :

«وفيها ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بالديلم» و«كان أول خبر يحيى... أنه ظهر بالديلم واشتدت

(١) أعيان الشيعة: ٣٤٥/٢١، والأصل فارسي، والترجمة إلى العربية بقلم مؤلف الأعيان.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٤٩/٦.

شوكته وقوي أمره ونزع إليه الناس من الأمصار والكور فاغتم لذلك الرشيد... فندب إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل، ومعه صناديد القواد، وولاه كور الجبال والري وجرجان وطبرستان وقومس ودنباوند والرويان، وحملت معه الأموال «فكاتب يحيى ورفق به واستماله وناشده وحذره وأشار عليه وبسط أمره... وواتر كتبه على يحيى وكاتب صاحب الديلم وجعل له ألف درهم على أن يسهل له خروج يحيى... فأجاب يحيى إلى الصلح والخروج على يديه على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه على نسخة يبعث بها إليه، فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد فسرّه... وكتب أماناً ليحيى... إلخ»^(١).

ومن رواية الطبري هذه نعرف أن يحيى العلوي قد ورد الديلم عام (١٧٥هـ) وأن ثورته الدامية كانت أول ثورة للعلويين هناك. وهذا كله سابق على مبايعة الرضا بولاية العهد بربع قرن تقريباً، فلا تصح - إذن - حكاية مولانا أولياء الله السالف الذكر.

وقد استطاع الرشيد بجلب يحيى إلى بغداد، ثم حبسه بعد ذلك، وقتله - على بعض الروايات -، أن يهدىء الحالة بالديلم وطبرستان، ولعله وضع في حدود هذين البلدين من العدة والعدد ما يكفيه مؤونة الثورات هناك وقمعها على وجه السرعة.

أما بقية المناطق في إيران فلم تكن هادئة مستقرة ولم يكن العلويون فيها خانعين ساكتين، وفي سنة تسع عشرة ومائتين ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بالطالقان من خراسان واجتمع الناس عليه، ووقعت له عدة معارك وحروب مع قواد عبد الله بن طاهر أدت إلى

(١) تاريخ الطبري: ٤٥٠/٦ والكامل: ٩٠/٥ وعمدة الطالب: ١٣٩.

هرب محمد واختفائه، ثم العثور عليه من قبل عامل مدينة «نسا» بالقرب من خراسان وإرساله إلى عبدالله بن طاهر ومن ثم إلى المعتصم^(١).



وبقي وضع الديلم - كما قلنا - هادئاً وادعاً، ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، حتى حل العام الخمسون بعد المائتين، حيث قامت فيه الثورة هناك على قدم وساق وأعلن فيه الحكم العلوي تحت لواء الحسن بن زيد العلوي وقيادته.

ويحدثنا المؤرخون - وفي طليعتهم الطبري - عن عوامل هذه الثورة وأسبابها فيسهبون في ذلك طويلاً، وفيما يلي نلخص أهم تلك الأسباب:

١ - كان عامل طبرستان - يومئذ - سليمان بن عبدالله بن طاهر، وكان مغلوباً على أمره إلى حد بعيد من قبل محمد بن أوس البلخي. وبلغ من شدة نفوذ محمد هذا أنه وزع أولاده في مدن طبرستان وجعلهم ولاتها - وهم أحداث سفهاء - فتأثر الشعب منهم تأثراً كبيراً، واستنكر منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبدالله سفه هؤلاء الشبان الأغرار وسوء سلوكهم وتصرفاتهم، وكان هذا الأمر أول إيذان بالثورة.

٢ - كان أهل الديلم وأهل طبرستان في سلم ومهادنة دائمة، فلم يكن يعتدي كل منهما على الآخر. بل لم يكن يسمح كل من الطرفين أن تستغل بلاده - من قبل حكامها - لحرب البلاد الأخرى. وعلى الرغم من ذلك تحرك محمد بن أوس البلخي - السالف الذكر - فدخل إلى ما يقرب من بلاد الديلم من حدود طبرستان، ولم يقابله الديلم بل لم

(١) الكامل: ٢٣١/٥ - ٢٣٢.

يستعدوا لمقابلته، لعدم علمهم بسوء قصده، فاستغل ابن أوس هذه الفرصة وأغار عليهم فسبى منهم وقتل، ثم انكفأ راجعاً إلى مقره بطبرستان حيث يحكم صاحبه سليمان، فكان ذلك مما زاد أهل طبرستان حنقاً وغيظاً عليه.

٣- إن محمد بن عبد الله بن طاهر لما قام بأمر قمع الثورة التي أعلنها يحيى بن عمر العلوي في الكوفة (٢٤٩هـ)، أقطعه الخليفة المستعين من أراضي السلطان الخاصة بطبرستان قطائع كبيرة واسعة جزاءً له على صنيعه، وكان من تلك القطائع قطيعة بالقرب من ثغري طبرستان (كلار - وسالوس) وكان إلى جانب هذين الثغرين أرض واسعة ينتفع بها سكان تلك المنطقة في احتطابهم ورعي مواشيتهم وسرح سارحتهم، ولم تكن ملكاً لأحد، بل هي صحراء من موات الأرض ذات غياض وكلاء وأشجار.

واختار محمد بن عبد الله بن طاهر جابر بن هارون النصراني نائباً عنه في حيازة تلك القطائع والإشراف عليها، فلما انتهى إلى طبرستان ابتداءً بحيازة ما أقطعه السلطان لصاحبه فحازه وحاز ما اتصل به، ثم حاول أن يضيف إلى كل ذلك تلك الأرض الموات التي كانت مرتداً لأهل البلاد في الاحتطاب والرعي، فقام في وجهه رجلان من أشرف تلك المنطقة معروفان بالبأس والشجاعة هما محمد وجعفر ابنا رستم، وأنكرا على جابر سوء صنيعه، ومانعاه في ذلك مستنهضين معهما سائر من أطاعهما في تلك الناحية لصد هذا الاعتداء الأثيم، فهرب جابر خوفاً على نفسه ملتجئاً إلى سليمان حاكم الإقليم. وكانت هذه الحركة الحمقاء من جابر سبباً لنفاد الصبر وبدأ للمعركة الفاصلة^(١).

(١) راجع في تفاصيل أسباب الثورة: الطبري: ٤٢٩/٧ - ٤٣٢ والكامل: ٣١٦/٥ -

٣١٧ والبداية والنهاية ٦/١١.

هذه هي أهم أسباب الثورة في الديلم والطبرستان سردتها باختصار لئلا نخرج عن صلب البحث، ومن مجموعها نرى أنها لم تكن لغرض الملك والسيطرة، بل كانت على العكس من ذلك لمحاربة الظلم والاستعباد ولطرد الحكام المستبدين.

وما أن علم الأخوان ابنا رستم بالتجاء خصمهم إلى سليمان - وكان سليمان أخا محمد بن عبد الله بن طاهر صاحباً القطائع ومرسل الرسول الجائر - حتى أدركوا مقدار الخطر الذي أصبح محدقاً بهم وبأنصارهم، فلم يروا بداً من مكاتبة الديلم واستنجادهم وتذكيرهم بالمعاهدة المعقودة بين الطرفين وبأفعال محمد بن أوس الفظيعة فيهم من قتل وغدر وسبي، وطلبوا منهم النصرة والنجدة.

واستطاع هذان الأخوان بعد أخذ وردٍ أن يكوّنوا - هم والديلم - جبهة واحدة ضد عدوهم المشترك، وأسسوا معاهدة دفاع مشترك بينهما، وتم التعاقد على ذلك.

«ثم أرسل ابنا رستم . . . إلى رجل من الطالبين المقيمين كانوا يومئذ بطبرستان يقال له محمد بن إبراهيم يدعونه إلى البيعة له فأبى وامتنع عليهم، وقال لهم: لكني أدلكم على رجل منا هو أقوم بما دعوتموه إليه مني، فقالوا: من هو؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد، ودلهم على منزله ومسكنه بالري، فوجه القوم إلى الري عن رسالة محمد بن إبراهيم العلوي إليه من يدعوهم إلى الشخص معه إلى طبرستان ف شخص معه إليها»^(١).

والذي يفهم من طلب ابني رستم لمحمد العلوي أولاً وللحسن بن

زيد ثانياً؛ أنهما كانا يخشيان من حدوث بعض المشاكل وبعض التصدع في جبهتهم حينما يريدون تعيين زعيم أو قائد لهم. ولهذا أرادوا تعيين شخص لا علاقة له بالبلدين ولا صلة له بالطرفين المتعاقدين، فلم يريا خيراً من العلويين للزعامة والقيادة شجاعة وكفاءه ونسباً وشرفاً ودينياً.

ولعلهما لاحظاً أيضاً أن آل طاهر - خصومهم - كانوا من الشيعة وأن تسليم الأمر لزعيم علوي محترم عند آل طاهر سيخفف من غلوائهم ويجنبهم ردود الفعل الانتقامية.

ومهما يكن من أمر فقد كان الاختيار موفقاً جداً، وجاء الحسن بن زيد إليهم وحل بين ظهرائهم فبايعه الناس بما فيهم ابنا رستم ورؤساء الديلم، وبدأ بالتمهيد للثورة فطرد عمال ابن أوس وأولاده الذين كانوا في الديلم وطبرستان، ثم زحف بجيوشه نحو مدينة آمل فاحتلها، ثم تعداها إلى سارية فاحتلها كذلك، وهزم سليمان ومن معه. وبهذا تم له حكم طبرستان كلها وبعض المدن القريبة منها كالري وما حولها^(١).

وحيث إن الحرب كر وفر فسرعان ما أعاد سليمان تنظيم جيوشه وعززها بالسلاح والمال؛ وكر على الحسن بن زيد في عام (٢٥١هـ)، فاضطر الحسن إلى التراجع المستمر حتى انتهى في تراجعه إلى الديلم، وعادت طبرستان لحكم أميرها السابق سليمان^(٢).

واستطاع الحسن بعد ذلك أن يسترجع طبرستان ويشرف على حكمها حتى عام (٢٥٥هـ) حينما غزته جيوش موسى بن بغا تحت قيادة مفلح، فانهزم الحسن إلى الديلم مرة أخرى، وأحرق مفلح منازل الحسن

(١) الطبري: ٤٣١/٧ - ٤٣٢ - والكامل: ٣١٦/٥ - ٣١٧ - والبداية والنهاية: ٦/١١.

(٢) الطبري: ٤٥٩/٧ - والكامل: ٣٢٩/٥.

بطبرستان، وأراد أن يقتحم بلاد الديلم في طلب الحسن لولا ورود أمر الخليفة في أثناء ذلك بالرجوع إلى بغداد لضرورة نشأت هناك، فانسحب من طبرستان وأخلاها فعاد الحسن بن زيد إليها بلا حرب ولا قتال^(١).

وتغلب الحسن بن زيد على الري عام (٢٥٦هـ)، وملك جرجان عام (٢٥٧هـ)، واحتل قومن عام (٢٥٩هـ)، ولكنه عاد فانهمزم إلى الديلم سنة (٢٦٠هـ) على أثر حروب طاحنة له مع يعقوب بن الليث، ولكن الحسن سرعان ما عاد إلى طبرستان فاسترجعها عام (٢٦١هـ)، وأحرق شالوس لممالة أهلها ليعقوب، وأقطع جميع ضياعهم للديالمة، وفي عام (٢٦٦هـ) تراجع الحسن من جرجان بعد أن هجم عليها الخجستاني على حين غرة.

وفي عام (٢٧٠) توفى الحسن بن زيد العلوي، «وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وولى مكانه أخوه محمد بن زيد^(٢)».

وقام محمد بن زيد بالأمر بعد أخيه، ورقعته تشمل كل الديلم وطبرستان ومدن أخرى خارج هاتين المنطقتين كالري وجرجان وما إليهما.

وفي عام (٢٧٢) وقعت حروب طاحنة بين محمد وإذكوتكين أدت إلى انسحاب محمد من الري، وفي عام (٢٧٥) انسحب محمد من جرجان وإستراباذ وسارية ثم انسحب من كل طبرستان منهزماً إلى الديلم

(١) الطبري: ٥٢٠/٧ والكامل: ٣٤٥/٥ والبداية والنهاية: ١٥/١١.

(٢) الكامل: ٥٥/٦. وتراجع أخبار الحسن بن زيد العلوي وترجمته في كل من الكامل ٥٥/٦ ومروج الذهب: ٩٨/٤ وتاريخ أبي الفداء: ٤٣/٢ والبداية والنهاية: ٤٧/١١ وعمدة الطالب: ٧٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٥٠ وأعيان الشيعة: ٣٢٥/٢١ - ٣٧٣.

فراراً من جيوش رافع بن هرثمة، ولكنه عاد إلى طبرستان بعد أن صالح رافعاً عام (٢٧٩هـ)^(١).

وفي سنة سبع وثمانين ومائتين جرت حروب مناوشات بين محمد بن زيد وإسماعيل الساماني أدت إلى أن يصاب محمد بعدة ضربات مميتة قضت عليه بعد أيام فدفن على باب جرجان، وأسر ابنه زيد في هذه الواقعة وحمل إلى إسماعيل^(٢).

وبقتل محمد بن زيد بدأت فترة هدوء في طبرستان لم يظهر خلالها علوي ثائر، حتى حل عام (٣٠١) فظهر فيه الحسن بن علي الأطروش العلوي هناك، وتغلب على المنطقة وطرده ممثل الأمير الساماني^(٣).

«وكان الحسن بن علي الأطروش قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد وأقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر ويدافع عنهم ابن حسان ملكهم فأسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا عليه، وبنى في بلادهم مساجد»^(٤).

وفي سنة (٣٠٢) «تنحى الحسن بن علي الأطروش العلوي عن آمل بعد غلبته عليها - كما ذكرناه - وسار إلى سالوس، ووجه إليه صعلك جيشاً من الري فلقبهم الحسن وهزمهم وعاد إلى آمل، وكان الحسن بن علي حسن السيرة عادلاً، ولم ير الناس مثله في عدله وحسن سيرته وإقامته الحق»^(٥).

-
- (١) راجع في كل ذلك: الكامل ٥٩/٦ و ٦٥ و ٧٤ والبداية والنهاية: ٥٤/١١.
 (٢) الطبري: ٢٠٤/٨ والكامل ٩٦-٩٧ / ٦ والبداية والنهاية: ٨٣/١١ وتاريخ أبي الفداء ٥٨/٢ ومروج الذهب: ١٩٨/٤ - ١٩٩ وعمدة الطالب: ٧٩. وفي سائر هذه الكتب ترجمة حال محمد بن زيد عند تعرضهم لوفاته.
 (٣) الكامل: ١٤٤/٦.
 (٤) مروج الذهب: ٢٣٦/٤ والكامل: ١٤٦/٦.
 (٥) الطبري: ٢٥٧/٨ والكامل: ١٤٨/٦.

وتوفي الحسن بن علي الناصر في شعبان (٣٠٤) وعمره تسع وسبعون سنة. وبقي الحكم العلوي مستمراً في طبرستان حتى سنة ست عشرة وثلاثمائة حيث قتل فيها الحسن بن القاسم الداعي العلوي على يد أسفار بن شيرويه الديلمي، فانقرض بقتل ابن القاسم عهد الحكم العلوي هناك^(١).

وفي أواخر أيام الحكم العلوي بطبرستان والديلم لمع اسم قائد من قوادهم فكان له في مستقبل الأيام شأن كبير جداً في تلك المنطقة ذلك هو ماكان بن كالي الديلمي.

وقد استطاع (ماكان) هذا أن يؤثر تأثيراً كبيراً على أبي الحسين بن الحسن الأطروش ويقع من قلبه موقع الثقة والاعتماد فيعينه نائباً عنه في إسترآباد «فاجتمع إليه الديلم وقدموه وأمروه على أنفسهم»^(٢).

وصادف أن سار إليه محمد بن عبيد الله البلغمي وسيمجور فوقف جيشهما عند باب إسترآباد؛ ولم يستطع احتلال البلدة واقتحامها فانفقوا معه على أن ينسحب ظاهرياً عن إسترآباد إلى سارية وبذلوا له مالا جزيلاً جزاءً على ذلك، ثم يدخل جيشهم إلى إسترآباد فيفهم الناس أنهم افتتحوها، وأعطوه الموائيق على أنهم لن يستقيموا بها إلا قليلاً ثم ينسحبون منها فيعود إليها.

وفعل (ماكان) كما أراد هؤلاء، فانسحب عن إسترآباد إلى سارية وانتظر ريثما يخرجون من البلدة، فخرجوا منها بعد أيام وعاد إليها ماكان^(٣) وأضاف إليها جرجان حيث استطاع احتلالها لما كان عليه عاملها من سوء سيرته في أهلها^(٤)، وبهاتين المدينتين بدأ ملكه.

(١) الكامل: ١٩٥/٦ وتاريخ أبي الفداء: ٦٨/٢. وتجد ترجمته في كل من الكامل:

١٩٥/٦ ومروج الذهب: ٢٩٤/٤ وأعيان الشيعة ٢٨٨/٢٢ - ٣١٤.

(٢) (٣) (٤) الكامل: ١٧٠/٦.

وفي عام (٣١٤) استولى الأمير السعيد نصر بن أحمد الساماني على الري فاستعمل عليها محمد بن علي صعلوك فأقام بها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة فمرض، فكاتب الأمير السعيد ماكان بن كالي والحسن الداعي العلوي في القدوم عليه ليسلم حكم الري إليهما فقدموا إليه وتسلموا حكم الري منه^(١). وبهذا تكون الري ثالث بلدة يحكمها هذا القائد الديلمي.

وبعد أن تم لما كان الاستقرار والسيطرة تلفت لجيشه لغرض تطهيره من عناصره الفاسدة فطرد أسفار بن شيرويه - أحد قواده - منه؛ لما كان معروفاً عنه سوء الخلق والسييرة، فأسرع أسفار واتصل بيكر بن محمد بن السبع - وهو بنيسابور - وخدمه خدمة كبرى فسيره بكر إلى جرجان ليحتلها «وكان ماكان بن كالي ذلك الوقت بطبرستان وأخوه أبو الحسن بن كالي بجرجان وقد اعتقل أبا علي بن أبي الحسين الاطروش العلوي عنده، فشرّب أبو الحسن بن كالي ليلة ومعه أصحابه ففرقهم وبقي في بيت هو والعلوي فقام إلى العلوي ليقتله فظفر به العلوي وقتله وخرج من الدار واختفى، فلما أصبح أرسل إلى جماعة من القواد يعرفهم الحال ففرحوا. وأخرجوا العلوي وألبسوه القلنسوة وباعوه.. وجعل مقدم جيشه علي بن خرشيد ورضي به الجيش وكاتبوا أسفار بن شيرويه وعرفوه الحال واستقدموه إليهم فاستأذن بكر بن محمد وسار إلى جرجان واتفق مع علي بن خرشيد وضبطوا تلك الناحية فسار إليهم ماكان بن كالي من طبرستان في جيشه فحاربوه وهزموه وأخرجوه عن طبرستان وأقاموا بها ومعهم العلوي»^(٢).

(١) الكامل: ١٨٥/٦.

(٢) الكامل: ١٨٩/٦.

وبعد ذلك بقليل توفي العلوي. ثم توفي بعده ابن خرشيد صاحب الجيش فاستغل ماكان الفرصة، وعاد إلى حرب أسفار، فانهزم أسفار منه ورجع إلى صاحبه الأول بكر بن محمد بن اليسع - وكان بجرجان -، وبقي مقيماً فيها إلى أن توفي بكر، فولاه الأمير السعيد نصر ولاية هذه البلدة عام (٣١٥) فأرسل أسفار إلى مرداويج بن زيار يستدعيه فحضر لديه فجعله أمير الجيش وقصدوا طبرستان فاستولوا عليها وطردها ماكان^(١).

وما أن استولى أسفار ومرداويج على طبرستان حتى ثار الحسن بن القاسم العلوي بالري فاستولى عليها وطردها منها أصحاب الأمير الساماني، ثم استولى - بمعونة ماكان بن كالي - على قزوین وزنجان وأبهر وقم، وسار إلى طبرستان فالتقى بجيوش أسفار عند ساربه فاقتتل الطرفان قتالاً شديداً أدى إلى هزيمة الحسن وقتله وفرار ماكان وسائر أصحابه.

ثم تقدم الأمر بأسفار فاستولى على الري وقزوین وزنجان وأبهر وقم والكرج؛ بالإضافة إلى جرجان وطبرستان اللتين كانتا تحت حكمه، واستولى بمكيدة له على قلعة (ألموت) وكانت على جبل شاهق من - جبال الديلم - ودعا في سائر هذه البلدان لصاحب خراسان، ثم دعاه الغرور بما تم له من سلطان كبير إلى العصيان على الأمير السعيد صاحب خراسان، وكادت أن تقع الحرب بينهما لولا أن تنازل أسفار عن رأيه ودخل في طاعة الأمير مرة أخرى بشروط فرضت عليه.

وسار أسفار في دولته سيرة فاسدة كلها ظلم وجور وسلب ونهب فثار عليه أمير جيشه مرداويج بمعونة بعض القادة الواعين الذين ساءتهم

سيرة صاحبهم، فقتلوا أسفار - في تفصيل لا يسعه البحث - واستنجدوا بماكان بن كالي - وكان مقيماً بطبرستان - فلباهم واتصل بهم.

وتوسع ملك مرداويج بعد قتل أسفار توسعاً عظيماً فملك قزوين والري وهمذان وكنكور والدينور ويزدجرد وقم وقاشان وأصبهان وجرياذقان، وحلا له بعد أن تم له الاستيلاء على كل هذه البلدان أن يملك طبرستان وجرجان وكانت تحت حكم صاحبه ماكان، فنقض مرداويج العهد واقتحم طبرستان فانهزم ما كان إلى الديلم ثم فر منها إلى نيسابور ودخل في طاعة الأمير السعيد وانتقل بعد ذلك إلى خراسان بجوار أميره نصر^(١).

وكان في جملة قواد ماكان - أيام حكمه ونفوذه - أخوة ثلاثة هم علي والحسن وأحمد أولاد أبي شجاع بويه الديلمي، ولما رأوا ضعفه وتردي وضعه صارحه علي والحسن ابنا بويه فكان مما قالوا له: «نحن في جماعة، وقد صرنا ثقلاً عليك وعيالاً وأنت مضيق، والأصلح لك أن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا فإذا صلح أمرنا عدنا إليك، فأذن لهما، فسارا إلى مرداويج واقتدى بهما جماعة من قواد ماكان وتبعوهما، فلما صاروا إليه قبلهم أحسن قبول وخلع على ابني بويه وأكرمهما، وقلد كل واحد من قواد ماكان الواصلين إليه ناحية من نواحي الجبل»^(٢).

(١) راجع في تفاصيل كل ذلك الكامل: ١٩٥/٦ - ١٩٨.

(٢) الكامل: ٢٣١/٦.

نُصُوصُ الرِّدَّةِ

فِي تَأْيِيحِ الطَّبَرِيِّ

نقْدٌ وَتَحْلِيلٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
الطيبين الطاهرين



قبل سنتين، وخلال إحدى محاضراتي العامة - وكانت تعنى ببعض القضايا التاريخية - لمحت - من دون تفصيل - إلى ضرورة توفر عنصر الشك والتأمل الفاحص حينما نريد قراءة النصوص التي تضمها كتب التاريخ، وذلك لما حفلت به تلك الكتب من أكذاس الكذب والتلفيق والتزوير، مما دعت إليه مصلحة لنظام حكم أو تزلف لحاكم أو تبرير لعمل معين. ثم أشرت استطراداً إلى أن دراسة من هذا القبيل ستقلب على الأعقاب كثيراً مما نظنه اليوم حقائق لا يعتريها شك أو ريب، وستأخذ بنا إلى آفاق جديدة ما كانت تخطر على بال.

وضربت مثلاً لذلك - وما زلت مستطرداً - قصة الردة وادعاء النبوة وما رافق كل ذلك من أحداث مؤلمة راح ضحيتها الآلاف من الناس، بل راح ضحيتها ذلك الشعب المسلم الموحد الذي انقسم منذ ذلك اليوم.

وبعد انتهاء المحاضرة تحدثاني صديق مثقف فاضل فيما إذا كنت قادراً من طريق البحث الموضوعي الجاد على إثبات ذلك وفيما إذا كانت هناك دلائل أو قرائن يمكنني الاستعانة بها في دعم ما سبق مني قوله.

وقبلت التحدي بكل رحابة صدر.

ومرت الأيام وأنا بانتظار الفراغ الكافي لبحث هذا الموضوع حتى ظفرت بما أريد، فسارعت إلى كتابة خلاصة لهذا الدراسة نشرتها في مجلة «البلاغ» العراقية على شكل مقالات متسلسلة حظيت - بحمد الله - بكثير من الاهتمام والعناية من قبل الدارسين المعنيين بهذا الجانب من جوانب ثقافتنا التراثية التي نعيد صياغتها اليوم على ضوء المنهج العلمي المحايد.

ولقد سبق لي أن قلت في التمهيد لهذا البحث:

إني ما فتحت يوماً كتاباً من كتب التاريخ الإسلامي المعنية بحوادث القرن الأول الهجري إلا اعترتني دهشة بالغة الأثر شديدة الوقع تغمرني بالاستغراب والألم وأنا استعرض تلك الأكداس الضخمة من الروايات والقصص والوقائع التي تتحدث عن ارتداد المسلمين إثر وفاة النبي (ص) بالجملة وبالمفرد وخروجهم من حظيرة الدين زرافات ووحدانا، لا ليعودوا إلى جاهليتهم الأولى، وإنما ليقرؤا بنوات مزعومة يحمل رايتها طليحة ومسيلمة وسجاح ومن على شاكلتهم من الخاملين والفاشلين. وكان تلك السنين الثلاث والعشرين التي قضاها النبي (ص) منهمكاً بنشر الدعوة وتربية الفهم العام وبناء المجتمع العقيدي الجديد، وإقامة الحجج والبيانات على سماوية الرسالة وصلاحها لتنظيم الحياة، وبذل أشق الجهود في سبيل استقرار أمر الدين وتثبيت كيانه وترسيخ بنيانه، أقول: كأن تلك السنين وتلك الجهود قد تبخرت وتلاشت وذهبت هباءً، كما يتبخر ضباب الفجر تحت وقع حرارة الشمس، وكما تتلاشى قطع الغيم العالي في ساعات الصحو الجميل، وكما تضيع مياه النهر الصغير عندما تتلفها أمواج البحر المحيط.

إن نظرة فاحصة يلقيها الباحث على سائر كتب التاريخ قديمها وحديثها، ما حرره المؤيدون والمعارضون، ما كتب بطريق الرواية وما اعتمد منهج النقد، ما ألفه المشاهير وما لم يشتهر مؤلفه، ما انتسب إلى خط مذهبي معين وما لم ينتسب، ما اختصره مؤلفه وما طول فيه. إن النظرة في كل هذه الكتب على اختلافها سوف تحمل لناظرها نتيجة متفقاً عليها خلاصتها: أن الارتداد بعد وفاة النبيّ (ص) أمر مسلم الوقوع، ولا مفر من القول به والإذعان له.

ومع كل ذلك فإن المسألة لم تزل تلفت نظري وتثير دهشتي وعجبي، وما زلت شاكاً وقوي الشك في وقوع هذا الذي يؤكد التاريخ وقوعه.

وعندما يهيمن الشك على إنسان مثل هذه الهيمنة يصبح التجرد من كل الرواسب ممكناً، ويكون بمقدوره حينذاك أن يتحلى بالموضوعية الكاملة المطلقة، فيسعى - بإخلاص - نحو الحقيقة المنشودة، باحثاً عنها بين الركام ووراء الحجب وفيما بين السطور، ومهما كانت درجة التضييب شديدة الأثر في منع الرؤية.

وهكذا كان أمري أو سيرتي مع المسألة.. المشكلة.. تمهلاً وتفحصاً وتدقيقاً.

واقصرت في هذه المرحلة من البحث على نصوص الردة وأخبارها كما وردت في تاريخ الطبري بالخصوص، باعتباره المصدر المهم والرئيس في تاريخ الإسلام وبين المؤرخين المسلمين، وباعتبار أن جل المؤلفين المتأخرين عنه قد اغترفوا منه واعتمدوا عليه.

وكانت خلاصة ملاحظاتي وتأملاتي: هذه القصاصات التي أجمع شتاتها وألم أطرافها في هذا الكتاب، أملاً أن أجد في القراء الأفاضل

المحققين من يقوم بمهمة النقد والتقويم، فيريحني من سطوة الشك وقسوته ويأخذ بيدي إلى راحة اليقين والاطمئنان، ومن الله السداد، وما توفيقى إلا بالله، إنه خير موفق ومعين.

العراق / بغداد - الكاظمية

٤ / شعبان / ١٣٩٣ هـ

محمد حسن آل ياسين



تؤكد لنا نصوص الطبري ورواياته بما لا شبهة فيه وبكل قطع ويقين قضية ارتداد الكثرة الكاثرة من أبناء الأمة العربية في الحجاز واليمن ونجد وسائر أطراف الجزيرة عن الإسلام إثر وفاة النبي (ص)، وتجعل من هذا الموضوع - كما أسلفنا - أمراً مسلماً هو الواقع المر الذي ليس هناك من واقع غيره.

يقول الطبري:

«وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة، في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشربأت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبهم (ص) وقتلهم وكثرة عدوهم»^(١).

ويقول في مكان آخر:

«لما فصل أسامة كفرت الأرض وتضمرت، وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً»^(٢).

ويروي أن بعض الناس قد خاطب أبا بكر قائلاً: «والعرب - على ما ترى - قد انتقضت بك»^(٣).

(١) تاريخ الطبري: ٣/٢٢٥، طبعة دار المعارف بمصر، القاهرة ١٣٨٢هـ.

(٢) الطبري: ٣/٢٤٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/٢٢٥.

ثم يقول:

«لما مات رسول الله (ص) وفصل أسامة ارتدت العرب عوام أو خواص، وتوختى مسيلمة وطليحة فاستغلظ أمرهما واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان إلى ما كان من أشجع وخواص من الأفتاء فبايعوه، وقدمت هوازن رجلاً وأخرت رجلاً... وارتدت خواص من بني سليم، وكذلك سائر الناس بكل مكان»^(١).

و«كانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان... في بني تغلب. فتنبت بعد موت رسول الله (ص) بالجزيرة»^(٢).

ويؤكدنا أن نفهرس تلك الروايات وأسماء قبائلها وأماكن سكنائها

وأرقام صفحاتها في الكتاب على النحو الآتي:

٢٤٤/٣	ردة طيب وغطفان وأسد
٢٦١/٣	ردة هوازن وسليم وعامر
٢٦٧/٣	ردة بني تميم
٢٨١/٣	ردة أهل اليمامة
٣٠١/٣	ردة أهل البحرين
٣١٣/٣	ردة أهل عُمان
٣١٦/٣	ردة أهل نجد
٣١٨/٣	خبير المرتدين باليمن
٣٢٠/٣	ردة أهل تهامة
٣٢٣/٣	ردة أهل اليمن ثانية
٣٣٠/٣	ردة أهل حضرموت

(١) المصدر نفسه: ٢٤٢/٣ وقريب منه في ٢٤٤/٣.

(٢) الطبري: ٢٦٩/٣.

وهنا أجد من حقي أن أقف قليلاً لأسأل وأستفهم:

هل وقع الارتداد بمثل هذا الشمول؟ وكيف؟ ولماذا؟

إن الذي يدرس تاريخ الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية بإمعان يجد أن العرب قد امتنعوا عن الرضوخ لرسالة الإسلام في السنيّ الأولى من البعثة. ثم لم يكفهم مجرد الامتناع فاستعملوا كل أساليب السخرية والاستهزاء والشتم والشهير - بل الحرب والقتال أيضاً - في سبيل إطفاء شعلة الإسلام وصد تياره المتدفق ومدّه الزاحف، ومع ذلك كله فقد استمر النبيّ (ص) في قيامه بواجب الدعوة والتبليغ وإقامة المعجز وفعل خوارق العادات وتحمل سائر ألوان الأذى والتعذيب، حتى تمت عملية الإقناع، ونمت نبتة العقيدة و«جاء نصر الله والفتح» ودخل الناس في دين الله أفواجاً، بلا إكراه ولا جبر ولا قسر ولا تعسف، خصوصاً وأن الحروب الرسالية كانت ذات صفة دفاعية أكثر منها هجومية، كما يتجلى ذلك بوضوح للمتعمقين في دراسة أسباب الغزوات النبوية.

واذن، فهل من المعقول أن يقوم هؤلاء المسلمون المعتنقون للإسلام عن قناعة ورضا وتصديق بحمل راية الارتداد عن الدين؟.

وهل من المنطقي أن يبادر للارتداد أولئك الذين كانت مساكنهم بعيدة عن دائرة الحركات العسكرية ولم يصلهم جندي واحد من جنود الإسلام، وإنما كان إسلامهم بمحض رغبتهم واندفاعهم وتصديقهم، مجرداً عن كل لون من ألوان التأثير والتوجيه إلا تأثير البرهان وتوجيه الدليل؟.

وهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أو سجاح بمعجزة أسمى أو خارق عادة أقوى من ذلك الذي جاءهم به محمد (ص) حتى يتخلوا عن الإسلام ويتبرأوا منه؟.

إن محمداً على الرغم من كل معجزاته وخوارقه قد اعتبر القرآن الكريم معجزته الكبرى الرئيسة، وكلنا يعلم أن من جملة أسباب اختيار هذا المعجز بالخصوص ما كان يشتهر به العرب يومذاك من فصاحة وكلام بليغ، فجاءهم النبي بما يتحدى ما امتازوا به من فصاحة وبلاغة وإتقان لصناعة الكلام، ولم يجدوا بداً - بعد كل محاولات الرفض والامتناع - من الإقرار والاعتراف بعجزهم عن الإتيان بمثله.

وهكذا تم الإيمان بالإسلام نتيجة الإيمان بمعجزته البليغة وكلامه الفصيح الخارج عن قدرة البشر وطاقتهم.

فهل جاءهم طليحة أو مسيلمة أو سجاح بكلام أبلغ من القرآن وأكثر منه بهاءً وروعة وطلاءاً وجمالاً فيحملهم على الارتداد واستبدال شيء مكان شيء؟.

إن طليحة قد خاطب العرب - كما يحدث الطبري - بمثل هذا الكلام:

«أمرت أن تصنعوا رحي ذات عُراً، يرمي الله بها من رمي، يهوي عليها من هوى»^(١).

«ابعثوا فارسين، على فرسين أدهمين، من بني نصر بن قَعَيْن، يأتيانكم بعين»^(٢).

وخاطبهم سجاح^(٣) - على رواية الطبري أيضاً - بمثل قولها:

(١) (٢) تاريخ الطبري: ٢٦٠/٣ - ٢٦١.

(٣) يراجع في قصة زواج مسيلمة وسجاح وما دار بينهما من نثر وشعر من وحي الغريزة والجنس مما لا ترضاه الروح العربية السائدة يومذاك: الطبري: ٢٧٣/٣ ويراجع في صداقتها (وهو إسقاط صلاتين مما جاء به محمد: صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر).

الطبري: ٢٧٤/٣.

«أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم غيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب»^(١).

«عليكم باليمامة، ودفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة»^(٢).

«لا يرد النصف، إلا من حنف، فاحمل النصف إلى خيل تراها كالسَّهف»^(٣).

أما مسيلمة فقد طلع على العرب - برواية الطبري - بمثل هذه الجملة:

«يا ضفدع ابنة ضفدع، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين»^(٤).

«ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى»^(٥).

«والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والشاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضّلتكم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعترّ فأووه، والباغي فناوئوه»^(٦).

«والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء واللبن

(١) تاريخ الطبري: ٣/٢٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٢٨٤.

(٥) المصدر السابق: ٣/٢٧٣.

(٦) المصدر السابق أيضاً: ٣/٢٨٤.

الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حُرِّمَ المذق، فمالكم لا تمجِّعون»^(١).

«سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذ طمع، ولا زال أمره في كل ما سر نفسه يجتمع. رآكم ربكم فحياكم، ومن وحشة خلآكم، ويوم دينه أنجاكم. فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار، لا أشقياء ولا فجار، يقومون الليل ويصومون النهار، لربكم الكبار، رب الغيوم والأمطار»^(٢).

هذه النصوص المارة الذكر هل خدعت العرب وانطلت عليهم فظنوها وحياً وإعجازاً؟. وهل كان الفرد العادي منهم - ولا نقول: بليغهم أو نابغتهم - عاجزاً عن الإتيان بمثل هذا الفضول من القول؟ أو يرضى بأن ينسب له هذا اللون من الهديان؟، وهل تردى الذوق العربي - وقد كان في قمة البلاغة إذ خاطبه الله تعالى بمعجزة البيان البليغ - حتى استقر في مثل هذا الحضيض؟ وهل فقدت هذه الأمة فهمها ومعرفتها وقوة تمييزها حتى أصبح لديها هذا الهراء مثال البلاغة المتناهية التي تحمل العربي على رفض دينه السابق إقراراً باعجاز هذا الكلام الساقط المرذول؟.

ثم، لو غضضنا النظر عن جانب الإعجاز في بلاغة القرآن وروعة ألفاظه وفصاحة بيانه فهل وجدت هذه الأمة في الأفكار التي عبر عنها طليحة ومسيلمة وسجاح ما يثير إعجابها ويدفعها على اتباع أصحابها وتبديل دينها؟ وهل جملة طليحة عن «صنع رحا ذات عرا يرمي الله بها من رمى» مثلاً قد اشتملت على فكرة تعجب السامع العربي فتشده إلى هذا المفكر البعيد الغور!!

(١) الطبري: ٢٨٤/٣.

(٢) الطبري: ٢٧٢/٣.

وهل أمرٌ سجاح لهم بأن يدفوا «دفيف الحمامة»، فإنها غزوة صرامة» مثلاً قد حمل للعرب معنى جديداً من معاني الحث على الحرب والتحريض على القتال، فتكون النتيجة أن يبادر الآلاف إلى الإيمان بهذه السيدة والالتفاف حولها حتى الموت؟!؟.

وهل وُصف مسيلمة للضفدعة بأن أعلاها في الماء وأسفلها في الطين يعبر عن مطلب علمي دقيق أو جانب مجهول من جوانب الخلق والإبداع في هذا الحيوان الصغير؟!؟

إننا لن نجد في كل نصوص هؤلاء الأدعياء الأغبياء إلا ما ينطلق من وحي السخف والجهل والهراء، وذلك هو مرآة تعكس طاقاتهم الذهنية والفكرية فتبرزها على واقعها الحقيقي الصادق.

فكيف يصح من هذه الأمة العريقة المجيدة الواعية أن تترك كل أفكار القرآن وكل أفكار محمد وكل ما تعلمته من أفكار الإسلام وتنساق طواعية وراء هذه السخافات والترّهات والتعابير الحمقاء؟!؟.

وهل يستطيع أحد أن يعتبر هذه الأمة أمة إدراك وحضارة إذا كانت قد استبدلت ذاك الفكر المشرق العظيم بهذا اللغو المقرز السخيف؟!؟.



وإذا كنا لا نستطيع المقارنة بين بلاغة القرآن وكلام هؤلاء وبين أفكار الإسلام وأفكار هؤلاء، فهل هناك مجال للمقارنة - وأستغفر الله والضمير من هذا التعبير - بين شخصية محمد - ولنفرض محمداً قبل أن يبعث نبياً - وبين تلك الشخصيات المهزوزة التي نسب إليها الطبري دور قيادة الأمة في ردتها؟!؟.

هل محمد في خلقه وسلوكه وعقله وحسن تصرفه وسائر خصاله

وملكاته وشمائله كطليحة مثلاً... كمسيلمة... وهل يمكن للعربي - وهو الذكي بالفطرة - أن يكون أبلهاً إلى هذه الدرجة فيقارن بين ذلك وهذين ثم يفصل - وهذا هو الأنكى - زعانف الناس على محمد؟!!

ولو صحت أنباء الردة وأخبارها فأين كان عنها زعماء الشعوبية وقادتها ولم فاتتهم هذه الفرصة ولم يستغلوها طعناً وتجريحاً في عقلية هذه الأمة وفي ركضها وراء الترهات والأباطيل؟.

إن هذه الأسئلة تعصف في ذهني إلى حد التمرد على كل هذه المدعيات التي سجلها المؤرخون - وفي طليعتهم الطبري - عن هذه الأمة المبتلاة بأبنائها في تشويه صفحتها البيضاء.



ومع ذلك كله فلعل هناك من سيتطوع للدفاع عن تلك الصفحات المظلمة الملتصقة بتاريخ هذه الأمة، لإثبات صحتها، ثم تبرير تلك الصحة، مدفوعاً بضرورة التصديق بروايات الرواة وأحاديث المحدثين.

ومن هنا كان لا بد لي في هذه المسيرة المتأنية أن أحصي مصادر هذه الروايات في تاريخ الطبري، فأستخرج منه أسماء الكتب التي رجع إليها وأهم الرواة الذين أخذ عنهم ثم أترجم لكل واحد من هؤلاء المؤلفين والمحدثين، لتحديد درجة الوثاقة والصدق والاطمئنان في مروياتهم وأحاديثهم، عسى أن يدلنا ذلك كله على الطريق الصحيح الذي يجب أن نسلكه ونحن نحاول إعادة كتابة التاريخ ونقد نصوصه.

ونستطيع أن نلخص هذه المصادر والموارد التي استقى منها الطبري رواياته في الردة على الوجه الآتي:

١ - كتاب «الفتوح الكبير والردة»^(١): لسيف بن عمر التميمي. وهو المصدر الرئيس والمهم والأساس في جل ما رواه الطبري بشأن الردة وما يرتبط بها، وله في روايته عن سيف طريقان:

أ - عن عبد الله بن سعد الزهري، عن عمه يعقوب بن إبراهيم الزهري، عن سيف، «الطبري: ٢٢٥/٣ وما بعدها».

ب - عن السري بن يحيى، عن شعيب بن إبراهيم^(٢)، عن سيف، «الطبري: ٢٢٥/٣ وما بعدها». ورواياته عن السري بعضها من طريق المشافهة «٢٢٥/٣ و ٢٢٧ وما بعدهما»، وبعضها من طريق المكاتبه «٢٧٦/٣ و ٢٧٧ وما بعدهما».

٢ - كتاب الردة^(٣): تأليف أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي. والظاهر أن الطبري لم يقف على كتاب أبي مخنف هذا، وإنما يرويه عن هشام بن محمد بن محمد بن السائب الكلبي^(٤)، وحيث إن الطبري قد ولد بعد وفاة هشام فلا بد أن روايته عن هشام ليست سماعية وإنما نقلًا عن كتابه في «مسيلمة الكذاب»^(٥).

وما أخرجه الطبري عن هذا الكتاب قليل.

٣ - سند هذا نصه:

(١) لم يسم الطبري كتاب سيف، والظاهر أنه هذا الكتاب نفسه، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست: ١٣٧ - طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ ..

(٢) يقول ابن حجر في لسان الميزان: ١٤٥/٣ «شعيب... راوية كتب سيف عنه: فيه جهالة، ذكره ابن عدي وقال: ليس بالمعروف، وله أحاديث وأخبار، وفيه بعض النكرة، وفيها ما فيه تحامل على السلف».

(٣) الفهرست: ١٣٦، وليس لأبي مخنف كتاب غيره في هذا الموضوع.

(٤) تاريخ الطبري: ٢٥٤/٣ و ٢٢٥ و ٢٦٧.

(٥) الفهرست: ١٤٢.

«عن ابن حميد، عن سلمة، عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق صاحب السيرة»^(١).

٤ - سند هذا نصه :

«عن أبي زيد (عمر بن شبة) عن أبي الحسن المدائني (علي بن محمد) عن أبي معشر (نجيح المدني) ويزيد بن عياض بن جعدة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء»^(٢).



(١) تاريخ الطبري: ٢٥٥/٣ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣١٣ و ٣٣٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٣١٣/٣.

استقى الطبري معلوماته عن «الردة» وأحداثها - كما أسلفنا - من أربعة موارد. وإن المنهج العلمي في كتابة التاريخ ونقد نصوصه يفرض علينا أن نقف عند هذه الموارد وقفة الفاحص المتأمل، لنستجلي واقع الثقة أو عدمها في هذه النصوص، ونعلن - من ثم - موقفنا الموضوعي المحدد من رفض هذه الروايات أو قبولها.

١ - روايات سيف بن عمر:

وهي الروايات التي أودعها سيف كتابه «الفتوح الكبير والردة». وتشكل هذه الروايات المصدر الرئيس والمهم والأساس في جل ما سجله الطبري عن الردة وما يتعلق بها.

ومن حق البحث أن نقف - هنا - فنتساءل عن سيف هذا: من هو؟ وما هي قيمة رواياته في الميزان العلمي؟ ومن هم أولئك الذين حدث عنهم هذا الرجل؟

إنه سيف بن عمر، التميمي، البرجمي، ويقال: السعدي، ويقال: الضبعي، ويقال: الأسدي، الكوفي، المتوفى سنة ١٨٠هـ.

قال ابن معين: ضعيف الحديث.

وقال أبو حاتم: متروك الحديث.

وقال أبو داود: ليس بشيء.

وقال النسائي والدارقطني: ضعيف.

وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها.

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، وأنه كان يضع الحديث، وأنه اتهم بالزندقة.

وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك.

وقال الحاكم: اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط.

وقال ابن أبي حاتم: متروك الحديث.

وعلق ابن حجر العسقلاني على خبر رواه سيف:

«سيف متروك، فبطل الحديث، وإنما ذكرناه للمعرفة».

وقال بروكلمان: «كان سيف... يحرف الأحاديث والأحداث،

يعظم بعضاً ويحقر بعضاً، ولكنه كان يحسن الوصف والبيان، فاغتر الطبري بذلك واختار كتبه مصدراً أصيلاً في تاريخه»^(١).

وهكذا يتضح من استعراض هذه النصوص أن المصدر الأول

والرئيس في أخبار الردة مكتوب بقلم إنسان وصفه العلماء والمؤرخون:

أنه «ضعيف الحديث» «متروك الحديث» «ليس بشيء» «يروي الموضوعات

عن الأثبات» «يضع الحديث» «في الرواية ساقط» وأخيراً «متهم

بالزندقة»، ولا بد أنها الزندقة بمعناها الواقعي الدقيق، وليست الزندقة

(١) يراجع في النقول السابقة: الاستيعاب: ٢٥٢/٣ والإصابة: ٢٣٠/٣ و٣٨٦/٤

وتهذيب التهذيب: ٢٩٥/٤ - ٢٩٦ وتاريخ الأدب العربي - الترجمة العربية :-

التي كان يبرقع بها الحكام خصومهم، فقد كان سيف من السائرين في خط الحكم القائم يومذاك ولم يكن من مبرر لاتهامه - كذباً - بالزندقة كما كان يتهم المعارضون.

ولزيادة التعريف بهذا الرجل نشير إلى أن سيفاً على الرغم من حذاقته في صناعة الوضع والتلفيق لم يستطع تسجيل الأسماء الكاملة لجملة من المشايخ الذين أنهى سنده إليهم، ففاته في خلال ذلك ما أظهره على حقيقته الناصعة، راوياً عن المجاهيل، ومعتمداً على المراسيل.

إن سيفاً يروي خبره في بعض الأحيان:

عن عمارة بن فلان!! الأسدي^(١).

عمن شهد بزاحة من الأنصار - بلا تسمية! -^(٢).

عن رجال - بلا اسم! -^(٣).

عمن حدثه!! عن جابر بن فلان!^(٤).

عن رجل من بني سحيم!^(٥).

من عطاء بن فلان!! المخزومي، عن أبيه!^(٦).

مضافاً إلى ما كان يرسله أحياناً بلا سند مطلقاً^(٧).



(١) تاريخ الطبري: ٢٥٦/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦١/٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٨١/٣.

(٤) الطبري أيضاً: ٢٨٢/٣.

(٥) المصدر السابق: ٢٩٣/٣.

(٦) المصدر نفسه: ٣٣٠/٣.

(٧) المصدر السابق أيضاً: ٣٠١/٣ و ٣٢٣.

نصل من كل ما سلف إلى نتيجة خلاصتها: إن إنساناً له مثل هذه الصفات والنوعت ومثل هذه الأسانيد والرواة لا يصح الاعتماد عليه في إثبات قضية خطيرة كمثل هذه القضية التي لم يكتب لها في تاريخ الإسلام مثيل، ولم ينكب تاريخ المسلمين بمثلها على مدى عمره الطويل^(١). وإن اشتهاره بالكذب والوضع بلغ حداً أغنانا عن اللجوء إلى فلفلة أسانيد واستعراض مشايخه لنرى قيمتها وشأنها في مقام التوثيق والتعديل، خصوصاً وأن هؤلاء الذين طعنوا بسيف وتركوا حديثه كانوا على علم تام بأولئك المشايخ وتلك الأسانيد.

ولكنني - استيفاءً لحق البحث وتأكيذاً لأطمئنان القارئ - سأستعرض باستعجال مقتضب بعض تلك الأسماء التي حاول سيف أن يتعكز عليها لتمرير أكاذيبه وتغليف موضوعاته وإظهارها أمام المسلمين بالمظهر الذي اصطلح عليه أهل الحديث من تسجيل أسماء الرواة وتثبيت سلسلة السند، على الرغم من أنه كان معروفاً - كما أسلفنا - برواية الموضوعات عن الأثبات، أي وضع الأخبار وزعم روايتها عن المشهورين بالوثاقة والتثبت، ولكنه نزولاً عند حكم الضرورة كان يلتجئ - في كثير من الأحيان - إلى الرواية عن أسماء معينة لا يكون فيها من لم يدرج مع الضعفاء والمهزوزين والمجهولين والمعروفين بالكذب والتلفيق.

وكان من جملة أولئك:

(١) أما التفريق بين سيف المحدث وأنه «لم يكن من رواة الحديث المعتمدين» وسيف المؤرخ وأنه «عمدة في التاريخ» - كما ذكر السيد أحمد راتب في مقدمة كتاب الفتنة ص ٢٧ - فلم نفهم له وجهاً أو معنى، فإن كان محلاً للاعتماد والثقة فهو عمدة في الحديث والتاريخ، وإن كان مرفوضاً ففي كليهما مرفوض.

أ - هشام بن عروة بن الزبير:

أُنكِرَ عليه ما يرويه لأنه أرسل عن أبيه ما كان يسمعه من غير أبيه، وقال ابن خراش: كان مالك لا يرضاه^(١).

ب - سهل بن يوسف بن سهل:

«مجهول الحال، قال ابن عبد البر: لا يُعْرَف ولا أبوه»^(٢).

ج - عكرمة مولى عبد الله بن عباس:

كان مضرب المثل في الكذب، حتى روي أن ابن عمر وسعيداً بن المسيب كانا يتوعدان غلاميهما ويقول كل منهما لغلامه لا تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس. وبلغ الأمر بعلي بن عبد الله بن عباس أنه قيد عكرمة على باب الحش لأنه يكذب على أبيه، وكان مالك لا يراه ثقة ويأمر أن لا يؤخذ عنه، ووصفه أيوب بقلّة العقل^(٣).

د - الضحاك بن فيروز الديلمي:

«قال البخاري: الضحاك بن فيروز عن أبيه وعنه ابن وهب، لا يعرف سماع بعضه من بعض، وقال ابن القطان: مجهول»^(٤).

هـ - المجالد بن سعيد:

ضعفه ورفض الرواية عنه كل من يحيى بن سعيد وابن مهدي وأحمد ابن حنبل وابن المديني وابن معين وابن أبي حاتم، و«قال عمر بن علي:

(١) تهذيب التهذيب: ٥٠/١١.

(٢) لسان الميزان: ١٢٢/٣.

(٣) معجم الأدباء: ١٨٤/١٢ - ١٩٠، وطبقات ابن سعد: ٢١٤/٥.

وتهذيب التهذيب: ٤٤٨/٤.

(٤) تهذيب التهذيب: ٤٤٨/٤.

سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض أصحابه: أين تذهب؟ قال: إلى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد، قال: تكتب كذباً كثيراً، ويقول ابن معين: «ضعيف واهي الحديث» «لا يحتج بحديثه»^(١).

و - عبید بن صخر بن لوزان الأنصاري:

«ذكره البغوي وغيره في الصحابة، وقال ابن السكن: يقال له صحبة، ولم يصح إسناد حديثه»^(٢).

ز - الضحاک بن خليفة:

«له ذكر، وليست له رواية... قال ابن سعد: كان مغموصاً عليه»، «ولحسان بن ثابت شعر في هجاء الضحاک»^(٣).

ح - زيد بن أسلم:

ذو مراسيل كثيرة، فقد روى عن جابر وأبي هريرة وسعد وأبي أمامة وأبي سعيد ومحمود بن لبيد ولم يسمع منهم وكان يفسر القرآن برأيه، و«كان في حفظه شيء» و«كان يدلس»^(٤).

ط - حرام بن عثمان:

قال فيه الشافعي ويحيى بن معين وغيرهما: الرواية عن حرام حرام، وقال أحمد: ترك الناس حديثه، وقال مالك ويحيى: ليس بثقة^(٥).

(١) المصدر السابق: ٤٠/١٠.

(٢) الإصابة: ٤٣٧/٢.

(٣) الإصابة: ١٩٧/٢.

(٤) تهذيب التهذيب: ٣٩٥/٢ - ٣٩٧.

(٥) لسان الميزان: ١٨٢/٢.

ي - الحجاج بن أرطاة النخعي:

كان صاحب إرسال، وكان يدلّس، ويزيد في الأحاديث التي يرويها، ليس يكاد له حديث إلا فيه زيادة، قال فيه يعقوب بن شيبة: واهي الحديث، في حديثه اضطراب كثير، وقال ابن عيينة: كنا عند المنصور بن المعتمر فذكروا حديثاً، فقال من حدثكم؟ قالوا: الحجاج بن أرطاة، قال: والحجاج يُكتب عنه؟ قال: نعم، قال: لو سكتم لكان خيراً لكم. و«كان ضعيفاً في الحديث» «ليس بالقوي» «لا يحتج به» «مضطرب الحديث»، وتركه ابن المبارك وابن مهدي ويحيى القطان ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل^(١).

ك - عمرو بن شعيب القرشي:

واهي الحديث، «عند الناس فيه شيء» و«له أشياء مناكير» و«ليس بذلك»، وقال الآجري: قلت لأبي داوود: عمرو بن شعيب عندك حجة؟ قال لا ولا نصف حجة^(٢).

ل - مبشر بن فضل (فضيل):

«شيخ لسيف لا يدري من هو... وذكره العقيلي في الضعفاء فقال: كوفي مجهول النقل لا يصح إسناده»^(٣).

م - الضحاک بن يربوع:

«قال الأزدي: حديثه ليس بالقائم»^(٤).

(١) تهذيب التهذيب: ١٩٦/٢ - ١٩٨.

(٢) المصدر السابق: ٤٩/٨ - ٥٤.

(٣) لسان الميزان: ١٣/٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠١/٣.

ن - عطاء الخراساني:

روى عن الصحابة مرسلًا، وذكره البخاري في الضعفاء، «قال ابن حبان: كان رديء الحفظ يخطيء ولا يعلم فبطل الاحتجاج به»^(١).



وهكذا يتضح من مجموع ما سلف أن سيفاً بشخصه، وسيفاً بأسانيده، وسيفاً بمضمون أخباره، متروك أشد الترك، لا تقبل الرواية عنه ولا يصح الاعتماد عليه. وتصبح كل أحاديثه التي حشدها الطبري في فصل الردة من تاريخه صفراً خاوياً على اليسار، لأنها لا تمنح الاطمئنان ولا تبعث على الثقة، ولا تحمل في طياتها أية أمانة من أمارات الصدق والقبول.



٢ - سند هذا نصه:

«قال هشام: قال أبو مخنف» أو «قال هشام» من دون ذكر أبي مخنف.

والمقصود بأبي مخنف: الراوية المعروف لوط بن يحيى بن سعيد ابن مخنف، الأزدي، المتوفى قبل السبعين ومائة^(٢). وقد عني هذا الرجل بحوادث تلك الفترة الدامية من تاريخ الإسلام، وأودع ما تجمع لديه من أخبارها في كتاب سماه «الردة»^(٣)، وهو الكتاب الذي يروي هشام عنه ما يستند إلى أبي مخنف.

(١) تهذيب التهذيب: ٢١٢/٧ - ٢١٥.

(٢) لسان الميزان: ٤٩٣/٤.

(٣) الفهرست: ١٣٦ ورجال النجاشي: ٢٢٤.

والمعني بهشام: النسابة المعروف هشام بن محمد بن السائب، الكلبي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ^(١)، وكان من المهتمين بتاريخ هذه الفترة أيضاً، وألف فيها كتابين: «كتاب الردة»^(٢) و«أخبار مسيلمة الكذاب»^(٣).

وحيث إن الطبري قد ولد بعد وفاة هشام فإن نقوله بأجمعها إنما هي مستخرجة من كتابيه المذكورين، وليست سماعاً من لسانه أو قراءة عليه.

ولدى استقراء أخبار الردة عند الطبري وجدنا أنه قد روى عن أبي مخنف ستة نصوص فقط لا غيرها!!، وكانت هذه النصوص الستة خالية من كل ما يدل على ردة أو يُشعر بخروج عن الإسلام أبداً.

وما دام الرجل غير مشارك برواية أخبار الردة وقصصها فلن يهمننا - هنا - أن نبحت عن مقام أبي مخنف لدى علماء الرجال توثيقاً له أو تضعيفاً، لأن ذلك تطويل بلا طائل.

ونورد - في أدناه - نصوص أبي مخنف بألفاظها ليتلمّس القارئ معي هذه الحقيقة، ويكون على علم كامل بجلية الأمر:

النص الأول:

«قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني سعد بن مجاهد، عن المُجَلِّ بن خليفة، عن عدي بن حاتم قال: بعثتُ إلى خالد بن الوليد أنُ

(١) لسان الميزان: ١٩٦/٦ - ١٩٧.

(٢) رجال النجاشي: ٣٠٥.

(٣) الفهرست: ١٤٢ ومعجم الأدباء: ٢٩١/١٩ وسمي في رجال النجاشي: ٣٠٥ «كتاب بني حنيفة».

سُرُّ إِلَيَّ فَأَقَمَ عِنْدِي أَيَّاماً حَتَّى أُبْعَثَ إِلَى قِبَائِلِ طِيءَ، فَاجْمَعْ لَكَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِمَّنْ مَعَكَ، ثُمَّ أَصْحَبْكَ إِلَى عَدُوكَ، قَالَ: فَسَارَ إِلَيَّ^(١).

النص الثاني:

«قال هشام قال أبو مخنف: حدثنا عبد السلام بن سويد أن بعض الأنصار حدثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة، قال لهم: هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حي من أحياء العرب، كثير عددهم، شديدة شوكتهم، لم يرتد منهم عن الإسلام أحد؟ فقال له الناس: وَمَنْ هَذَا الْحَيُّ الَّذِي تَعْنِي؟ فَنَعَمُ وَاللَّهِ الْحَيُّ هُوَ، قَالَ لَهُمْ: طِيءَ، فَقَالُوا: وَفَقَكَ اللَّهُ، نَعَمْ الرَّأْيُ رَأَيْتَ، فَانصَرَفَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَيْشِ فِي طِيءَ»^(٢).

النص الثالث:

«قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني إسحاق أنه (أي خالد) نزل بأجاً، ثم تعبى لحربه، ثم سار حتى التقيا على بُزَاخَةَ، وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى سَادَتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ قَرِيباً يَسْتَمْعُونَ وَيَتَرَبَّصُونَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ»^(٣).

النص الرابع:

«قال هشام: قال أبو مخنف: حدثني إسحاق أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون: سألنا خالداً أن نكفيه قيساً فإن بني أسد حلفاؤنا، فقال: والله ما قيس بأوهم الشوكتين، اصمدوا إلى أي القبيلتين أحببتهم، فقال عدي: لو ترك هذا الدين أسرتي الأذنَى فالأذنَى من قومي لجاهدتهم

(١) تاريخ الطبري: ٢٥٤/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥٥/٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٥٥/٣.

عليه، فأنا أمتنع من جهاد بني أسد لحلفهم، لا لعمر الله لا أفعل، فقال له خالد: إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد، لا تخالف رأي أصحابك، امض إلى أحد الفريقين، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط^(١).

النص الخامس:

«قال هشام: عن أبي مخنف: فحدثني عبد السلام بن سويد، أن خيل طيء كانت تلقى خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامون ولا يقتتلون، فتقول أسد وفزارة: لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبداً، فتقول لهم خيل طيء: أشهد ليقاتلنكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر^(٢)».

النص السادس:

«عن هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن قيس السلمي (والحديث يتعلق بأبي شجرة).. فأناخ ناقته بصعيد بني قريظة قال: ثم أتى عمر وهو يعطي المساكين من الصدقة ويقسمها بين فقراء العرب فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني فإني ذو حاجة، قال: ومن أنت؟ قال: أبو شجرة ابن عبد العزى السلمي، قال: أبو شجرة! أي عدو الله! ألسنت الذي تقول:

فرويتُ رمحي من كتيبة خالد وإنني لأرجو بعدها أن أعمراً

قال: ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدواً، فرجع إلى ناقته فارتخلها، ثم أسندها في حرّة شوران راجعاً إلى أرض بني سليم، فقال:

(١) تاريخ الطبري: ٢٥٥/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥٥/٣.

ضناً علينا أبو حفص بنائله . . . «^(١) إلى آخر الأبيات .
ولدى التحقيق في هذه النصوص نجد ما يلي :

إن «النص الأول» يتعلق بعدي بن حاتم ومحاولاته في إنقاذ عشيرته وبني قومه من بطش الجيش القادم إليهم، ولعله كان يأمل من وراء إقامة خالد أياماً عنده أن تهدأ النائرة وتحقن الدماء . وليس في النص خلا ما ذكرناه أي إشارة إلى كفر وارتداد .

ولعل «النص الثاني» يزيد المسألة وضوحاً، حيث جاء فيه اعتراف خالد بأن الطائيين «لم يرتد منهم عن الإسلام أحد» . وهذا الاعتراف دليل آخر على كذب سيف بن عمر وتلفيقه فيما كان يحاول تأكيده من ارتداد طيء وخروها على الإسلام، حيث زعم في بعض رواياته أنه «اجتمع على طليحة عوام طيء . . .»^(٢)، وزعم مرة أخرى أنه «اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة . . .»^(٣) .

واختص «النص الثالث» بالحديث عن استعداد الطرفين للحرب .

وأكد «النص الرابع» في عمومته ما سبق لنا ذكره من اهتمام عدي بتهدئة الموقف وإيقاف الزحف العسكري المتمثل بخالد وجيشه .

وقد تضمن هذا النص فقرات لم يتضح لنا المقصود منها بالشكل الدقيق، إذ في الوقت الذي نرى عدياً خلاله مؤكداً استعداداته للتضحية والفداء لو خرج على هذا الدين خارج - ولو حرف امتناع كما نعلم -، فإننا نرى خالداً يأمر عدياً بأن لا يخالف رأي أصحابه . فما هو المقصود

(١) تاريخ الطبري: ٢٦٧/٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٢/٣ .

(٣) المصدر السابق: ٢٤٤/٣ .

بذلك؟ وما هي المخالفة التي ينكرها خالد؟ وهل هناك فيما وراء السطور ما حاول الرواة عدم توضيحه؟

وجاء «النص الخامس» ليضع أيدينا على النقطة الحساسة من المشكلة، وهي الصراحة بأن المسألة لم تكن مسألة ارتداد وكفر، وإنما هي مسألة موالاته وبيعة، وأن أسداً وفزارة يصرون قائلين: «لا والله، لا نباع أبا الفصيل أبداً».

أما «النص السادس» فيتعلق بالشاعر أبي شجرة، وليس في شعره الذي أورده الطبري نقلاً عن أبي مخنف ما يشعر بمروق عن الدين أو ارتداد عن الإسلام.

وإذن، فلماذا أقحمت هذه النصوص في مجموعة أخبار «الردة»؟ وهل كان غرض الطبري من ذلك إضفاء بعض الوثيقة على روايات سيف وأضرابه وإظهارها بمظهر التسليم والإجماع؟.



أما هشام بن محمد الكلبي فقد نقل عنه الطبري أربعة نصوص خلال أخبار الردة، نسوقها بألفاظها في أدناه:

النص الأول:

«وأما هشام بن الكلبي فإنه زعم أن أبا بكر لما رجع إليه أسامة ومن كان معه من الجيش جدّ في حرب أهل الردة، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذي القصة، منزلاً من المدينة على بريد من نحو نجد، فعبى هنالك جنوده، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار، وأمره إلى خالد، وأمره أن يصمد لطليحة وعيينة بن حصن، وهما على بزاجة، ماء من مياه بني أسد، وأظهر أني ألاقك

بمن معي من نحو خيبر، مكيدة، وقد أوعب مع خالد الناس، ولكنه أراد أن يبلغ ذلك عدوه فيرعبهم، ثم رجع إلى المدينة، وسار خالد بن الوليد، حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن، وثابت بن أكرم - أحد بني العجلان حليفاً للأنصار - طليعة، حتى إذا دنوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة، ينظران ويسألان، فأما سلمة فلم يمهل ثابتاً أن قتله، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن فرغ من صاحبه أن أعني على الرجل، فإنه أكلني فاعتونا عليه، فقتلاه ثم رجعا، وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أكرم قتيلاً، فلم يفتنوا له حتى وطئته المطي بأخفافها، فكبر ذلك على المسلمين، وقالوا: قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم، فانصرف خالد نحو طيء»^(١).

النص الثاني:

«قال هشام: حدثني جدي بن جناب النبهاني من بني عمرو بن أبي: أن خالداً جاء حتى نزل على أرك، مدينة سلمى»^(٢).

النص الثالث:

«وقال ابن الكلبي: الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور»^(٣).

النص الرابع:

«وقال هشام بن محمد: قدم عكرمة بن أبي جهل بعدما فرغ المهاجر من أمر القوم مدداً له، فقال زياد والمهاجر لمن معهما: إن إخوانكم قدموا مدداً لكم، وقد سبقتموهم بالفتح فأشركوهم في الغنيمة،

(١) تاريخ الطبري: ٢٥٤/٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٥/٣.

(٣) الطبري أيضاً: ٢٨٠/٣.

ففعّلوا وأشركوا من لحق بهم وتواصوا بذلك، وبعثوا بالأخماس والأسرى، وسار البشير فسبقهم وكانوا يبشرون القبائل ويقرأون عليهم الفتح»^(١).

هذه هي النصوص التي أوردها الطبري في مجموعة أخبار الردة مروية عن هشام بن محمد الكلبي، وليس من نص غيرها عن ابن الكلبي. وواضح - بعد قراءتها بإمعان - أن الثلاثة الأخيرة منها لم تتعرض - بقليل أو كثير - لمسألة الردة والخروج من الإسلام، «فالنص الثاني» يحدد مكان نزول خالد بن الوليد، و«النص الثالث» يسمي قاتل بن نويرة، و«النص الرابع» يتحدث عن المدد القادم لمعونة الجيش المحارب.

ولم يبق مما يرتبط بالردة إلا «النص الأول» الذي وردت فيها جملة «جد في حرب أهل الردة»، وليس في التعبير ما يدل على التفات الراوي وقصده لمعنى الردة الشرعي، بل الظاهر أن هشاماً قد استعمل - بذلك - التعبير الاصطلاحي المتعارف الذي كانت تسمي الدولة به هذه الوقائع، حيث يكون المقصود من الجملة أن الخليفة أبا بكر قد جد في حرب من اعتبرهم أهل الردة، وليس في هذه العبارة ما يرشد إلى اعتراف الراوي بـ«الردة» وكونها ردة بالمعنى الإسلامي الشرعي^(٢).



(١) المصدر نفسه: ٣/٣٣٧.

(٢) لعل مما يسترعي الانتباه عند التأمل في نصوص هشام أنها لم تنسب لتطليحة جريمة ادعاء النبوة، خلافاً لروايات سيف التي حاولت أن تضخم هذا الإنسان الخارج على الدولة فتجعل منه متنبئاً خطيراً كثير الاتباع، وتورد له بعض الفقر المسجوعة التي كان يزعم أنها قرآنه ووحى ربه إليه - كما تدعي تلك الروايات.

٢ - سند هذا نصه:

«عن ابن حميد، عن سلمة، عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق صاحب السيرة»^(١).

فمن هم هؤلاء؟ وما مدى ما يتمتعون به من سمعة الوثاقة وصفة الصدق؟

أ - محمد بن حميد بن حيان، التميمي الرازي، المتوفى سنة ٢٤٨ هـ.

قال يعقوب بن شيبة: محمد بن حميد كثير المناكير.

وقال البخاري: في حديثه نظر.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة.

وقال صالح بن محمد الأسدي: كان كلما بلغه عن سفيان يحيله على مهران وما بلغه عن منصور يحيله على عمرو بن أبي قيس، ثم قال: كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه. وقال في موضع آخر: كانت أحاديثه تزيد وما رأيت أحداً أجراً على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض، وقال أيضاً: ما رأيت أحداً أحق بالكذب من رجلين: سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد.

وقال أبو القاسم بن أخي أبي زرعة: سألت أبا زرعة عن محمد ابن حميد فأومى بأصبعه إلى فمه، فقلت له: كان يكذب؟ فقال برأسه:

(١) تاريخ الطبري: ٢٥٥/٣ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٧٩ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩١

و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣١٣ و ٣٢٩.

نعم، فقلت له: كان قد شاخ لعله كان يُعمل عليه ويدلّس عليه؟ فقال: لا يا بني كان يتعمد.

وقال أبو نعيم بن عدي: سمعت أبا حاتم الرازي في منزله وعنده ابن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم، فذكروا ابن حميد فأجمعوا على أنه ضعيف في الحديث جداً وأنه يحدث بما لم يسمعه وأنه يأخذ أحاديث أهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين.

وقال أبو حاتم: حضرت محمد بن حميد وعنده عون بن جرير، فجعل ابن حميد يحدث بحديث عن جرير فيه شعر، فقال عون: ليس هذا الشعر من الحديث إنما هو من كلام أبي فتغافل ابن حميد، ومر فيه.

وقال أبو العباس بن سعيد: سمعت داوود بن يحيى يقول: حدثنا عنه أبو حاتم قديماً ثم تركه بأخرة، وقال: وسمعت ابن خراش يقول: ثنا ابن حميد وكان - والله - يكذب.

وقال البيهقي: كان ابن خزيمة لا يروي عنه.

وقال النسائي فيما سأله عنه حمزة الكناني: محمد بن حميد ليس بشيء، قال: فقلت له: البتة؟ قال: نعم، قلت: ما أخرجت له شيئاً؟ قال: لا، وقال في موضع آخر: محمد بن حميد كذاب.

وقال أبو علي النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو حدثت الأستاذ عن محمد بن حميد فإن أحمد قد أحسن الثناء عليه، فقال: إنه لم يعرفه، ولو عرفه كما عرفناه ما أثنى عليه أصلاً^(١).

(١) يراجع في النقول السالفة الذكر: تهذيب التهذيب ٩/١٢٨ - ١٣١.

ب - سلمة بن الفضل، الأبرش، الأنصاري، المتوفى بعد سنة ١٩٠هـ.

قال البخاري: عنده مناكير.

وقال البرذعي عن أبي زرعة: كان أهل الري لا يرغبون فيه لمعانٍ فيه من سوء رأيه وظلم فيه.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال أبو حاتم: في حديثه انكار.

وقال ابن عدي: عنده غرائب وأفراد.

وقال الترمذي: كان إسحاق يتكلم فيه.

وقال ابن عدي عن البخاري: ضعفه إسحاق.

وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي^(١).

ج - محمد بن إسحاق بن يسار، صاحب السيرة، المتوفى سنة ١٥٠ أو ١٥١ أو ١٥٢ أو ١٥٣هـ.

اختلف المؤرخون في أمر وثاقته، وكان مما قالوا فيه: أنه «مطعون عليه، غير مرضي الطريقة». يحكى أن أمير المدينة رُقي إليه أن محمداً يغازل النساء، فأمر بإحضاره، وكانت له شعرة حسنة فرقق^(٢) رأسه وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوس في مؤخرة المسجد، وكان حسن الوجه.

يروى عن فاطمة بنت المنذر زوجة هشام بن عروة فبلغ هشاماً ذلك فأنكره وقال: متى دخل إليها؟ ومتى سمع منها؟

(١) القول بأجمعها من تهذيب التهذيب: ١٥٣/٤ - ١٥٤.

(٢) في الفهرست: «فوقف»، والتصويب من معجم الأدباء: ٧/١٨.

ويقال: كان يُعمل له الأشعار ويؤتى بها ويُسأل أن يدخلها في كتابه، في السيرة فيفعل، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر. وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه: أهل العلم الأول. وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونه^(١).

وقال فيه مالك: دجال من الدجاجلة.

وقال يعقوب بن شيبة: سمعت ابن نمير يقول: إذا حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق، وإنما أتى من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة.

وقال أيوب بن إسحاق بن سامري: سألت أحمد فقلت له: يا أبا عبد الله، إذا انفرد ابن إسحق بحديث تقبله؟ قال: لا والله إنني رأيتُه يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا.

وقال المروزي: قال أحمد بن حنبل: كان ابن إسحاق يدلس.

وقال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله يقول: ابن إسحاق ليس بحجة.

وقال الميموني عن ابن معين: ضعيف.

وقال النسائي: ليس بالقوي.

وقال ابن المديني: ثقة لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب. وكذبه سليمان التيمي، ويحيى القطان، وهيب بن خالد^(٢).



(١) يراجع في هذه النقول: الفهرست: ١٣٦.

(٢) تهذيب التهذيب: ٤١/٩ - ٤٥.

هذا هو - باختصار - واقع السند الذي اعتمد عليه الطبري في إثبات مجموعة من أخبار الردة وأنبائها، فهل يجد القارئ في رجاله الثلاثة السالفي الذكر: «الدجال» و«الكذاب» و«الضعيف» ما يوحى بالاطمئنان والثقة وما يبعث على التصديق واليقين.

ولعلنا لو حاولنا المزيد من التأمل والتعمق في رجال السند وما ترجم لهم المؤرخون لأمكننا أن نبرء ابن إسحاق من مسؤولية أكثر هذه الروايات، خصوصاً وأن ابن إسحاق - كما جاء في مصادر ترجمته - لم يكتب كتاباً في «الردة» ولم يبحث هذه الفترة الدامية ضمن ما أثر عنه من أخبار السيرة.

ولعل هذه الأكاذيب من اختلاق سلمة بن الفضل وزيادات محمد بن حميد، فإن ياقوتاً يروي أن وثيمة بن موسى بن الفرات قد «صنف كتاب أخبار الردة، ذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي (ص)، وسرايا أبي بكر التي سيرها لقتالهم وما جرى بينهم ومن رجع منهم إلى الإسلام، وأخبار خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة وقتله له»^(١).

وهذا الكتاب «فيه مناكير كثيرة» و«أحاديث كثيرة موضوعة»، وقد حدث وثيمة عن سلمة بن الفضل بأحاديث موضوعة وله عن مالك حديث منكر^(٢).

ولعل هذه «المناكير» و«الأحاديث الموضوعة» التي حدث بها وثيمة عن سلمة هي بنفسها التي رواها الطبري عن محمد بن حميد عن سلمة، وقد شارك هذا الثالوث الكذاب في وضعها وتنميقها، ثم نسبوها - سترأ

(١) معجم الأدباء: ٢٤٨/١٩.

(٢) معجم الأدباء: ٢٤٨/١٩ ولسان الميزان: ٢١٧/٧.

لها - إلى محمد بن إسحاق باعتباره صاحب السيرة المعروف، عسى أن يكون في هذه النسبة ما يستر الكذب ويبرقع الوضع ويبعث الناس على القبول والتصديق.



٤ - سند هذا نصه:

«وأما أبو زيد فحدثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء، بإسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من علماء أهل الشام وأهل العراق: أن الفتوح في أهل الردة كلها، كانت لخالد بن الوليد وغيره، في سنة إحدى عشرة، إلا أمر ربيعة بن بجير فإنه كان في سنة ثلاث عشرة»^(١).

وكل ما في هذا الخبر - ولا حاجة لمناقشة رجاله وسنده - أن وقائع ما يسمى بـ «الردة» كانت في سنة إحدى عشرة، وذلك ما نعترف ويعترف به كل قارئ للتاريخ وكل واقف على حوادثه وأحداثه. وهل في تحديد السنة دلالة على ردة ومروق عن الدين كما زعم الزاعمون؟!.

(١) تاريخ الطبري: ٣/٣١٣ - ٣١٤.

ولكي يكون هذا البحث «النقدي» أكثر وضوحاً وأجلى دلالة في أحكامه ونتائجه يجدر بنا أن نقف وقفة طويلة متمهلة عند كلمتي «مسلم» و«مرتد» لنعرف بمعناهما، ولنكون على علم بالحدود التي وضعها الدين لكل من هذين العنوانين، وبما يترتب على تلك الحدود من حقوق وواجبات.

وبتعبير آخر: فإننا نريد أن نضع الإجابة الصريحة الكاملة على الأسئلة التالية:

- ١ - من هو المسلم؟ وماذا يترتب على إعلان الإسلام؟.
- ٢ - ومن هو المرتد؟.
- ٣ - ومتى يصبح المسلم مرتدًا؟.

وستكون الإجابة المحددة الوافية على هذه الأسئلة هي المفتاح الرئيس لكشف كثير من مغلفات البحث وغوامضه، كما سيكون بإمكان القارئ أن يشاركني في عملية المقارنة بين النتائج التي يصل إليها جواب هذه التساؤلات وبين ما رواه الطبري عما وقع يومذاك من حوادث وأحداث، حيث نلمس - سوياً - ما بينهما من انسجام أو عدمه، وحيث يصبح موقفنا من نصوص الردة في تاريخ الطبري محدداً وواضحاً وناصع الجوانب وغير متأثر بالعاطفة والضجيج.

إن الجواب على السؤال الأول قد حددته النصوص الإسلامية الأساسية بكل دقة ووضوح، حيث اعتبرت المسلم هو الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وفرضت أول مكسب يحصل عليه المتلفظ بالشهادتين هو احترام دمه وماله وحرمة المس بهما من قبل جميع المسلمين، إلا في الحالات المعينة التي رود استثنائها بالخصوص في النصوص المشار إليها.

ولعل من المناسب لسياق البحث أن نورد بعضاً من تلك النصوص التي تعرّف المسلم وتحدد ما يترتب على الإسلام من حرّامات وحقوق وامتيازات وتستثني الحالات التي يفقد فيها المسلم حرمة ماله ودمه:

أخرج الترمذي بسنده عن النبيّ (ص) أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا. فإذا فعلوا ذلك حرّمت علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها. لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين»^(١).

وأخرج بسنده أيضاً عنه (ص) أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابها على الله»^(٢).

وأخرج أبو داود بسنده عن النبيّ (ص) أنه قال من جملة حديث: «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عن من قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل. . إلخ.»^(٣).

(١) سنن الترمذي: ٤/٥.

(٢) سنن الترمذي أيضاً: ٣/٥ وبمضمونه في المبسوط للطوسي: ٢٨٢/٧.

(٣) سنن أبي داود: ١٧/٢.

وأخرج مسلم بسنده قال: «كان رسول الله (ص) يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار»^(١).

وأخرج أيضاً بسنده «أن رسول الله (ص) بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم مشركين، وأنهم التقوا، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وأن رجلاً من المسلمين قصد غفلته - وكنا نُحَدِّثُ أنه أسامة بن زيد - فلما رفع عليه السيف قال لا إله إلا الله، فقتله. فجاء البشير إلى النبي (ص)، فسأله، فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعاه فسأله فقال: لم قتلته؟، قال يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمى له نقرأ، وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال لا إله إلا الله، قال رسول الله (ص): أقتلته؟، قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»^(٢).

وهكذا يبدو جلياً أن المتلفظ بالشهادتين مسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وأنه لا يجوز سفك دمه ولا استباحة ماله إلا في الحالات التي حددتها النصوص، ومنها الارتداد عن الإسلام، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الكليني عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) حيث قال: كل مسلم بين مسلمين ارتد عن الإسلام وجحد محمداً (ص) نبوته وكذبه فإن دمه مباح»^(٣). وبهذا المضمون عدد كبير من الأحاديث.



أما الجواب على السؤال الثاني المتعلق بتحديد معنى الارتداد فهو

(١) صحيح مسلم: ٤/٢.

(٢) صحيح مسلم: ٦٨/١.

(٣) وسائل الشيعة: ٥٤٥/١٨.

مورد الاتفاق والإجماع، حيث يقصد به: «الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام».

وكان اللغويون في طليعة من أكد هذا المعنى بصراحة إذ قالوا: الردة: صرف الشيء ورجعه. وارتد عنه: تحول. والردة: الاسم من الارتداد. والردة عن الإسلام: الرجوع عنه. وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه^(١).

وبمثل ذلك فسر المفسرون ما ورد في القرآن الكريم من مشتقات هذه اللفظة، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا﴾ قالوا: لو يردونكم أي يرجعونكم، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قالوا: من يرتد منكم أي يرجع منكم إلى الكفر بعد إظهار الإيمان. ومثل ذلك قالوا في تفسير سائر الآيات التي وردت فيها هذه المشتقات^(٢).

وإلى نفس المعنى ذهب الفقهاء في تفسير الارتداد^(٣).

وكذلك الأمر في كتب الحديث، فقد جاء في شرح الحديث النبوي الذي أخرجه النسائي بسنده عن النبي (ص) إذ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمداً فعليه القود، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل»^(٤)، قالوا: إن

(١) لسان العرب: ١٧٢/٣ - ١٧٣ وتاج العروس: ٩٠/٨.

(٢) يراجع تفسير الطبري ومجمع البيان في تفسير الآيتين ١٠٩ و ٢١٧ من سورة البقرة، والآيتين ١٠٠ و ١٤٩ من سورة آل عمران، والآية ٥٤ من سورة المائدة، على سبيل المثال.

(٣) موسوعة الفقه الإسلامي - موسوعة جمال عبد الناصر -: ٢٥٢/٤.

(٤) سنن النسائي - شرح السيوطي -: ١٠٤/٧.

الارتداد المذكور في هذا الحديث يعني رجوع المسلم إلى الكفر بعد إسلامه .

ويوضح هذا المعنى ما أخرجه الكليني بسنده عن الإمام الباقر محمد بن علي (ع) عندما سئل عن المرتد قال: «من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل على محمد (ص) بعد إسلامه»^(١).

وإذن، فلا خلاف في أن الارتداد معناه «الرجوع عن الإسلام»، وعلى ذلك أجمع اللغويون والمفسرون والفقهاء والمحدثون على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم .

وما دنا في سياق الكلام عن معنى الارتداد فلا بد لنا من الإشارة إلى أن هناك معنى خاصاً للارتداد ورد في بعض الأحاديث لا يقصد به الكفر وإنما يراد به التخلف عن بعض الواجبات الإسلامية الأساسية، وقد أشار إليه ابن الأثير فقال: «وفي حديث القيامة والحوض: فيقال أنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم . أي متخلفين عن بعض الواجبات، ولم يرد ردة الكفر، ولهذا قيده بأعقابهم، لأنه لم يرتد أحد من الصحابة بعده، وإنما ارتد قوم من جفاة الاعراب»^(٢). وهذا المعنى الذي ذكره ابن الأثير هو المقصود فيما ورد في بعض الأحاديث التي رواها علماء الشيعة عن أئمتهم (ع) من أن الناس قد ارتدوا على أعقابهم بعد النبي (ص) بإنكارهم إمامة صاحب الحق الشرعي فيها^(٣)، أي تخلفوا عن هذا الواجب .



(١) وسائل الشيعة: ٥٤٤/١٨.

(٢) النهاية: ٧٦/٢.

(٣) الاختصاص - المنسوب للشيخ المفيد -: ٦.

أما السؤال الثالث فقد تضمنت كتب الفقه وأحكام الشريعة جواباً مفصلاً عليه وضعت فيه النقاط على الحروف - على حد التعبير المعاصر -. وبالنظر إلى أهمية هذا الجانب في توضيح بعض غوامض نصوص الردة الواردة في تاريخ الطبري فإننا نسوق هنا آراء المذاهب الإسلامية بخطوطها الفقهية المختلفة في تحديد ما يصبح المسلم بسببه محكوماً بالارتداد.

١ - الحنفية:

قالوا: «تتحقق الردة بأجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإسلام، كما تتحقق بإنكار ما عُلم من الدين بالضرورة، كإنكار فرضية الصلاة أو الصيام أو الزكاة. ولا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره خلاف ولو كان ذلك رواية ضعيفة، فإذا كان في المسألة وجوه توجب الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتي الميل لما يمنعه»^(١).

٢ - المالكية:

قالوا: «تكون الردة بأحد أمور ثلاثة:

- ١ - إما بصريح القول، كقوله: أشرك أو أكفر بالله.
- ٢ - أو بلفظ يقتضيه، أو كجحدته حكماً معلوماً من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة وحرمة الزنا، أو قال بقدم العالم أو ببقائه، أو شك في ذلك.

(١) موسوعة الفقه الإسلامي: ٢٥٢/٤.

٣ - وإما بفعلٍ يتضمن الارتداد أي يقتضي الكفر ويستلزمه استلزاماً كإلقاء مصحف بقدر^(١).

٣ - الشافعية:

«ضربوا أمثلة لما يكون به المسلم مرتداً فقالوا: إن الارتداد قد يقع بالتلفظ بألفاظ الكفر، وبجحود فرض، أو استباحة محرم^(٢).

٤ - الحنابلة:

قالوا: «من أشرك بالله، أو جحد ربوبيته أو صفة من صفاته أو بعض كتبه أو رسله، أو سب الله أو رسوله، فقد كفر، وكذلك من جحد وجوب عبادة من الخمس، أو جحد تحريم الزنا أو الخمر، أو أنكر حل الحلال كاللحم والخبز، ونحوه من الأحكام الظاهرة المجمع عليها ممن لا يجهلها^(٣).

٥ - الظاهرية:

قالوا: «إن من موجبات الكفر أن يكفر بما بلغه النبي (ص) وصح عنه وأجمع عليه المؤمنون، وقال ابن حزم: إن من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين يكون بهذا الفعل مرتداً له أحكام المرتد كلها^(٤).

٦ - الشيعة الزيدية:

قالوا: «إن الردة عن الإسلام تكون بأحد أوجه أربعة:

(١) و(٢) و(٣) موسوعة الفقه الإسلامي: ٢٥٣/٤.

(٤) موسوعة الفقه الإسلامي: ٢٥٣/٤.

- ١ - إما باعتقاد كفر، نحو أن يعتقد أن الله تعالى ثالث ثلاثة أو أن المسيح أو عزيز هو ابن الله، أو يعتقد كذب النبيّ (ص) في بعض ما جاء به.
- ٢ - إذا أتى بفعل يدل على كفر فاعله من استخفاف بشريعة النبيّ (ص) أو بما أمر الله بتعظيمه.
- ٣ - إظهار لفظ كفر نحو أن يقول: هو يهودي أو نصراني أو كافر بالله وبنيّه مستحل للحرام أو يسب نبياً أو القرآن أو الإسلام.
- ٤ - ومن الرّدة عن الإسلام السجود لغير الله تعالى لقصد تعظيم المسجود له، لا على وجه الإكراه أو السخرية أو الاستهزاء^(١).

٧ - الشيعة الإمامية:

قالوا: «إن الكفر بنيّة، وبقولٍ كفر، وفعل مكفّر:

فالأول: العزم على الكفر ولو في وقت مترقب، وفي حكمه التردّد فيه.

والثاني: كفي الصانع لفظاً، أو المرسل، وتكذيب رسول، وتحليل محرّم بالإجماع كالزنا، وعكسه كالنكاح، ونفي وجوب مجمع عليه كركعة من الصلوات الخمس، وعكسه كوجوب صلاة سادسة يومية. والضابط إنكار ما عُلم من الدين ضرورة، ولا فرق في القول بين وقوعه عناداً، أو اعتقاداً، أو استهزاءً، حملاً على الظاهر.

والثالث: ما تعمده استهزاءً صريحاً بالدين، أو جحوداً له، كإلقاء مصحف أو بعضه في قاذورة قسداً، أو سجود لصنم. وفي حكم الصنم

(١) موسوعة الفقه الإسلامي: ٤ / ٢٥٣ - ٢٥٤.

ما يقصد به العبادة للمسجود له، فلو كان مجرد التعظيم مع اعتقاد عدم استحقاقه للعبادة لم يكن كفراً، بل بدعة قبيحة، لأن الله تعالى لم ينصب السجود تعظيماً لغيره»^(١).



وحيث قد اتضح لنا جلياً من مجموع ما سلف معنى «الإسلام» وما يترتب عليه من نتائج وآثار، ومعنى «الارتداد» وما تتحقق به ردة المسلم من نية أو قول أو فعل، نعود إلى صلب موضوعنا الرئيس فتساءل:

هل وقع بعد وفاة النبي (ص) ما يصح أن نسميه ارتداداً بالمعنى الذي عنته الآيات المباركة والأحاديث الشريفة؟ وهل ينطبق على ذلك الأمر الواقع عنوان من العناوين التي ذكرها الفقهاء سبباً للارتداد؟.

إن الدراسة العميقة الفاحصة لكل نصوص الردّة في تاريخ الطبري ترشدنا إلى أن الاتهام الذي وجهه رواة الطبري إلى جل المسلمين بالارتداد والكفر والرجوع عن الإسلام ناشىء من أحد أمرين:

الأمر الأول - متابعة المتنبئين الذين ادعوا النبوة كذباً وزوراً.

الأمر الثاني - منع الزكاة وهي فرض رئيس من فروض الإسلام.

وحيث إن الحكم بالارتداد لن يصح توجيهه إلى أحد إلا بعد قطع ويقين ومزيد تأكيد واستيثاق، فلا بد لنا من الوقوف بتمهل وتأمل أمام كل واحد من هذين الأمرين، لنرى جوانب الصحة والخطأ في الاتهام المشار إليه، وستكون نصوص الطبري دون غيره هي المرجع المعتمد عليه في عملية الفحص والتدقيق والغربلة، باعتبارها - هي بالذات - موضوع البحث المطروح للنقد والتحليل.

(١) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ٣٣٣/٩ - ٣٣٦.

متابعة المتنبئين

تحاول روايات الطبري أن تؤكد بأن أربعة من الناس قد ادعوا النبوة في تلك الفترة وحصلوا على عدد كبير من الأتباع والمؤيدين، وهم:

أ - الأسود العنسي (ذو الخمار عبهلة بن كعب).

ب - مسيلمة بن حبيب.

ج - طليحة بن خويلد الأسدي.

د - سجاح بنت الحارث بن سويد.

ولزيادة الإيضاح لا بد من أن نقف لحظات أمام كل اسم من هذه الأسماء الأربعة، مستعرضين بروح نقدية محايدة سائر ما أورد الطبري عنه ونسب له من قصص وحكايات وأدوار ومسؤوليات، ليلمس القارئ - معي - بالوجدان والبرهان مدى الصدق أو الكذب في هذا الاتهام:

أ - الأسود العنسي:

روى الطبري جل أخبار الأسود عن سيف بن عمر (٣/١٤٧ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ - روايتان - و ١٨٧ و ٢٢٩ - ثلاث روايات - و ٢٣١ و ٢٣٦ -

ثلاث روايات - و٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤٢ و٢٤٩ و٣١٨ و٣٢٤ و٣٣١)، وهذا السند - كما مر - سند الكذب والتلفيق فلا يصح الاعتماد عليه أو الركون إليه .

كما أخرج الطبري - خلال حديثه عن العنسي - رواية واحدة أسندها إلى ابن حميد (٣/١٤٧)، وقد سلف منا بيان ضعف هذا الرجل وكونه «ليس بثقة» و«رديء المذهب» و«كذاباً» و«كثير المناكير» .

وهناك رواية تتعلق بالأسود وردت مرسلة بدون سند (٣/٣٢٨)، وهي - لإرسالها - فاقدة الشأن والوزن فلا تصلح أساساً لبحث .

وبقيت من مجموع أخبار العنسي رواية أسندها الطبري إلى عمر ابن شبة عن علي بن محمد عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء عن مشيختهم (٣/٢٤٠)، وليس لها أي ارتباط بادعاء النبوة أو الارتداد، بل كل ما فيها أن خبر مقتل العنسي قد وصل المدينة المنورة في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة .

وهذه النصوص - مع كل ما حملته من ضعف ونكران بسبب سندها المشتهر بالكذب - فإن الوقفة الفاحصة على مضامينها تزيدها ضعفاً ونكراناً وإعراضاً وإهمالاً .

إن الطبري يروي أن الأسود قد ادعى النبوة (٣/١٨٦ و٢٣٠) .

ويروي في مكان آخر أنه «كان كاهناً شِعْبَاذا» (٣/١٨٥ و٢٣٦) .

ويروي ثالثاً أنه قد «خرج باليمن» (٣/١٤٧ و١٨٥) أو «وثب» (٣/

١٨٤) .

ولم يتضح لنا الصحيح من كل ذلك، لأن ادعاء النبوة شيء، والكهانة شيء آخر، والتمرد والخروج شي غيرهما! .

وإن الطبري يروي أن الأسود قد خرج على عهد رسول الله (ص) وأنه قد «صفا له ملك اليمن» (٣/١٨٥ و ١٨٦)، وأنه قد قتل قبل وفاة النبي (ص) بفترة وجيزة (٣/١٨٧)، وأن الخبر بقتله قد أتى النبي من السماء فبشر المسلمين بذلك (٣/٢٣٦).

ثم يروي بعد ذلك أن «أول حرب كانت في الردة بعد وفاة النبي (ص) حرب العنسي» (٣/٢٤٢)، وأن خبر مقتله قد وصل المدينة في آخر ربيع الأول (٣/٢٤٠).

فأيهما الصحيح!؟

وإن الطبري يروي أن الأسود قد غلب «على ما بين صهيد - مفازة حضرموت - إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن، وطابقت عليه اليمن . . . ودانت له سواحل من السواحل . . . ثم صنعاء» وإلى نجران (٣/١٨٥).

وإن الواقف على خريطة الوطن العربي يعرف مدى سعة هذه الرقعة وأهميتها، ومدى خطرها على الحجاز وعلى الدعوة الإسلامية المنطلقة من قلب الجزيرة.

ومع ذلك كله فإن النبي - حسب رواية الطبري - قد «حارب هؤلاء المتبئين بالرسول» (٣/١٨٧) لا بالجيش.

ثم مع ذلك كله أيضاً فإن النبي قد هباً جيشه لغزو الروم - بقيادة أسامة بن زيد - على بعد الدار ونأي المسافة. ولو صحت هذه الروايات فإن خطر الأسود وأتباعه المنتشرين في هذه المساحة الشاسعة من الأرض وفي هذه الرقعة الملتفة كالطوق على الحجاز أهم بكثير وإلى أبعد حدود الأهمية من خطر الروم البعيد.

وهكذا يبدو أن روايات الطبري المتعلقة بأخبار الأسود العنسي مرفوضة سنداً ومتناقضة دلالة. وماذا يبقى لدينا من هذه الأسطورة بعد رفض ذلك كله؟!.



ب - مسيلمة:

روى الطبري جل أخبار مسيلمة عن سيف بن عمر (٣/١٤٧ و ١٨٤ و ١٨٧ و ٢٤٢ و ٢٤٩ و ٢٧١ و ٢٨١ - روايتان - و ٢٨٢ و ٢٨٦ - روايتان - و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٣ و ٢٩٤ - روايتان - و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٣١٤)، وهو سند أوهى من بيت العنكبوت - كما مر -.

وأسند الباقي من أخبار هذا الرجل إلى ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق (٣/١٣٧ - ثلاث روايات - و ٣/١٤٦ - روايتان - و ٢٠٧)، وقد سبق منا بيان خلل هذا السند ووهنه فلا نكرر.

وبقيت من أخبار مسيلمة رواية واحدة أوردها الطبري بلا سند (٣/٢٧٣)، وهي لإرسالها لا تصلح للاستدلال أو المناقشة.

ومع كل هذا الوهن الذي صاحب السند فأسقط هذه الروايات عن الاهتمام والاحترام، فإن الاضطراب والتناقض الذي بدا جلياً بين مضمون هذه الأخبار قد أسقط قيمتها كل السقوط.

إن الطبري يروي أن مسليمة قد ارتد وادعى النبوة في حياة النبي (ص) (٣/١٣٨ و ١٤٦ و ١٨٦)، وأنه قد كتب إلى النبي (ص) رسالة يقول فيها: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قریشاً قوم يعتدون»، وأن النبي (ص) قد أجابه:

«من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» (٣/١٤٦)، وأن بني حنيفة قد أصفقت على الإقرار بما يقول مسيلمة - أي ارتدت معه - في حياة النبيّ (ص) (٣/١٣٨) وأن عدد هؤلاء كان «يومئذ أربعين ألف مقاتل» (٣/٢٨١).

ويروي في مكان آخر أن مسيلمة كان قدم إلى المدينة المنورة والتقى بالنبيّ (ص) هو وقومه بنو حنيفة، وأنه كلم وسأل النبيّ فأجابه (ص) بقوله: «لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك» (٣/١٣٧).

ثم يروي في مكان ثالث أن مسيلمة قد قدم إلى المدينة ولم يذهب مع قومه للقاء رسول الله (ص)، ولكن النبيّ أمر له من المال بمثل ما أمر به لأفراد قومه وقال - (ص) - عنه مخاطباً بني حنيفة: «أما إنه ليس بشركم مكاناً، يحفظ ضيعة أصحابه» (٣/١٣٨).

وإذا كان مسيلمة قد ارتد في حياة النبيّ (ص) كما مر فكيف يصح من الطبري أن يروي أن مسيلمة قد توخى وادعى النبوة بعد وفاة رسول الله (ص) (٣/٢٤٢)؟!

والشيء المثير للعجب ما جاء في بعض روايات الطبري من أن مسيلمة بعد ارتداده زعم أنه يضاهي القرآن بسجعه وأنه أحل لقومه الزنا والخمر ووضع عنهم الصلاة، ولكنه مع ذلك كله كان يشهد لمحمد بالنبوة (٣/١٣٨)، وأن مؤذنه كان «يشهد في الأذان أن محمداً رسول الله» (٣/٢٨٣).

ومع كل هذا التهافت والتناقض بين مضمون الروايات وكل ذلك الضعف والطعن بسندها هل نستطيع استخلاص حقيقة تاريخية منها؟ وكيف يكون ذلك؟

هل ارتد مسيلمة في حياة النبي أو بعد وفاته؟

هل اجتمع بالنبي أم لا؟

هل فرض النبي له حقاً في المال ولماذا؟

هل ادعى النبوة أم كان يؤذن بأذان المسلمين ويصلي صلاتهم؟

وإذا كان قد ارتد في حياة النبي وأصفق قومه على الإقرار به والارتداد معه وكان عددهم أربعين ألف مقاتل، فلماذا أمر النبي بتجهيز جيش لحرب الروم ولم يفكر في إرسال من يقوم بتأديب هؤلاء المرتدين، وهم بهذا العدد الضخم وبمواقعهم القريبة من المدينة المنورة؟!.



ج - طليحة:

روى الطبري جل أخبار طليحة عن سيف بن عمر (٣/١٤٧ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ - روايتان - ٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٢٥٦ و ٢٦٠ - روايتان - ٢٦١)، وهو سند سبق منا رفضه جملة وتفصيلاً.

كما أسند روايتين تتعلقان بهذا الرجل إلى ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق (٣/٢٥٦ و ٢٦٦)، وقد مر منا تفصيل القول في ضعف هذا السند وتوهينه.

وتبقى من مجموعة أخبار طليحة رواية واحدة أسندها الطبري إلى هشام بن الكلبي (٣/٢٥٤)، ولا علاقة لها بمسألة الارتداد مطلقاً، وإنما هي خاصة بموضوع الحرب بين طليحة وخالد بن الوليد.

ومع غض النظر عن وهن هذا السند وتفاهته فإن مضمون الروايات

بارز الاضطراب والتناقض، وذلك من جملة الأدلة - أو أهمها - على تأكيد تفاهة هذه الروايات.

إن الطبري يروي أن طليحة قد ادعى النبوة وسجع ببعض الفقرات بزعم الوحي (٣/٢٤٢).

ويروي أن طليحة جاء إلى الخليفة عمر بن الخطاب يبايعه فسأله الخليفة: «ما بقي من كهانتك؟» (٣/٢٦١).

وإن الطبري يروي أن طليحة قد خرج في بلاد بني أسد في حياة النبي (ص) (٣/١٤٧)، وأنه قد «عسكر بسميراء، واتبعه العوام، واستكثف أمره» (٣/١٨٦).

ثم يروي بعد ذلك أنه قد «توحّى» أي ادعى الوحي والنبوة بعد وفاة النبي (ص) (٣/٢٤٢).

والطبري بعد أن يؤكد برواياته ادعاء طليحة النبوة كما مر يروي أن أصحاب طليحة قد أرسلوا رسلهم إلى الخليفة على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فرفض الخليفة هذا العرض (٣/٢٤٤).

ويروي الطبري أن طليحاً قد بايعت طليحة واجتمعت عليه ووقفت على حدود أرضها ترقباً للطوارئ (٣/٢٤٤).

ثم يروي بعد ذلك عن خالد بن الوليد أنه قال لأصحابه وقد رأى ما بهم من الجزع: «هل لكم أن أميل بكم إلى حي من أحياء العرب، كثير عددهم، شديدة شوكتهم، لم يرتد منهم عن الإسلام أحد؟»، فقال له الناس: ومن هذا الحي الذي تعني، فنعم والله الحي هو!؟، قال لهم: طيء» (٣/٢٥٥).

وتبقى الأسئلة الحائرة - على رغم زخم هذه الروايات وجمعيتها - بدون جواب معقول أو حل مقبول.

هل كان طليحة كاهناً أم مدعياً للنبوّة؟
 هل ارتد في حياة النبيّ (ص) أم بعد وفاته؟
 هل كان وأصحابه مرتدين أم من مانعي الزكاة؟
 هل كانت طيء مقرّة بزعم طليحة النبوّة أم بقيت على إسلامها؟
 وإذا كان قد ارتد في حياة النبيّ (ص) «واستكثف أمره» فلماذا لم
 يحاربه النبيّ ولم يرسل جيشاً لتأديبه هو وأصحابه وإرجاعهم إلى الحضيرة
 الإسلامية الموحدة؟



د - سجّاح:

روى الطبري جل أخبار سجّاح عن سيف بن عمر (٣/٢٦٩ - ٢٧٣ و٢٧٥ و٢٨١)، وقد أوضحنا بما لا مزيد عليه سقوط هذا السند عن الاعتبار والاهتمام.

وهناك رواية واحدة أوردها الطبري بدون سند (٣/٢٧٣ - ٢٧٤)، وهي الرواية التي تقص علينا أسطورة اجتماع مسيلمة بسجّاح وما دار في ذلك الاجتماع من قصص الجنس وأراجيزه.

ولما كانت أخبار سجّاح مروية بلا سند أو بسند يرجع إلى سيف بن عمر فإنها محكومة بالإهمال والإعراض الكاملين، ولا يصح للبحث التاريخي الجاد أن يستند إليها بأي وجه من الوجوه.

ومع ذلك كله فإن مضامين هذه الروايات أو الأساطير بادية التناقض والاضطراب، وقديماً قالوا: «الكذاب كثير النسيان».

إن الطبري يروي أن سجّاحاً قد «تنبت بعد موت رسول الله (ص) بالجزيرة في بني تغلب» (٣/٢٦٩).

ثم يروي بعد ذلك بقليل أنها «كانت راسخة في النصرانية، وقد علمت من علم نصارى تغلب» (٢٧٢/٣).

ثم يعود فيروي بعد ذلك أيضاً أن مسيلمة قد أمهر سجاحاً وضع صلاتين مما جاء به محمد: صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجرة (٣/٢٧٤).

وما أدري كيف استطاع الطبري أن يجمع بين هذه المتناقضات؟ هل ادعت سجاح النبوة والوحي أم أنها كانت راسخة في النصرانية؟

وهل تعتبر من المرتدين - أي أنها أسلمت ثم كفرت - أم أنها انتقلت من النصرانية إلى ادعاء النبوة، فلا ارتداد؟.

وهل كان أصحابها مرتدين - أي رجعوا عن الدين إلى الكفر - أم ظلوا مسلمين يقيمون الصلاة، حتى أسقط عنهم مسيلمة صلاتين واستمروا في أداء الصلوات الثلاث الأخرى؟.

وأخيراً وليس آخراً، فهل كانت النظرة العربية للمرأة - يومذاك - تجيز لهذه الآلاف المؤلفة من أبناء القبائل أن يبايعوا امرأة بالنبوة وينتقلوا - بهذه السرعة المذهلة - من مبدأ الواد إلى مرتبة الخضوع والبيعة للمرأة؟.

صحيح، أن الله تعالى قد أعز المرأة بالإسلام وفرض لها كرامتها وشأنها وعزز دورها في بناء الحياة، ولكن المجتمع العربي الذي ما زال ريفه حتى اليوم يمتهن المرأة ولا يمنحها نظرة الاحترام الطبيعي لم يكن في ذلك اليوم بهذه المثابة من تحرر الفكر وعمق الإدراك لتقدير قيمة المرأة على الوجه المطلوب، فضلاً عن تأميرها ومبايعتها على هذا النحو المزعوم.

منع الزكاة

وهل يشكل منع الزكاة ارتداداً وكفراً في المفهوم الإسلامي؟ .
والجواب بكلمة صريحة وقاطعة: كلا .

ولو راجع القارئ كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين لاطمأن
بسلامة هذا النفي وصحته . وحسبنا نظرة نلقيها على بابي وجوب الزكاة
وإثم مانعها في صحيح البخاري ومسلم^(١) لنعلم بأن مانع الزكاة قد
أوعده الله ورسوله بالعذاب المقيم والعقاب الأليم، من دون أن يكون
في البين ما يصرح بالكفر أو الارتداد أو الرجوع عن الإسلام، وذلك
لأن حكم الامتناع عن دفع الزكاة غير حكم إنكار التشريع والوجوب
المفروض .

ومع أن بعض الصحاح قد روى حديثاً نبوياً في الصلاة يقول: «إن
بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٢)، وسواء قلنا بضرورة
تأويل معناه أم لم نقل، فإننا لم نجد مثله في تلك الصحاح في ترك
الزكاة .

(١) صحيح البخاري: ١٢٤/٢ و ١٢٦ وصحيح مسلم: ٧٠/٣ و ٧٤.

(٢) صحيح مسلم: ٦٢/١.

وإذا كان هذا هو الحكم الشرعي في المسألة - وهو كذلك قطعاً -
فبماذا نبرر ما نقرأ في نصوص الطبري مما يدل صراحة على أن حكومة
الخلافة يومئذ قد اعتبرت كل مانع للزكاة أو ممتنع عن دفعها لجباة
الحكومة كافراً ومرتداً وراجعاً عن الإسلام؟! .

لقد روى الطبري في تاريخه (٢٥١/٣): أن مما جاء في كتاب
الخليفة الموجه إلى قبائل العرب ما لفظه: «والداعية الأذان، فإذا أذن
المسلمون فأذنوا كَفُّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم. وإن أذنوا
أسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قُبِلَ منهم» .

وروى الطبري أيضاً (٢٤١/٣): أن الخليفة «قد جاءته وفود العرب
مرتدين، يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة، فلم يقبل ذلك منهم وردهم» .

كما روى أيضاً (٢٤٤/٣): أن هؤلاء الذين يسمون بالمرتدين «قد
بعثوا وفوداً فقدموا المدينة، فنزلوا على وجوه الناس، فأنزلوهم ما خلا
عباساً، فتحملوا بهم على أبي بكر على أن يقيموا الصلاة وعلى ألا
يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقلاً
لجاهدتهم عليه» .

وروى كذلك (٢٥٨/٣): أن هؤلاء «نزلوا على وجوه المسلمين
لعاشر من متوفى رسول الله (ص)، فعرضوا الصلاة على أن يُعفوا من
الزكاة... ثم أتوا أبا بكر... فإنه أبى إلا ما كان رسول الله (ص)
يأخذ، وأبوا، فردهم» .

وروى أيضاً (٢٥٩/٣): أن قرّة بن هبيرة من زعماء بني عامر قال
لعمر بن العاص: «إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة، فإن أنتم
أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا أرى أن
تجتمع عليكم، فقال عمرو: أكفرت يا قرّة؟!»!! .

وروى أيضاً (٣/٢٦٤): أن خالداً كان يصرف همته وجهده نحو «تتبع الثأر، وأخذ الصدقة، ودعاء الناس وتسكينهم»..

وروى في خبر الفجاءة (٣/٢٦٥): أنه خرج يستعرض الناس: المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم، ويصيب من امتنع منهم».

وهكذا يبدو من هذه النصوص وما كان على شاكلتها أن المشكلة - في واقعها - امتناع الناس عن دفع الزكاة لعمال الحكومة، واعتبار هذا الامتناع كفراً وردة!!، من دون أن يكون في تلك الروايات ما يدل على إنكار وجوب الزكاة وتشريعها الإلهي.

ولأن المسألة في واقعها امتناع عن دفع الزكاة وليس إنكاراً للوجوب فقد أنكر الخليفة عمر بن الخطاب حرب هؤلاء الممتنعين، ولم يجد في هذه الحرب ما يبررها قرآنيًا وما يصححها سنة وسيرة، ولكنه عاد فترجع عن موقف الإنكار وأقرَّ مشروعية هذه الحرب، فقد روى البخاري والترمذي بسنديهما قالا:

«قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله (ص): أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ومن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟. قال أبو بكر: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الزكاة والصلاة، وإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله (ص) لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»^(١).



ولتأكيد هذه الحقيقة وتوضيح أنها كانت امتناعاً وليست إنكاراً،
نورد النصوص الآتية مستلة من روايات الطبري وأقاصيصه عسى أن
يكون فيها ما يقنع المتشككين والمترددين:

لقد روى الطبري خلال أخبار من سمّاهم المرتدين: «وقدمت
هوازن رجلاً وأخّرت رجلاً، أمسكوا الصدقة..» (٢٤٢/٣) أي لم
يرسلوها إلى المدينة المنورة. ولم يذكر الراوي أسباب هذا الإمساك،
وهل كان نتيجة عدم الاعتراف بشرعية الحكم القائم، أو بدافع الانتظار
ريشما يتجلى واقع أمر المسلمين أكثر فأكثر، أو بسبب الرغبة في التمرد
على الدولة؟.

وروى الطبري أيضاً: أن قيساً بن عاصم - وهو أحد عمال النبي
(ص) على صدقات بني تميم - «قسّم الصدقات التي كانت اجتمعت إليه
في المقاعس والبطون» (٣٠٥/٣) وقريب منه في (٢٦٨/٣). وتقسيم
الصدقات صريح في إقرار هؤلاء بوجوب الزكاة، ولكنهم فضلوا توزيعها
على المستحقين منهم.

كما روى تحت عنوان (ذكر خبر حضرموت في ردتهم) وبعد إيراد
بعض التفاصيل - وكلها من أحاديث سيف بن عمر طبعاً!! -: أن زياداً بن
لييد البياضي عامل حضرموت «أعجبه بكرة (أي ناقة) من الصدقة، فدعا
بنار فوضع عليها الميسم (ميسم إبل الزكاة)، وإذا الناقة للعداء بن حجر
وليست عليه صدقة، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنّها غيرها،
فقال العداء: هذه شذرة باسمها، فقال الشيطان (وكان أخو العداء اسمه
الشيطان): صدق أخي فإني لم أعطكموها إلا وأنا أراها غيرها، فأطلق
شذرة وخذ غيرها. فرأى زياد أن ذلك منه اعتلال، واتّهمه بالكفر
ومباعدة الإسلام وتحري الشر»، ثم كثر الأخذ والرد بين الطرفين

واستنفر كل منهما أصحابه ومن معه، وانتهى بهم الأمر إلى الحرب وإراقة الدماء (٣/ ٣٣٢ - ٣٣٣).

وهكذا تكون ردة أهل حضرموت عبارة عن ناقة أعجبت العامل فكانت سبباً لانتهام هؤلاء المسلمين «بالكفر ومباعدة الإسلام»!، وإلى كثير من أمثال ذلك.



وعلى كل حال!

فإننا بعد التدقيق في كل نصوص الطبري المعنيّة بأخبار الردة لم نجد أي نص صريح يدل على إنكار تشريع الزكاة من قبل هؤلاء المتهمين، كي يكون ارتداداً بالمفهوم الإسلامي للارتداد.

كما أننا لم نجد أي مبرر ديني لاعتبار مانع الزكاة مرتدّاً أبداً. بل إن الإمام أبا حنيفة قد ذهب إلى أن وجوب الزكاة غير فوري، بل هي «على التراخي، فيجوز التأخير... ثم قال: لو مات قبل أدائها تسقط بموته»^(١).

ولذلك فإننا لا نرى وجهاً لما عبرت عنه السلطة يومذاك من اعتبار كل فرد من هؤلاء مرتدّاً وراجعاً عن الإسلام كما في الطبري (٣/ ٢٥١).

ولقد أصاب الشيخ علي عبد الرازق كبد الحقيقة حين قال عن هؤلاء المسلمين الذين سُموا في لغة التاريخ بالمرتدين: أنهم «رفضوا الإذعان لحكومة أبي بكر، كما رفض غيرهم من جلة المسلمين، فكان

(١) المنحول للغزالي: ٥٠١.

بديهيّاً أن يمنعوا الزكاة عنه لأنهم لا يعترفون به ولا يخضعون لسلطانه
وحكومته»^(١).

وهذا هو الحق الذي ليس من حق غيره.



انتهينا في الصفحات السابقة إلى نتيجة ثابتة خلاصتها: أن نصوص الردة كما وردت في تاريخ الطبري مرفوضة جملة وتفصيلاً.

مرفوضة من حيث السند، بما حوى هذا السند من كذابين ووضّاعين ومجهولين.

ومرفوضة من حيث الدلالة، بما حملت تلك النصوص من تناقض واضطراب وتهافت وتضاد.

كذلك لم نعثر خلال البحث على أي سند وثيق لقصص «المتبئين» وأساطيرهم المتداولة.

كما لم نجد دليلاً يطمئن إليه على صحة روايات «منع الزكاة» وتبرير قتل مانعيها لو امتنعوا عن الدفع.

وإذن:

فماذا حدث يومذاك؟ ولماذا تلك الحروب؟، وما هو التفسير الصحيح لتلك الحوادث والأحداث؟.

ولنعد إلى الطبري نفسه لنبحث عن جواب هذه الأسئلة بين أكداس رواياته ونصوصه وأخباره المعننة المطنطنة.

يروى الطبري (٢٥٣/٣): أن طياً قالت لعدي بن حاتم: «لا نبايع

أبا الفصيل أبداً، فقال: لقد أتاكم قوم ليبيحن حريمكم، ولتكننه بالفحل الأكبر».

ويروي (٢٥٥/٣): أن أسداً وفزارة كانت تقول: «لا والله! لا نباع أبا الفصيل أبداً».

ويروي (٢٥٧/٣): أن عيينة بن حصن قام خطيباً في غطفان فقال: «والله لئن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع بيتاً من قريش، وقد مات محمد، وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه».

ويروي (٢٥٩/٣): أن عدداً من وجهاء المسلمين كانوا يقولون ذات يوم: «ما أخوفنا على قريش من العرب وأخلقهم أن لا يقرؤا بهذا الأمر».

ويروي (٢٧٩/٣): «إن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة فاقتلوا واحرقوا».

ويروي (٣٠٣/٣): أن ربيعة قد اجتمعت «بالبحرين وارتدت، فقالوا: نرد الملك في آل المنذر، فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر».

ويروي (٣٣٧/٣): أن الخليفة أبا بكر قد كتب «إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة: فإن ظفرتم بالقوم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرية إن اخذتموهم عنوة أو ينزلوا على حكمي».

ويروي (٢٢٥/٣): أن الناس قالوا للخليفة أبي بكر عندما أراد إنفاذ جيش أسامة: «إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك».

وتكون خلاصة هذه الروايات وما كان على شاكلتها: أن سبب تلك الحروب والأحداث: «رفض لبيعة» «نفرة من تسلط قريش» «نقمة» «تمرد على حكم» «انتقاض بحاكم».

وإن غرض الدولة الرئيس من كل تلك الحروب والأحداث: هو «النزول على حكم الخليفة».

وليس في ذلك كله أي معنى من معاني الكفر أو الارتداد!

ولهذه الأسباب والنتائج ذهب العالم الأزهرى المعروف الشيخ علي عبد الرازق إلى اعتبار تلك الحروب حروباً سياسية لا علاقة لها بالدين، وفي ذلك يقول:

«لسنا نتردد لحظة في القطع بأن كثيراً مما وسموه حرب المرتدين في الأيام الأولى من خلافة أبي بكر لم يكن حرباً دينية، وإنما كان حرباً سياسية صرفة، حسبها العامة ديناً وما كانت كلها للدين. ليس من عملنا في هذا المقام أن نبين لك تلك الأسباب الحقيقية التي كانت في الواقع مثاراً لكثير من حرب الردة... ولكن يخيل إلينا أنك قد تظفر ببعض الأسباب الأساسية المهمة إذا أنت دقت النظر في أنساب وقبائل الشائرين على أبي بكر وعرفت صلتهم من قريش». «وما كان هؤلاء من غير شك مرتدين، وما كانت محاربتهم لتكون باسم الدين، فإن كان ولا بد من حربهم فإنما هي السياسة».

«كان إذن نزاع غير ديني... كان نزاعاً في ملوكية ملك، لا في قواعد دين ولا في أصول إيمان».

ثم لخص الشيخ عبد الرازق كل أفكاره بهذا الخصوص بقوله:

«كم نشعر بظلمة التاريخ وظلمه كلما حاولنا أن نبحث جيداً فيما

رواه لنا التاريخ عن أولئك الذين خرجوا على أبي بكر، فلقبوا المرتدين، وعن حروبهم تلك التي لقبوها حروب الردة، ولكن قبساً من نور الحقيقة لا يزال ينبعث من بين ظلمات التاريخ^(١).

والشيء الملفت للنظر والمثير للعجب أن نصوصاً كثيرة أوردها الطبري تحدثنا عن امتناع كثير من الصحابة عن «البيعة»، ومع ذلك فلم يطلق عليهم اسم الارتداد، ويبدو أن الظروف الداخلية للمدينة المنورة لم تكن تساعد على اتهام هؤلاء «الممتنعين» بالارتداد، ولعل من جملة تلك الظروف خشية تمزق الغلاف الذي غلفت به حركات المتمردين في أطراف الدولة الإسلامية بما كان يطلق عليهم من اسم «الكفر» و«الارتداد».

إن الطبري يروي - مثلاً -:

«ثم قال أبو بكر... فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً» (٢٠٢/٣).

«أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلياً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذه» (٢٠٢/٣).

وفي رواية أخرى عن تخلف علي والزبير: «فانطلق إليهم عمر، فجاء بهما تعباً، وقال: لتبايعان وأنتما طائعان، أو لتبايعان وأنتما كارهان» (٢٠٣/٣).

«فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال: ... وإنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه (ص) أن علياً والزبير ومن معهما

(١) الإسلام وأصول الحكم: ١٩٣ - ١٩٧.

تخلفوا عنا في بيت فاطمة، وتخلفت عنا الأنصار بأسرها» (٢/٣٠٥).
 «قال معمر: فقال رجل للزهري: أفلم يبایعه علي ستة أشهر؟،
 قال: لا ولا أحد من بني هاشم» (٣/٢٠٨).
 «لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل! إنما
 هي بنو عبد مناف» (٣/٢٠٩).

ومع كل هذه النصوص التي يكثر ورودها في تاريخ الطبري فإنه
 يخرج عن سيف بن عمر (الكذاب المار الذكر) قوله: «حدثنا الوليد بن
 جميع الزهري قال: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: أشهدت وفاة
 رسول الله (ص)؟ قال: نعم، قال: فمتى بويح أبو بكر؟ قال: يوم مات
 رسول الله (ص) كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة، قال:
 فخالف عليه أحد؟ قال: لا إلا مرتد أو من كاد أن يرتد... قال: فهل
 قعد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير أن
 يدعوه» (٣/٢٠٧).

وهنا يقع الباحث المحقق في غمرة الحيرة فلا يهتدي إلى
 المخرج.

أيصدّق سيف بن عمر (وهو من هو) عندما يروي تتابع المهاجرين
 على البيعة من غير دعوة، وعدم مخالفة أحد إلا المرتد أو من قد
 كاد؟!.

أو يصدق الخليفة عمر بن الخطاب وهو يقول: أن علياً والزبير
 ومن معهما (وهم من المهاجرين بلا أشكال) قد تخلفوا عن البيعة،
 وتخلفت الأنصار بأسرها، وأنه اضطر إلى أن يقول: «والله لأحرقن
 عليك أو لتخرجن إلى البيعة»؟!.

وهكذا ضاعت حقائق التاريخ وسط أكداص الأضاليل والأكاذيب.

ويحسن بنا - لزيادة الايضاح - أن نروي للقارىء الكريم مثلاً عملياً واحداً من أمثلة العمليات العسكرية التي شهدتها الساحة العربية يومذاك باسم الردة:

مالك بن نويرة، عربي عريق المحتد، ومسلم صلب العقيدة، وصحابي صحيح الصحبة، وقد ولاه رسول الله (ص) صدقات قومه وجعله عاملاً من قبله على بني يربوع^(١)، وذلك ما لم يتنازع فيه اثنان.

وعندما رفض هذا الصحابي الخضوع للحكم الجديد - بعد وفاة النبي (ص) - ساق خالد بن الوليد الجيش لإخضاعه، وأسفر اللقاء عن مقتل مالك وجمع غفير من بني قومه بزعم كونهم مرتدين!.

وعلى الرغم من أهمية هذه الحادثة الدامية ومن صداها الكبير في التاريخ الإسلامي فإن الطبري لم يجد مصدراً موثقاً يروي عنه تفاصيل المأساة سوى المحدث الصادق! الأمين! سيف بن عمر (٣/٢٦٨ - ٢٨٠).

ومع كل محاولات سيف في الدس والتشويه والافتراء على هذا الرجل المسلم فقد فلتت من مزاعمه جملة تقول: أن الخليفة أبا بكر «ودى مالكا، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه» (٣/٢٧٨).

وإنها لجملة ذات معان وأبعاد لمن أراد سبر غورها بإمعان، ولكن الطبري قد مر بها مرور الكرام فلم يقف عندها وقفة المتأمل، ولم يتساءل - كما هو المنتظر - عن المبرر الشرعي لدفع الدية إذا كان مالك مرتداً عن الإسلام كما ادعى المدعون!.

وهل يلتئم قيام الخليفة بدفع دية مالك مع روايات سيف بكل ما حملت من جلبة وضوضاء؟!.

(١) تاريخ الطبري: ٣/١٤٧ و٢٦٨.

وهل ينتظر منا في موقف كهذا أن نصحح عمل الخليفة أو نصدق مزاعم راوٍ اشتهر بالكذب والوضع والتلفيق كما مر بيانه بالتفصيل؟! .

وإذا كانت روايات سيف عن فاجعة ابن نويرة صادقة ومطابقة للحقيقة فلماذا يقول الخليفة عمر بن الخطاب: عدو الله (يعني خالد ابن الوليد) عدا على امرئ مسلم (يعني مالكا) فقتله ثم نزا على امرأته» (٣/٢٨٠).

ولماذا شهد الصحابي المعروف أبو قتادة الحارث بن ربيعي بإسلام مالك و«عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها» (٣/٢٨٠).

ولماذا؟ ولماذا؟.

وقضية واحدة - هي قضية مالك - تغنينا عن سرد القضايا الأخرى ولفلفة دوافعها وأسبابها وما أحاط بكل واحدة منها من ملاحظات ومضاعفات وما يتراقص حولها من علامات الاستفهام.



وخلص القول:

إن النظرة الموضوعية المعمقة لكل نصوص الردة في تاريخ الطبري تؤكد أن هناك «حقيقة» ثابتة أراد لها الرواة والمؤرخون الضالعون في ركاب الحكام والسلاطين أن تضع، ولكنها - على رغم كثافة التضييب - لن تخفى على المؤرخ الفاحص المدقق، إذ سرعان ما تتجلى له واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

إنها «الحقيقة» التي نستطيع إيجازها فيما يلي:

«حاكم» يتربع على كرسي الحكم، فيطلب من الناس «البيعة» فيرفض الناس ذلك (لأي سبب من الأسباب)، فلا يجد وسيلة للبقاء والشرعية سوى «إخضاع» هؤلاء «الرافضين». وليس من سبيل للإخضاع سوى القوة، ولا بد من مبرر يصح استعمال القوة ضد هؤلاء، وإذن: فليكن هؤلاء مرتدين ليصح إشهار السيف عليهم وإخضاعهم عنوة، وهكذا كان.

وبذلك يتضح واقع الأمر جلياً لكل ذي عينين، وإنه بكلمتين: «رفض الخضوع للحاكم» على حد تعبير الدكتور ممدوح حقي، وليس رفضاً لأحكام الإسلام ولا خروجاً على حدود الشريعة ولا ارتداداً عن دين الله القويم وصراطه المستقيم.

وعلى الرغم من ذلك، فهناك من يقول: آمِنُوا بهذا كله، فهذا هو تاريخنا العربي الزاهر!

ولكني أقول:

اكفروا بهذا كله، ليكون تاريخنا العربي زاهراً حقاً، ومشرقاً حقاً، ومدعاة للفخر والاعتزاز.

وإذا كانت روايات «الردة» في المصادر الأخرى - غير الطبري - من هذا الوزن وعلى هذه الشاكلة، وكل مضامينها كهذه المضامين، فلا غرابة لو سمعنا من يشكك بكل هذه الحوادث وبأسماء المتنبيين وبأكثر ما ارتبط بالموضوع من أطراف، ومن يعتبرها من نسج الأوهام وخلق الخيال ولم تعش على الأرض لحظة من الزمن وفي أي يوم من أيام الدنيا.

وما أكثر المختلقين والمختلقين في التاريخ وعلى مرّ العصور.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.



الأرقام العربية

مَوْلدها ، نشأتها ، تطورها

أحسَّ الإنسان بالحاجة إلى العدِّ منذ أوائل عهده بالعيش على سطح هذه الأرض، وزاد إحساسه بالحاجة إليه منذ تجاوزت شؤونه الحيوية حدودها البدائية الأولى وأصبح له من الأخذ والعطاء والتعامل والارتباط بالآخرين ما لا بدَّ فيه من حساب وتعداد.

وهكذا وضع الحجر الأساس لعلم الحساب في هدى هذه الحاجة الماسة، وبدأت مسيرته الطويلة مواكبة مسيرة الإنسان في تاريخه المديد العريق.

ويُعدُّ البابليون - كما يروي الباحثون - في مقدمة الأمم القديمة التي عنيت بهذا العلم وأولته ما يستحق من رعاية وجهد، وإن من نتائج اهتمامهم هذا وضع عدد من القواعد والأنظمة والضوابط الحسابية، على نحو أثار إعجاب المعنيين وإكبارهم، خصوصاً بعد أن ثبت - بفضل التنقيبات المستمرة وما أسفرت عنه من حقائق ومعلومات - أنهم «كانوا يعرفون شيئاً من المتواليات العددية والهندسية، وأنهم استعملوا النظام الستيني، وكانوا يعرفون شيئاً عن النسبة والتناسب»^(١).

(١) تقدم العرب العلمي في الرياضيات والفلك: لقدري حافظ طوقان: ٢٨ - طبعة القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

ثم جاء من بعدهم - وربما كان في عصرهم كما قيل - أولئك المصريون القدامى الذين عنوا بهذا العلم أيضاً وأعطوه ما يحتاج من الجهد والجدّ، وقد وجد العلماء في بردي أحميس الذي يرجع تاريخه إلى سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد «معادلة الدرجة الأولى ذات المجهول الواحد» ورمزاً خاصاً «للكمية المجهولة كالحال اليوم في علم الجبر» و«ما يدل على استخدام المعادلات»^(١).

ولمّا ازدهرت المعرفة في بلاد اليونان كان لعلم الحساب نصيب من هذا الازدهار بلا ريب، وكان اليونانيون قد «أخذوا كثيراً عن المصريين، وكانوا على اتصال بالبابليين»، وكان من آثار ذلك أنهم «قد زادوا على ما أخذوا وأضافوا إضافات مهمة»^(٢).

وكذلك كان الهنود في صلتهم بهذا العلم، فقد أدلوا بدلوهم وشاركوا الفكر الإنساني اهتمامه ونشاطه في إثراء هذا الجانب من جوانب المعرفة بما أمكنهم إضافته إليه من الجديد والطريف، ويذكر المؤرخون بكل تقدير واحترام اسم الرياضي الهندي (أريا بهاتا) الذي سطع نجمه في القرن الخامس الميلادي، كما يذكرون بالتقدير نفسه (برهما جوبتا) من أعلام القرن السابع الميلادي^(٣).

و«لعل أبرز شيء قام به الهنود في الرياضيات نظامهم العشري في الترقيم»^(٤)، ذلك النظام الذي يمكن وصفه بالثورة أو الطفرة في علم

(١) مقدمة كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي: لعلي مصطفى مشرفة وأحمد مرسي بدر: ٢ - طبعة القاهرة ١٩٦٨م.

(٢) تقدم العرب العلمي: لطوقان: ٣٠.

(٣) مقدمة كتاب الجبر والمقابلة: ٧ - ٨.

(٤) تقدم العرب العلمي: ٣٥.

الحساب، ولكنهم - مع إبداعهم هذا - لم يستطيعوا الاتفاق على شكل معين للأرقام المتداولة بينهم، «فكان لديهم أشكال متعددة للأعداد»^(١). أما العرب القدامى فلم يكونوا أقل التفاتاً لهذا الأمر من غيرهم، ولكننا لم نجد من أخبارهم في هذا الصدد ما يسبق تاريخ ظهور الخط المعروف بـ «المُسند» في حدود المائة العاشرة قبل ميلاد السيد المسيح (ع) على وجه التقريب. والشواهد الباقية مما كتب بهذا الخط أو القلم ليست كافية في إبراز الملامح العلمية التفصيلية، لأن الباحثين لم يعثروا حتى اليوم على نص يحمل علامات كسور الأعداد؛ أو يدل على استعمال علامات خاصة بالجمع أو الطرح أو القسمة أو الضرب؛ أو علامات للتربيع أو للجذور، وأمثال ذلك من العلامات المستعملة في الرياضيات^(٢). غير أن هذا لا ينفي القول بالعناية التي أولوها هذا الجانب من جوانب المعرفة، وحسبنا دلالة على ذلك استعمالهم صوراً خاصة بالأرقام في كتاباتهم تعبيراً عن الأعداد بدلاً من استعمال الكلمات في التعبير عنها.

ونورد فيما يأتي جريدة بتلك الأرقام^(٣) التي استعملها العرب في ذلك التاريخ البعيد:

(١) المصدر نفسه: ٣٥.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: للدكتور جواد علي: ٢٢٦/٨ - طبعة بيروت ١٩٧١م.

(٣) نقلنا الأرقام من كتاب المفصل المقدم ذكره: ٢٢٧/٨ - ٢٢٨.

$00 = 1$	$1 = 1$
$100 = 2$	$11 = 2$
$1100 = 3$	$111 = 3$
$11100 = 4$	$1111 = 4$
$111100 = 5$	$11111 = 5$
$1111100 = 6$	$111111 = 6$
$11111100 = 7$	$1111111 = 7$
$111111100 = 8$	$11111111 = 8$
$1111111100 = 9$	$111111111 = 9$
$11111111100 = 10$	$0 = 10$
$000 = 11$	$10 = 11$
$0000 = 12$	$110 = 12$
$0 = 13$	$1110 = 13$
$00 = 14$	$11110 = 14$
$000 = 15$	$111110 = 15$
$0000 = 16$	$1111110 = 16$
$00000 = 17$	$11111110 = 17$
$000000 = 18$	$111111110 = 18$
$0000000 = 19$	$1111111110 = 19$
$00000000 = 20$	
$000000000 = 21$	
$0000000000 = 22$	
$00000000000 = 23$	
$000000000000 = 24$	
$0000000000000 = 25$	
$00000000000000 = 26$	
$000000000000000 = 27$	
$0000000000000000 = 28$	
$00000000000000000 = 29$	
$000000000000000000 = 30$	
$0000000000000000000 = 31$	
$00000000000000000000 = 32$	
$000000000000000000000 = 33$	
$0000000000000000000000 = 34$	
$00000000000000000000000 = 35$	
$000000000000000000000000 = 36$	
$0000000000000000000000000 = 37$	
$00000000000000000000000000 = 38$	
$000000000000000000000000000 = 39$	
$0000000000000000000000000000 = 40$	
$00000000000000000000000000000 = 41$	
$000000000000000000000000000000 = 42$	
$0000000000000000000000000000000 = 43$	
$00000000000000000000000000000000 = 44$	
$000000000000000000000000000000000 = 45$	
$0000000000000000000000000000000000 = 46$	
$00000000000000000000000000000000000 = 47$	
$000000000000000000000000000000000000 = 48$	
$0000000000000000000000000000000000000 = 49$	
$00000000000000000000000000000000000000 = 50$	

ويقول الدكتور جواد علي في شرح هذه الأرقام وتحليلها:

«يُعَبَّرُ عن العدد من الواحد إلى الأربعة بخطوط عمودية، فيرمز الخط العمودي الواحد عن (الواحد)، ويرمز الخطان العموديان المتوازيان عن الرقم (٢)، وإذا أرادوا كتابة الرقم (٣) وضعوا ثلاثة خطوط عمودية متوازية للدلالة عليه، أما الرقم (٤) فيمثل بأربعة خطوط عمودية متوازية. وأما الرقم (٥) فيرمز عنه بالحرف (خ) الذي هو الحرف الأول من كلمة (خمسة). وإذا أرادوا الإشارة إلى الرقم (٦) وضعوا خطاً عمودياً على الجانب الأيسر لحرف الخاء... وإذا أرادوا الرقم (٧) وضعوا خطين عموديين على الجانب الأيسر للحرف خمسة... وإذا أرادوا الرقم (٨) وضعوا على الجانب الأيسر من الحرف خاء ثلاثة خطوط... أما الرقم (٩) فيتكون من مجموع رقم (٥) الذي يرمز عنه الخاء ومن خطوط عمودية أربعة. وأما الرقم (١٠) فيرمز عنه بحرف العين الذي يمثل الحرف الأول من كلمة عشرة. وأما الرقم (١٠٠) فيرمز عنه بالحرف الأول من كلمة مئة؛ أي بحرف الميم. وأما الرقم (١٠٠٠) فرمز عنه بالحرف (ألف) أي بالحرف الأول من الكلمة أيضاً. فيلاحظ من هنا أن العرب الجنوبيين استعملوا الحروف الأولى من أسماء بعض الأرقام عوضاً عن الأرقام نفسها.

«والظاهر أن استعمالهم حرف الخاء مقام العدد (٥) جعلهم يحارون بعض الحيرة في التعبير عن العدد (٥٠) الذي يبدأ مثل العدد (٥) بحرف الخاء، فتخصيص هذا الحرف بالعدد (٥) جعل من غير الممكن تخصيصه بالعدد (٥٠) كذلك. ولما كان من الصعب كتابة الـ (٥) عشر مرات للتعبير عن العدد (٥٠)... فكروا في حل آخر... وقد وجدوا ذلك الحل من حقيقة العدد (٥٠) الرياضية، فالعدد (٥٠) هو نصف الـ (١٠٠) كما هو معلوم، ولما كان حرف الميم يرمز عن المئة،

والمئة هي حاصل جمع خمسين مع خمسين . . . ولما كان حرف الميم في المسند هو على شكل خط عمودي يرتكز عليه مثلثان قاعدتهما ملتصقة على ذلك العمود، فإن كل مثلث من ذينك المثلثين يعبر في الواقع عن الرقم (٥٠)، فهدهم تفكيرهم هذا إلى رفع المثلث الأسفل ليبقى مثلث واحد هو المثلث الأعلى مرتكزاً على الخط العمودي، ليعبر عن قيمته المتبقية وهي خمسون، وصار هذا الرمز الذي هو نصف حرف الميم رمزاً عندهم للعدد (٥٠).

«وأما الأعداد التي تلي العشرة فيبدأ بها بحرف العين أولاً ومعناه عشرة، ثم تليه بقية الزيادة أي مقدار زيادة ذلك العدد عن العشرة»^(١).

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢٢٢/٨ - ٢٢٣.

وعندما شعر العرب بالحاجة الملحة إلى الحساب - بعد نزول القرآن الكريم وانتشار الرسالة الإسلامية وقيام الدولة الكبرى ذات التنظيم الواسع والبناء الشامل - لم يكن لديهم ما يرمزون به إلى الأعداد، لبُعد العهد بـ «المسند» حروفه وأرقامه؛ وانقطاع العلاقة بكل ما يؤول إليه. فبادروا بادىء بدء إلى إعطاء حروفهم الأبجدية قيمةً حسابية معينة، يستعينون بها على قضاء حوائجهم وضبط تواريخهم وتسهيل مهماتهم، فكانوا يرمزون إلى الواحد بحرف الألف وإلى الاثنين بحرف الباء وإلى الثلاثة بحرف الجيم وهكذا وأطلقوا على ذلك اسم «حساب الجُمَّل».

وبفضل من الروابط العقيدية التي وَّحدت هذه الرقاع الشاسعة من آسية وأفريقية خلال قرن واحد من الزمان، بدأت تلك الشعوب تعزز تقاربها وتوثق تعارفها، وأصبح لعاصمة المسلمين الجديدة (بغداد) - منذ أواسط القرن الثاني من الهجرة - من سمو الشأن وقوة الجذب ما دفع رجال الفكر والحكم والصناعة والتجارة من أبناء هذه الشعوب إلى زيارتها والوقوف على ما تضمه جوانحها من علم ومعرفة وتقدم وتحضر، وقد وصلت إلى هذه العاصمة المجيدة من طريق هذا التزاور والتمازج معارف تلك الشعوب وحضاراتها، وكان من جملة علم الحساب.

وعلى الرغم من جهلنا بتاريخ محدد لانتشار الأرقام والعمليات الرياضية في العالم الإسلامي يحدثنا أحد الباحثين عن وصول «أجزاء من

كتاب وضعه راهب سرياني هو سويرس سييخت سنة ٦٢٢م، وهو في موضع من كتابه ينحي باللوم على قومه لشدة إعجابهم بكل ما هو روماني. وفي معرض التدليل على أن لدى غير الرومان أيضاً ما يستحق الإعجاب يذكر الراهب أن الهند بتسعة أرقام فقط يستطيعون أن يكتبوا أي عدد كائناً ما كان. ومن هذا نستطيع أن نستنتج أن الأرقام الهندية قد بدأت تتسرب أخبارها إلى الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي^(١).

وإذا كان معنى ذلك أن أصول هذا العلم قد اقتبست في الأساس من الهنود، فمن الجدير بالملاحظة أننا لم نعثر على أية إشارة لكاتب أو حاسب هندي ولا على أي لفظ سنسكريتي في مصطلحاته، في حين نجد العرب في نقلهم علم الفلك الهندي نقلوا معه بعض الألفاظ السنسكريتية وأوردوا أسماء عدد من الفلكيين الهنود. ويعلل الدكتور أحمد سعيدان ذلك: بأنه «لعلّ العرب لُقنوا هذا العلم مشافهة من هنود يقيمون بين ظهرانيتهم ويتكلمون العربية مثلهم»^(٢).

ومهما يكن من أمر فإن المستفاد من مجموع النصوص التاريخية أن العرب قد استحسنا ما وصلهم من الهنود في الحساب والرياضيات ووجدوا فيه ما يستأهل الاهتمام بل الاقتباس، فاقتبسوا منه ما رأوا فيه النفع والفائدة، وكان في طليعة ذلك نظام الترقيم، «إذ رأوا أنه أفضل من النظام الشائع بينهم - نظام الترقيم على حساب الجُمَّل»^(٣).

(١) مقدمة كتاب «جوامع الحساب للطوسي» للدكتور أحمد سعيدان، مجلة الأبحاث

البيروتية، السنة ٢٠، الجزء ٢، حزيران ١٩٦٧م، ص ١٠٣.

(٢) المصدر المتقدم الذكر: ١٠٤.

(٣) تقدم العرب العلمي: ٣٨.

وترجح الروايات التاريخية التي بأيدينا أو تؤكد بما هو أكثر من الرجحان أن شكل الأرقام قد أخذه العرب من الهنود كما أخذوا نظام الترقيم. ويكفينا مؤونة سرد النصوص والتطويل فيه أن نشير إلى أن المؤرخ اليعقوبي قد نسب وضع هذه الأرقام لأحد ملوك الهند^(١)، وأن الإقليدسيّ سمّاها «أحرف الهند»^(٢)، وأن ابن النديم عزاها إلى السند^(٣)، وأن ابن الياسمين قد عدّ حساب الغبار في جملة «أعمال أهل الهند»^(٤)، وأن نصير الدين الطوسي ذكر أنها «منسوبة إلى الهند»^(٥).

وقد أصبح ذلك من الحقائق المسلّمة التي لا تحتاج إلى مزيد بحثٍ أو بيان.

ولكن الجانب الذي الذي أشغل عدداً من الباحثين والمعنيين ولم يتفقوا على نتيجة قطعية فيه حتى اليوم هو السؤال عن ذلك الشكل الخاص الذي أخذه العرب أو رسموا به أرقام الهنود؟.

ويذكر المستشرق فيفري أن الهنود كانت لديهم عدة طرق في الترقيم: منها الطريقة البرهمية التي يوجد فيها «لكل اسم من أسماء الأعداد إشارة خاصة، والأعداد الصغرى تكتب على اليمين والكبرى على اليسار، وأغلب هذه الإشارات العددية تشبه الأحرف... وهذا

(١) تاريخ اليعقوبي: ٦٦/١ - طبعة النجف ١٣٥٨هـ.

(٢) كتابه «الفصول في الحساب الهندي»: ٣٨٦ - طبعة عمان ١٩٧٣م.

(٣) كتابه «الفهرست»: ٢٠ - طبعة طهران ١٣٩١هـ - ١٩٧١م -.

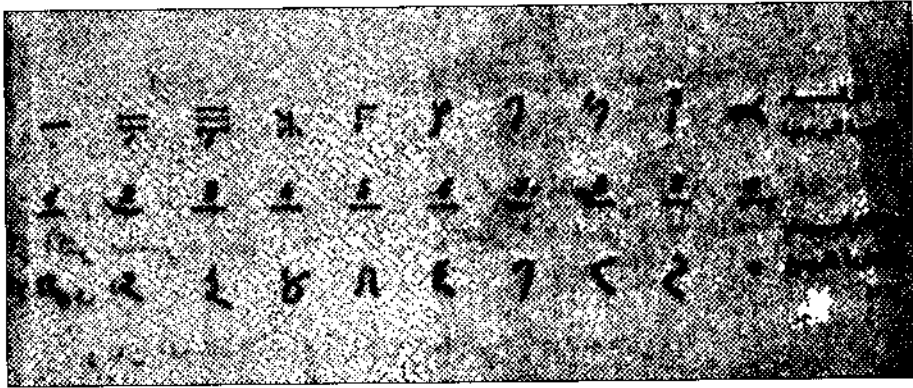
(٤) كتابه «تلفيح الأفكار»، وقد نشرت صفحاتان منه في مجلة اللسان العربي المغربية، المجلد ١٠، الجزء ١/١٩٧٣م، ضمن بحث عنوانه «دليل جديد على عروبة الأرقام المستعملة في المغرب العربي» بقلم أبي فارس، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٥) كتابه «جوامع الحساب» المنشور في مجلة الأبحاث البيروتية بتحقيق أحمد سعيدان، السنة ٢٠، الجزء ٢، حزيران ١٩٦٧م، ص ١١٤.

النظام تبسّط فيما بعد وتحسن... ولكن لم يكن في نظامهم إشارة للصفّر.

ويضيف إلى ذلك قائلاً:

ثم توصلوا «فيما بعد إلى نظام تعدادي شبيه بنظامنا فيه أرقام ومراتب... وهذه الأرقام تسمى الأرقام النجارية كاسم الكتابة التي كانت تكتب معه»^(١).



ويتابع المستشرق المذكور حديثه فيقول:

«إن الصعوبة تبدأ عندما نبحث عن المصدر الأول للأرقام العربية... هنا نظريتان لمصدر الأرقام العربية: النظرية التقليدية التي يقول بها ويبيك وسميث ونالينو وغيرهم ومؤخراً د. ديرنجر؛ إذ ينسب جميعهم فضل هذا الترقيم للهنود... وإن العرب أخذوا عنهم طريقتهم هذه. على أنه لا بد من الإشارة إلى أن الإجماع ليس تاماً على أشكال الأرقام نفسها، فويبيك حاول أن يجد أصولها من الحروف التي تشير إلى أوائل أسمائها في السنسكريتية كما كانت في القرن الحادي عشر

(١) بحث المستشرق فيفري عنوانه «إشارات التعداد»، وقد نشر في مجلة اللسان العربي المغربية، العدد الثاني: ٧٥ - ٧٨، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

[الميلادي]، بينما يرى غيره من الباحثين أن مرجعها يعود إلى الإشارات العددية البرهمية التي ظهرت لأول مرة... في القرن الثالث قبل الميلاد^(١).

وليست المسألة - فيما يخيل إليّ - بحاجة إلى كل هذا التخبط أو الإغراق في الخيال، بل يمكن القول إن العرب بعد أخذهم شكل تلك الأرقام قد أجروا عليها من التعديل والتشذيب ومنحوها من الذوق والانسياوية واللمسة الفنية ما جعل لها صورة متميزة وشكلاً خاصاً وطريقة معينة في الكتابة. وربما كانوا يستهدفون بهذا التحوير أن يجعلوا تلك الأرقام أكثر شبهاً وقرباً إلى حروف أبجديتهم ذات القيمة العددية أيضاً، في الشكل والرسم. ولعل هذا التحوير هو الذي جعل بعض الباحثين حائراً في الموضوع، إذ يرى العرب يطلقون على الأرقام التي يستعملونها اسم الحروف الهندية، ولكنها تغيّر في الوقت نفسه «صور الأرقام التي يستعملها الهنود»^(٢).



(١) المصدر السابق نفسه: ٧٦ - ٧٧.

(٢) مقدمة كتاب الفصول في الحساب الهندي للإقليدسي: للدكتور أحمد سعيدان:

ومع ذلك كله فإن السؤال ما زال قائماً ينتظر الجواب، والمسألة لم تصل إلى خاتمتها بعد:

فما هي أشكال تلك الأرقام التي أخذها العرب عن الهنود وأضافوا عليها - بعد اقتباسهم إياها - من التحسين والتجميل والتحوير ما أملاه ذوقهم الذاتي الأصيل وحسهم الفني المرهف؟.

وما هي الملامح المتميزة والسمات الخاصة لهذا الوليد الجديد الذي تمخض عنه امتزاج هاتين الحضارتين العريقتين؟.

وهل كانت الصورة الأولى الرائدة هي:

... تلك التي كتب بها المشرقون أرقامهم وما زالوا يستعملونها - بعد شيء من التطور - حتى اليوم؟.

... تلك التي يكتب بها العرب المغاربة اليوم أرقامهم؟.

... كلتا الصورتين المذكورتين وقد ولدتا دفعة واحدة كما تولد التوائم؟.

وهل كان يطلق على تلك الصورتين المشرقية والمغربية اسم واحد أو أكثر مشترك بينهما، أم أن لكل صورة منهما اسماً خاصاً يميزها عن الأخرى؟.

وكان الحديث في ذلك ذا شجون وشؤون.

إن الأستاذ ويبيك يقول: «إن العرب يستعملون مجموعتين من الأرقام يطلقون عليهما معاً اسم الحروف الهندية أو حروف الغبار: مجموعة تنتشر في المشرق الإسلامي، وأخرى تنتشر في المغرب ومنها أخذت الصور التي يستعملها الأوروبيون. وبين المجموعتين اختلافات في الشكل ظاهرة»^(١).

ويذهب الأستاذ قدري طوقان إلى أن العرب عندما وقفوا على الأشكال المتعددة للأرقام الهندية قاموا بتشذيبها وتهذيبها «وكونوا من ذلك سلسلتين اشتهرت إحداهما باسم الأرقام الهندية... وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية»^(٢).

ويبدو أن استعمال كلمتي «الهندية» و«الغبارية» وتكرار إطلاقهما على تلكم «المجموعتين» أو «السلسلتين» للأرقام في الدراسات المعنية، قد أحدث كثيراً من الخلط والالتباس، ونشأ منه معظم هذا الذي نراه من الجدل والخلاف.

في حين أن هاتين التسميتين لا تعنيان وجود شيئين متغايرين، بل هما اسمان ينبئان عن مسمى واحد هو الرقم المنقول نفسه، إذ يسمى «الهندي» تارة لأنه مأخوذ من الهند، ويسمى «الغباري» تارة أخرى لأن «أهل الهند يتخذون لوحاً أسود اللون يمدون عليه الغبار وينقشون فيه ما شاؤوا، ولذلك يسمى حساب الغبار»^(٣).

(١) المصدر نفسه: ٢١.

(٢) تقدم العرب العلمي: ٣٨ - ٣٩.

(٣) ابن الياسمين في نص له منشور بمجلة اللسان العربي المغربية، المجلد ١٠، الجزء ١/١٩٧٣م، ص ٢٣٢ - ٢٣٣. ولا علاقة لحساب الغبار هذا بقلم الغبار الذي ذكره القلقشندي ووصفه بأنه «سمي بذلك لدقته، كأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته كما يضعف عن رؤية الشيء عند ثوران الغبار وتغطيته له، وهو الذي يكتب به في القطع الصغير» صبح الأعشى: ١٢٨/٣ - الطبعة المصرية المصورة -.

وإذا كان الاسمان أو المصطلحان المذكوران يعينان مسمى واحداً هو الرقم الهندي بالذات، فما هي حقيقة تينك المجموعتين أو السلسلتين المتقدم ذكرهما؟ وما هو ذلك الشكل الأصيل الذي رسم به العرب أرقامهم في أول عهدهم بنقل الحساب فكان هو الأساس لهاتين المجموعتين؟.

إن إخواناً معاصرين في المغرب العربي يرون أن شكل أرقامهم هو الأصل، وإن المشرقيين يرون أصالة ما يرسمون، وتأثر بعض المثقفين المشاركة بدعوات الإخوان المغاربة فنحا نحوهم واختار رسمهم. وبقي القارئ العربي حائراً يتساءل عن الشكل الأصيل لتلك الأرقام.

وكنت قد قرأت في هذا الموضوع - فيما قرأت - ما كتبه صديقنا الدكتور عبد الهادي التازي والمرحوم الأستاذ محمد السراج، وقد بذل هذان الكاتبان في بحثيهما كل ما وسعهما من جهد، وأدليا بجميع ما ملكا من حجج وأدلة. ويخيل إليّ أنهما - مع ذلك كله - لم يأتيا برأي حاسم ولم ينتهيا إلى قول فصل.

أما الدكتور التازي فجماع بحثه هو الدفاع عن النفس وتبرئتها من التهمة، بإقامة البرهان القاطع على أن الأرقام المستعملة في بلاده كانت قد سكنت تلك الأرض أولاً ثم رحلت منهم إلى أوروبا؛ وليس العكس كما يتصور بعض السذج، وفي ذلك يقول:

إن «جانباً من العرب في المشرق وجميع العرب في الأندلس وأفريقية والمغرب تمسكوا بتحوير جوهرى أدخله على الأرقام الواردة، هذا التحوير الذي حولوا فيه بعض الأشكال عن الوضع العمودي إلى الوضع الأفقي، هذا إلى جانب الخلق والابتكار الذي يلاحظ في النصيب الباقي... ولعل هذا التحوير الجوهرى هو الذي حدا بالعرب

أن يتبنوا هذه الأرقام، وحدا بالأوروبيين التلامذة إلى اعتبار هذه الأرقام أرقاماً عربية في الأصل»^(١).

ويقول أيضاً:

هناك «مخطوطات قيمة فيها ما يرجع إلى القرن السادس الهجري وفيها ما كتب من لدن علماء أندلسيين وفيها ما كتبه أقلام مشرقية وأخرى كُتبت من طرف علماء مغاربة، وهي - أي هذه الكتب - تنص على أن الأرقام المعروفة في العالم المسيحي تحت اسم الأرقام العربية هي بالذات الأرقام التي تحمل اسم الأرقام الغبارية... وقد ذكروا جميعهم... أن اسم الغبار أتى في الأصل من أن الهنود القدماء كانوا يأخذون الغبار اللطيف ويبسطونه على لوح من معدن أو خشب، وفوق هذا الغبار يرسمون ما أرادوه من العمليات الحسابية»^(٢).

ولسنا نجد في كل هذا الكلام إلا الاعتراف الصريح:

١ - بأن إخواننا المغاربة في الأندلس والشمال الغربي من أفريقية - ولم يشاركهم باقي الأفارقة ولا أجانب من عرب المشرق كما ادعى - قد أدخلوا تحويراً جوهرياً على الأرقام الواردة إليهم من إخوانهم المشاركة.

٢ - وأنهم بهذا التحوير قد حولوا «بعض الأشكال عن الوضع العمودي إلى الوضع الأفقي» مما يدل على أصالة الوضع العمودي وسبقه في الاستعمال.

٣ - وأن الأوروبيين التلامذة قد عدوا هذه الأرقام «عربية في

(١) الأرقام المغربية أرقام عربية أصيلة: للدكتور عبد الهادي التازي، مجلة اللسان العربي المغربية، العدد الثاني: ٣٧/١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨.

الأصل» وليس في الشكل الذي انتهى إليهم من طريق الأندلس.

ويبقى قوله: «حدا بالعرب أن يتبنوا هذه الأرقام» بلا رد أو تعليق، لأنه من وحي عاطفة الكاتب الجياشة وليس من نتائج البحث الموضوعي. ومن الواضح أن فئة قليلة من العرب هي التي تبنت هذه الأرقام وليس «العرب» بعمومهم وجمعهم وإجماعهم.

أما المرحوم الأستاذ محمد السراج فقد طغى حماسه على حياده العلمي ولم يسلم من السقوط في شرك الخلط والاضطراب. وقد مهد للنتائج التي يتوخاها بما افترضه تفسيراً لكلام البيروني في هذا الموضوع، وفي ذلك يقول:

«وقد أكد البيروني أن أشكال هذه الأرقام كانت مختلفة باختلاف الجهات في الهند، وأن العرب انتقوا منها ما رأوه مناسباً. واكتفى العرب بطريقتين مختلفتين لكتابة الأرقام: الطريقة الشرقية، واستعملها عرب بغداد وتطورت قليلاً حتى صارت كما هي الآن بمصر والعراق وسورية ولبنان وبلاد العرب. الطريقة المغربية، واستعملها عرب الأندلس وتطورت حتى أصبحت كما هي الآن بالمغرب».

«ولاحظ البيروني [وما زال الكلام للسراج] أن الغربيين اقتبسوا الطريقة المغربية عن طريقة عرب الأندلس، ثم زاد قائلًا: وبهذه المناسبة ننوّه بأن المغاربة الآن لا يزالون يستعملون طريقة أجدادهم في كتابة الأرقام، ولا يظن بأنهم يكتبون الأرقام الفرنجية، وإنما الفرنجة هم الذين يكتبون الأرقام المغربية».

«والتنويه بأن المغاربة لا يزالون يستعملون طريقة أجدادهم وتخصيصهم بذلك دون غيرهم ونسبة تلك الطريقة لأجدادهم يدل على أنها من وضعهم».

وقال أيضاً:

«وهذه الأرقام قد تغيرت بعد ذلك إلا القليل منها، فالواحد والتسعة لم تتغيرا تغيراً يذكر، والاثنان والثلاثة تغيرتا تغيراً وضعياً؛ فهما عند الهنود مائلتان وعند المشاركة رأسيّتان وعن المغاربة أفقيّتان، وقد تغيرت الأربعة والخمسة تغيراً تاماً. أما الستة والسبعة والثمانية فقد اختلط بعضها ببعض فيلزم الاحتياط والحذر عند قراءتها في النقوش والمخطوطات القديمة. أما الصفر فكان يرسم عند الهنود على شكل دائرة في قطبها نقطة، فاستعمل عرب المشرق النقطة تاركين الدائرة، واستعمل عرب المغرب الدائرة دون النقطة».

ثم روى السراج بعد ذلك نصاً لابن الياسمين وعلق عليه قائلاً:

«إن نصّه لا يدل على أن واضعي السلسلة الثانية وبالأحرى الأولى هم الهنود، وكل ما في الأمر أنهم كانوا يستعملونها، وطريقة استعمالها عندهم بواسطة النقش على الغبار... مما جعلها تسمى أرقام الغبار، وهذا لا يفيد في شيء أنهم واضعوها في الأصل، لأن هذا كما وقع منهم يجوز أن يكون وقع من غيرهم... ولأن هذه الأشكال الحسابية بقيت تكتسي بعض ملامح الحروف العربية وتحفظ بمدلول بعضها في حساب الجمل كما يبدو ذلك جلياً في رقم الواحد؛ إذ لا فرق بينه وبين الألف، وبعض الشيء في الأربعة وفي الستة حيث إنها كواوٍ معكوسة الوضع، والتسعة التي هي كطاء معكوسة... وقد تكون الأشكال الهندية انتشرت عند عرب المشرق لظروف جغرافية هي وقوعهم في طريق الهند ومرور قوافلهم وتجارهم في أرضها وبحكم مخالطتهم والصفقات التجارية... مما لم يتوفر لعرب المغرب مع بُعد الشقّة بين المغرب والهند وقلة المخالطة حتى مع إخوانهم المشاركة إذ ذاك، وحتى الاتصالات التي كانت تقع بين أقلية من المغاربة والمشاركة إنما تحدث في أيام معدودات

من السنة زمن الحج؛ وكانت الصبغة الدينية التي تكتسبها هذه الرحلة تقوي الجانب المعنوي الروحي وتضعف الجانب المادي... مما يقتضي عدم اهتمامهم بمقومات التجارة من حساب وغيره»^(١).

إن الباحث المدقق لا يجد في كلام الأستاذ السراج - وقد أوردت فقرات مطولة منه - علماً وحجة بمقدار ما يجد فيه حماساً متدفقاً وخطاً غير موفق بين عدد من الافتراضات والاحتمالات المتهافة التي لم يثبت منها شيء ولم يحظ بالبرهنة العلمية المطلوبة.

لقد اعترف أولاً - تصديقاً لرواية البيروني - بأن الهنود هم واضعو أشكال أرقام الحساب وأن العرب قد انتقوا من تلك الأشكال «ما رأوه مناسباً».

واعترف ثانياً - إلحاقاً بكلام البيروني - بأن شكل الأرقام قد تطور بعد تعريبه من الهندية، وأن آثار هذا التطور في الرقم المشرقي تختلف عن آثاره في الرقم المغربي.

ثم خرج بعد ذلك على هذين الاعترافين فحاول أن يشكك في وضع الهنود للأرقام؛ وأن يحتمل وجود واضع آخر غيرهم، وكأنه يريد أن يلمح - بطريقة غير مباشرة - إلى إمكان أن يكون الهنود قد أخذوها من المغاربة مثلاً؛ أو أن كلا الجانبين قد وضعها دفعة واحدة من باب (توارد الخواطر) المعروف عند الشعراء، ولعله استنتج ذلك من مقولة كون المغاربة ما زالوا يستعملون «طريقة أجدادهم» التي لا تعني - عنده - إلا أن يكونوا هم الواضعين لها!

ولكنه يعترف في أثناء بحثه أن «فئة قليلة من المغاربة» قد تمردت

(١) الطابع العربي في الأرقام الرياضية لمحمد السراج، مجلة اللسان العربي المغربية،

على طريقة أجدادها فرسمت الأرقام كما يرسمها المشاركة «مع اختلاف في الأربعة والخمسة وتغيير بسيط في التسعة»، وعلل فعل هذه الفئة بأنه «لأغراض خاصة»! (كذا).

أما كلامه عن ضعف الصلة بين المغاربة والمشاركة فهو من أعجب العجب، وكيف يمكن للمغرب - وهو جزء من أرض الدولة المركزية الكبرى وبخاصة في العصور الإسلامية الأولى - أن يكون قليل الاتصال بالمشرق؛ وأن لا يتجاوز اتصاله بالمشاركة تلك الأيام المعدودات في موسم الحج وعلى المستوى المعنوي فقط.

وأما استدلاله في ختام بحثه بكلام الجباك التلمساني المتوفى سنة ٨٦٧ فقد كان عن غفلة وقلة التفات، لأن كلام هذا العالم الرياضي صريح في أن الهنود هم واضعو حساب الغبار وليس المغاربة كما يود الكاتب، وأن التراث المغربي الموروث في الحساب والرقم إنما يتمثل في ذلك النوع الذي يسمى (الزماني) أو (القلم الفاسي)، وهو ضرب من الحساب ذو أرقام خاصة وطريقة معينة وأسلوب متميز، ولا تمت أشكاله لأشكال الأرقام العربية بأي صلة أبداً (كما يتضح ذلك من الصورة المثبتة فيما يأتي، وقد أوردتها السراج في ص ٦٩ من بحثه).

١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
 ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
 ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	٠
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	٠
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	٠

وهكذا يتضح لنا من مجموع ما تقدم بيانه:

١ - أن أرقام الحساب التي استعملها العرب وطبعوها بطابعهم الخاص كانت هندية الأصل والنجار بلا ريب، وليس لها أي نجار آخر تتصل به أو تعود إليه.

٢ - أن تسمية هذه الأرقام المعربة بـ (الهندية) و(الغبارية) لا تعني كونهما شيئين أو طريقتين، بل هما اسمان لمسمى واحد هو «الرقم» نفسه؛ يُنسب إلى واضعيه تارة وإلى طريقة الكتابة به أخرى.

٣ - أن تعريب الأرقام واختيار صورها وإعطاءها الشكل المنسجم مع حروف الكتابة العربية قد تم في عاصمة الخلافة (بغداد) في القرن الثاني الهجري، ومنها انطلق إلى العالم الإسلامي كله.

٤ - أن للمغرب العربي - ونعني به ما يسمى المملكة المغربية اليوم على وجه التحديد - أرقاماً أو رموزاً خاصة كان يتداولها كُتّاب الفرائض والمحاسبات والنفقات، ويطلق عليها اسم «القلم الفاسي» أو «الزمامي»، وليس لها أي شبه أو ارتباط بأرقام الحساب العربية، وإنما هي مأخوذة من القلم الرومي القديم في رواية الأستاذ السراج.

٥ - أن الأشكال (البغدادية) التي رسم بها العرب الأرقام في بدء عهدهم باستعمالها هي نفسها الأشكال التي ما زالت متداولة إلى اليوم

في المشرق العربي كله ومصر وأطرافها وبعض الشمال الأفريقي وجميع البلاد الإسلامية التي تكتب لغاتها بالحروف العربية. وأما تلك التي تداولها (المراكشيون) المغاربة بعد ذلك وأطلقوا عليها اسم الأرقام الغبارية، فقد كانت هي الأرقام (البغدادية) في الأساس بعد أن قام هؤلاء بتحويلها ونقلها «من الوضع العمودي إلى الوضع الأفقي» على حد تعبير الدكتور التازي، فكان شأنها في ذلك شأن الحروف الكتابية العربية التي أدخل عليها المغاربة شيئاً من التحويل في شكلها ونقطها؛ فأصبح رسمها مختلفاً في الجملة عما يرسمه غيرهم من العرب عموماً ومن غير العرب من المسلمين الكاتين بالحرف العربي.

٦ - أن تغيير شكل الأرقام ونقلها «من الوضع العمودي إلى الوضع الأفقي» على يد بعض المغاربة قد جرى في وقت متأخر جداً عن تاريخ استعمال الأرقام (البغدادية)، وليس أدل على هذه الحقيقة من أننا لم نجد نصاً يذكر الشكل المغربي أقدم من نص ابن الياسمين المتوفى سنة ٦٠٠ أو ٦٠١هـ، في حين أن تلك الأرقام الأصيلة كانت هي السائدة والمنتشرة في جميع الأصقاع العربية والإسلامية قبل ذلك التاريخ بكثير، وكانت هي المستعملة في كل الكتابات والألواح والمؤلفات المعنية بمسائل العلوم والرياضيات منذ القرن الثالث الهجري، أي قبل عصر ابن الياسمين بثلاثة قرون تقريباً.



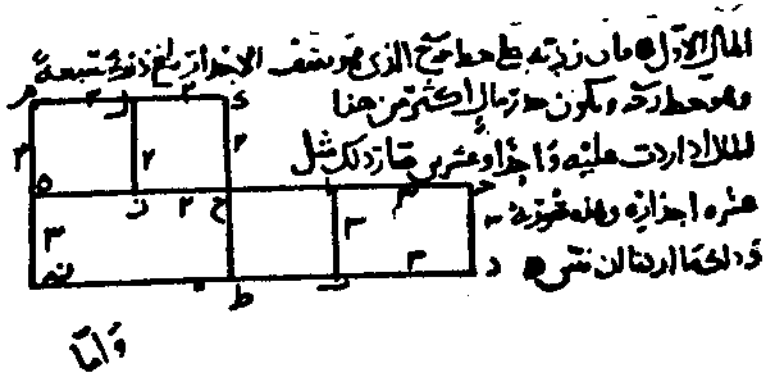
وأورد فيما يأتي عدداً من النصوص في هذا الموضوع اقتبسناها من عدة كتب مطبوعة ومخطوطة ورتبناها ترتيباً متسلسلاً في الزمن حسب القرون، لتكون شاهداً صدقٍ على هذه الدعوى ودليلاً ساطعاً على سبق الأرقام المشرقية وأصالتها التاريخية. ولن يضير نصوصنا هذه أو يقلل من قيمتها الاستدلالية أنها لم تكن مسحاً شاملاً واستقراءً كاملاً لكل مصادر التراث وذخائره، لأننا لا نريد منها إلا التمثيل والاستشهاد على المطلوب. وقد قمت بإيرادها بصورها الأصلية الواردة في تلك المصادر؛ زيادة في الدقة والتوثيق، وتنزهاً عن شك بعض القراء في طرو شيء من التصرف أو التغيير عليها أثناء عمليتي النقل والطبع. وكل أملي أن يجد فيها المتبعون والمعنيون ما يكفيهم قناعة واطمئناناً ويزيدهم ثقةً و يقيناً.

(الوثيقة الأولى)

(القرن الثالث الهجري)

أورد محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى في أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في كتابه «الجبر والمقابلة» معادلة حسابية في استخراج الجذر هذه صورتها^(١):

(١) صفحة مصورة من مخطوطة «الجبر والمقابلة» نشرت ملحقةً للصفحة ٢٤ من المطبوع.



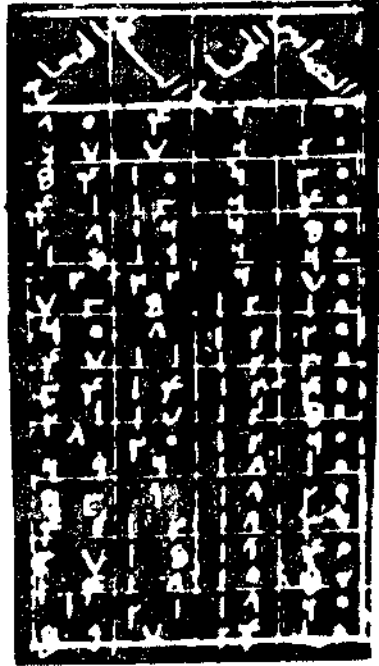
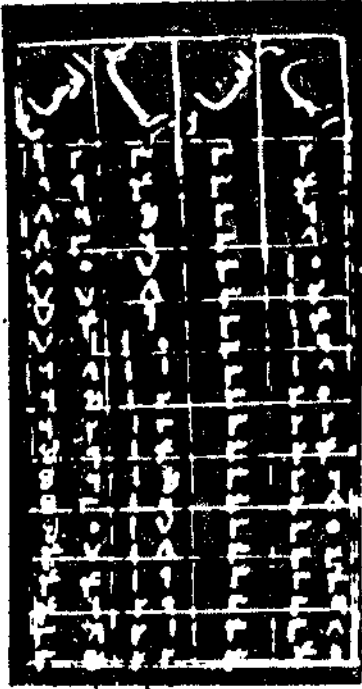
إن الأرقام التي تضمنها هذا النص هي الأرقام المشرقية نفسها، ولا يقولون قائل بأن ذلك من عمل الناسخين وليس من عمل الخوارزمي بالذات، فإن الناسخين - وبخاصة في القضايا العلمية - دأبوا على نقل ما ينقلونه بكل أمانة وثبت، وكثيراً ما رأيناهم يرسمون ما يرد في الأصول مما لم يتضح لهم معناه، كما ترسم النقوش، حفاظاً على شكل الأصل وصورته.

(الوثيقة الثانية)

(القرن الثالث الهجري)

أورد أبو كامل المصري شجاع بن أسلم من علماء القرن الثالث الهجري (العاشر الميلادي) في كتابه «طرائف الحساب» مجموعة من العمليات الحسابية مكتوبة بالأرقام المشرقية، وهذه صور بعضها^(١):

(١) نشر الكتاب المذكور في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة: المجلد التاسع، الجزء الثاني، ص ٢٩١ - ٣٢٠/١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، وقد ورد الجدولان المصوران في أعلاه في صفحتي ٣٠٣ و ٣٠٥ منقولين بالتصوير عن الأصل المخطوط.



(الوثيقة الثالثة)

(القرن الرابع الهجري)

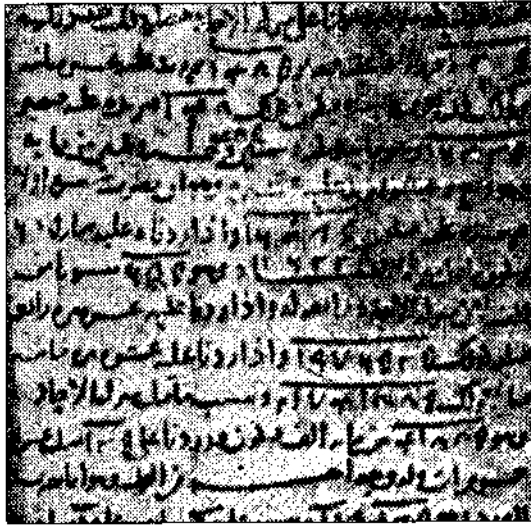
قال أبو الحسن أحمد بن إبراهيم الإقليدسي المتوفى بعد سنة ٣٤١هـ - ٩٥٢م في مقدمة كتابه «الفصول في الحساب الهندي»:

«إن أول ما ينبغي أن يعلم من ذلك لمن ابتدأ بهذا العلم معرفة الأحرف التسعة، وهي هذه:

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ *

ونورد فيما يأتي صفحة أخرى من هذا المخطوط تحمل صور بعض الأرقام^(١):

(١) الفصول في الحساب الهندي: ٥٢ و ٤٣٢.



(الوثيقة الرابعة)

(القرن الرابع الهجري)

قال أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم المتوفى سنة ٣٨٠هـ ما
لفظه^(١):

الكلام على السند

هؤلاء القوم مختلفي اللغات، مختلفي المذاهب، ولهم أقلام
عدة. قال لي بعض من يجول بلادهم: أن لهم نحو مائتي قلم، والذي
رأيت صنماً صفرأ في دار السلطان، قيل إنه صورة البد، وهو شخص
على كرسي قد عقد بإحدى يديه ثلاثين.

وذكر هذا الرجل المقدم ذكره، أنهم في الأكثر يكتبون بالتسعة
الأحرف على هذا المثال:

(١) الفهرست: ٢٠.

١١٣٤٥٦٧٨٩١٠١١٢١٣١٤١٥١٦١٧١٨١٩٢٠

وابتدأوه أ، ب، ج، د، و، ز، ح، ط. فإذا بلغ إلى ط؛ عاد إلى الحرف الأول ونقطه تحته على هذا المثال:

١٢١٣٤٥٦٧٨٩١٠١١٢١٣١٤١٥١٦١٧١٨١٩٢٠

فيكون ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، يزداد عشرة عشرة فإذا بلغ إلى صاد، يكتب على هذا المثال وينقط تحت كل حرف نقطتين هكذا:

١٢١٣٤٥٦٧٨٩١٠١١٢١٣١٤١٥١٦١٧١٨١٩٢٠

(الوثيقة الخامسة)

(القرن الخامس الهجري)^(١):

كُتِبَ عَلَى بَنِي هَلَالِ بْنِ هَلَالٍ حَامِدًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا عَزِيزًا وَمُصَلِّيًا
عَلَى بَيْتِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَسَّلًا
مَعَهُ ١٤٤٤ هـ

(١) الصفحة الأخيرة من ديوان الحادرة (مخطوط بدار الكتب المصرية ٢١٤٥ أدب) بخط الخطاط المشهور علي بن هلال أبي الحسن المعروف بابن البواب، المتوفى سنة ٤٢٣ هـ، والتاريخ في آخر الكتابة ٤١٤.

(الوثيقة السادسة)

(القرن السادس الهجري):

قال عبد الله أو عبد الرحمن المغربي البربري الفاسي المعروف بابن
الياسمين المتوفى سنة ٦٠٠ أو ٦٠١ هـ في كتابه «تلقيح الأفكار في العمل
برسم الغبار»^(١):

«واعلم أن الرسوم

التي وصعت للعدد تسعة أشكال يترب عليها جميع العدد
وهي التي لتسا أشكال الغبار وهي هذه ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩
وقد تكون أيضاً هكذا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩
عندنا على الوضع الأول ولو اصطفت مع نفسك على شكل
أو عكسها الجواز وجه العمل على لا يتبدل

وقد أولى إخواننا المغاربة كلام ابن الياسمين هذا اهتماماً كبيراً،
بل هو الدليل الأعظم لديهم على ما ذهبوا إليه من عراقة أرقامهم
وأصالتها كما مر. ولكن الرجل لم يفه بشيء من ذلك، وإنما ذكر
الأشكال المشرقية والمغربية للأرقام وأعلن أن الناس عندهم (أي في
المغرب) على الوضع الأول، وليس يعني ذلك إلا أن تطور الشكل
المشرقي للرقم وانتقاله على يد بعض المغاربة من «الوضع العمودي إلى
الأفقي» قد تم قبل هذا التاريخ وأن الناس هناك في عصر المؤلف كانوا
يستعملون الأرقام الأفقية. ولا علاقة لهذا كله بما يُدعى من الأفضلية

(١) نشرت صفحتان من مخطوطة كتاب ابن الياسمين في مجلة اللسان العربي

المغربية: المجلد العاشر، الجزء الأول، ص ٢٣٢ - ٢٣٣، ١٩٧٣ م.

والأسبقية لتلك الأرقام على المشرقية منها إن لم يكن دليلاً على العكس تماماً.

(الوثيقة السابعة)^(١)

(القرن السابع الهجري)



(الوثيقة الثامنة)

(القرن السابع الهجري)

قال محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي المتوفى سنة

(١) الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب المرصع لابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ، (في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) وقد ظهر فيها الرقم (٦٣١) واضحاً كل الوضوح.

٦٧٢هـ - ١٢٧٤م في كتابه «جوامع الحساب بالتخت والتراب» ما لفظه^(١):

«أما الأرقام التسعة فهي عدة:

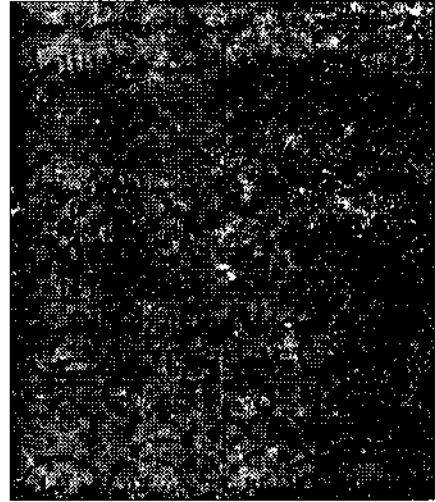
٤٣٢١ ٤٦٨٧٦٤، وهي منسوبة إلى الهند.

وربما يوضع الثاني والثالث هكذا: ٣ ٣.»

(الوثيقة التاسعة)

(القرن السابع الهجري)

تضم مكتبة المجمع العلمي العراقي مصورة كتاب في الألحان اسمه «الرسالة الشرفية في النسبة التأليفية»، ويرجح بعض الباحثين أنه من مؤلفات صفى الدين عبد المؤمن الأرموي، وقد تم نسخه في سنة ٦٧٤هـ. وكل الأرقام المستعملة فيه هي الأرقام المشرقية، كما يتجلى ذلك من الصور الآتية:

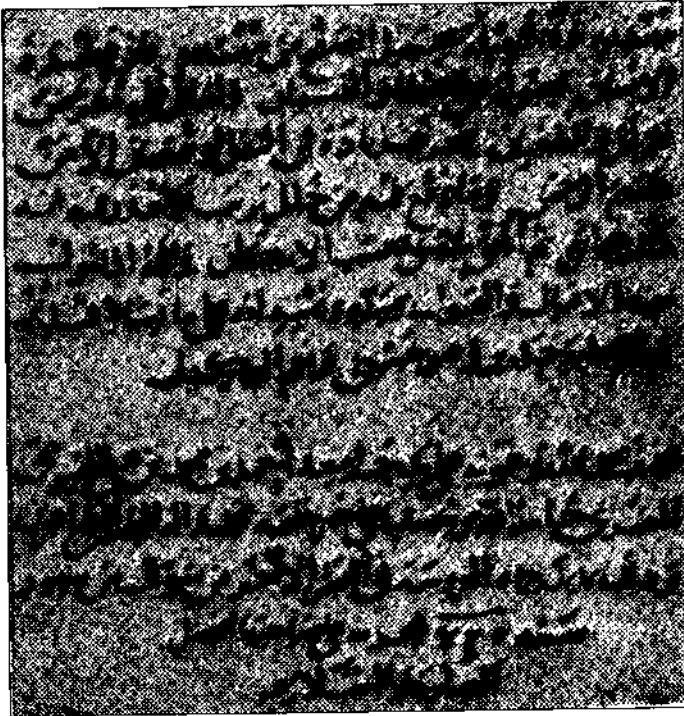


(١) نشر الكتاب بتحقيق الدكتور أحمد سعيدان في مجلة الأبحاث البيروتية: السنة ٢٠، الجزء ٢، ص ٩١-١٤٨، حزيران ١٩٦٧، والصورة في أعلاه مأخوذة من ص ١١٤.

(الوثيقة العاشرة)

(القرن الثامن الهجري)

تضم دار الكتب المصرية مخطوطة في العروض (برقم ١٦ عروض) من تأليف العالم اللغوي أحمد بن محمد المقري الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ وبخطه، والرقم في الصفحة الأخيرة منها مرسوم بالشكل المشرقي^(١).



(١) الصورة مقتبسة من كتاب الأعلام للزركلي: الجزء الحادي عشر - الخطوط والصور - القسم الأول: الصورة (١٥١).

وزيادة في التوثيق والاطمئنان أورد فيما يأتي صوراً لخطوط بعض الأعلام المغاربة من مُراكشيين وجزائريين وتونسيين كنتُ قد وقفت عليها منشورة في القسمين الأول والثاني من مستدرك كتاب (الأعلام) للزركلي، ويجد القارئ الكريم فيها أرقامنا العربية البغدادية المشرقية ماثلة للعيان، مما يدل على أنها كانت هي الأرقام المفضلة في الاستعمال والتداول في كتابات العلماء والأدباء والمفكرين من أبناء المغرب العربي الكبير.

[١٥٤٥] أحمد الشريف

جلالة الله ووليّه في الدنيا والآخرة
 والرحمة الواسعة
 قاله الأستاذ والمعلم أحمد الشريف الشافعي



أحمد الشريف السنوسي (١: ١٣٢)

نهاية إجازة بخطه، في «مجموع به إجازات» للشيخ عبد الحفيظ الفاسي،
 في خزائنه الخاصة بالرباط.

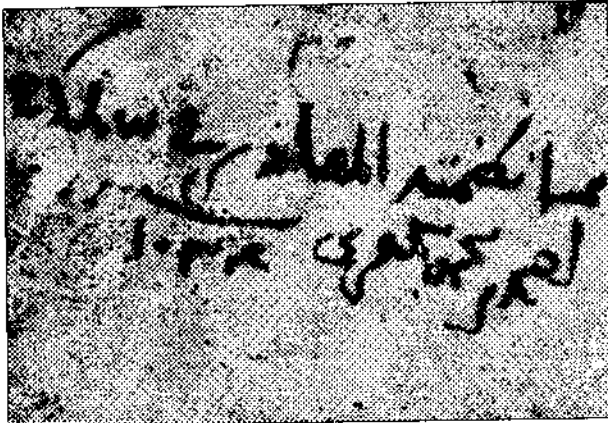
[٩٦] ابن أبي الضياف

الذي يقول له في أبي الضياف أمير التواضع عمراً عقيباً رغبته التي حسنت وأبرزت ووفقت جميع المادحة
 أعاد الاستلزام كما ينبغي من زاوية الشيخ الأستاذ المعاصرين بأنه يسير في راسخا من أعلامنا الذين
 أعانه الله في انتقائه وجعل عمله للمصالح والبر كما هو عليه في ربه في معاليه التي أودعها في قلبه
 ما وجده الله في خزائنه من حوزته من المزايا التي لا تحصى ونسبها إليها حليته من تقوى وأمره
 بما يوجبها ويرزقها وأبناؤه من أن يرى الله في نفسه وهو خيرها الذي ليس من معنى في قلبه
 ليتفهم منه فأصرا على ربه أنه العليق الذي يضع عملها في ما يحب ليعظه نصراً لمن يريد في نفسه
 أن يطلعهم من صوته في كل يوم وبما يبين في الألفاظ التي لا يسهلها عليه ولا يسهلها
 في أبيه من أبنائه الذين يفتخرون به

أحمد بن أبي الضياف (١: ١٣٥)

من خزانة الأستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب، بتونس.

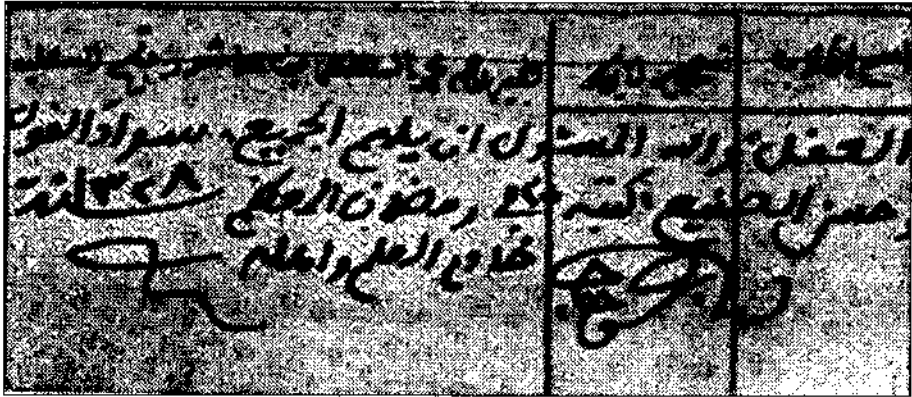
[١٦٥ - ١٦٦] المقرئ (صاحب نفح الطيب)



أحمد بن محمد المقرئ (١: ٢٢٦)

نموذج من خطه، عن مخطوطة في خزانة الأستاذ الشانلي النيقري، بتونس.

[٤٥٨] سالم بن عمر بن حاجب



سالم بن عمر بن حاجب (٣: ١١٥) آخر إجازة له، من مخطوطات الشيخ
طاهر بن عاشور، بتونس.

[٤٩٤، ٤٩٥] المولى سليمان



[١٥٨١] شعيب التلمساني



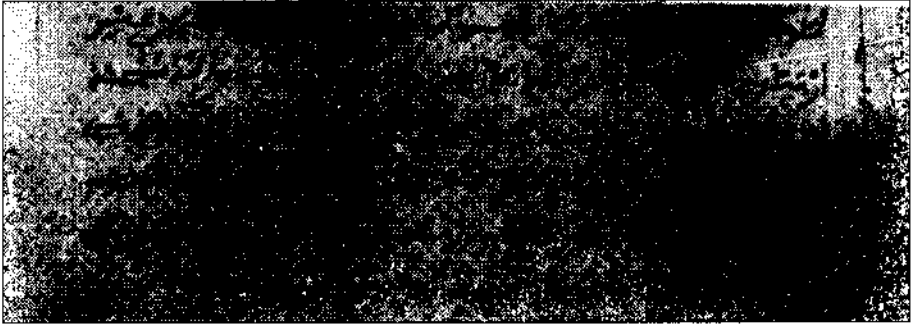
شعيب بن علي التلمساني (٣: ٢٤٤)
 عن «كناش» له، كله بخطه، في خزانة الرباط (٤٨ كتاني)

[١٥٩١] الجزائري

من رسالة الشيخ محمد بن عبد الله
 غائب ربيع لرينا وتوقع صاحبها وهانحن ارسلنا اليكم نسخة رسمنا مؤكرة للجنة في التلمسب وارطلبه في الود
 المطلوب واما الرضاار المتعلقة بيا مننا الفايرو ورقه عننا اب نه ندم في فخرنا الون منها شوع ثم المامول ان لا نطلبها
 عننا الما نسب ولانذيرة الحما طيب ودمتم كما رسمتم في الصلاة
 التلمسب
 عبد القادر
 الحسني

من رسالة للأمير عبد القادر الجزائري
 عبد القادر بن محيي الدين الحسني الجزائري (٤: ١٧٠) من رسالة، بخطه.
 عن مجموعة فيليب دي طرازي، للخطوط.

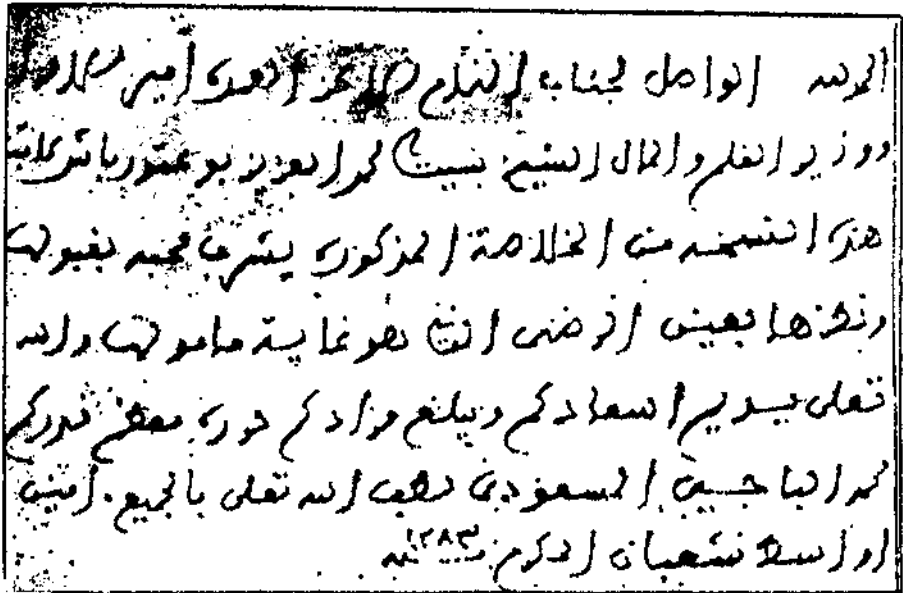
[١٥٩٨] المنالي



عبد المجيد بن علي المنالي (٤: ٢٩٢).

عن مخطوطة رسالته «إفادة المرتاد» في أول المجموع «٩٨٤ د» في خزانة الرباط.

[٩٧٨] الباجي المسعودي



محمد الباجي بن محمد المسعودي (٦: ٢٧٢)

رسالة خاصة بخطه، في مكتبة الشيخ الطاهر بن عاشور، بتونس.

[١٠٨٠] ابن ملوكة

الحمد لله الذي بعثه نبي الحيات وبعثه واهبها لواع
 من تبيخها التاليف المبارك حجة يوم الجمعة الحاد
 عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٠٨٠ هـ وسنة ١٦٧٩ م
 والجمعة قبل طلوع شمس ذلك اليوم بثلاثة اراج ابرج منا
 وذلك جاء فخرج السج تسبيحاً على الحمار رضي الله عنه
 وارضاه وحمل اعلال الجنة من موطأ وبيتها امير علي بن
 مولعة العبد الخليل فقير حليق العنا لقات والفقير
 محمد بن صالح بن ملوكة عجا الله عنه وعن الموصفين اقبس

محمد بن صالح بن ملوكة (٧: ٣٤)

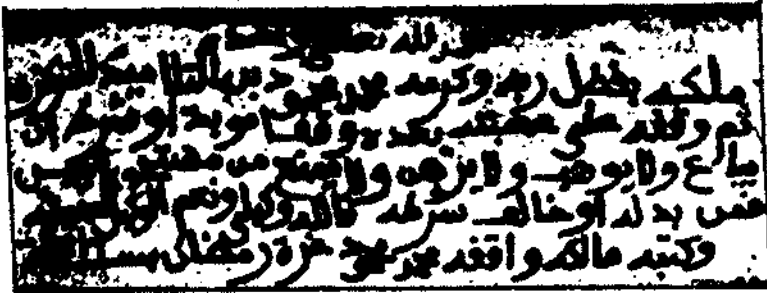
عن الصفحة الأخيرة من كتابه «الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق»
 بخطه، في دار الكتب العامة، بتونس، رقم «٣٦٠م».

[١١١٩، ١١٢٠] محمد بن عبد القادر الجزائري

الحمد لله وحده
 والصلوة والسلام
 على من لا نبي بعده
 محمد بن عبد القادر
 بن ياسين

من خطه، كتابة له على أحد كتبه، مما دخل المكتبة العربية بدمشق.

[١٢٨٠] الشنقيطي



محمد محمود التركي الشنقيطي (٧: ٣١١)
 عن مخطوطة الجزء الرابع من «شرح المفصل»
 في دار الكتب المصرية «١٩ نحو».

[١٢٨٦] بيرم (الخامس)

لما صار يوم الخميس من يومئذ في شهر ربيع الأول سنة
 ويزول عليه من أيامه ثلاثة عشر يوما فعمل بهم الدولة لصلواتهم
 والحمد لله رب العالمين والسلام على النبي وآله الطيبين الطاهرين
 ومعه الله وكتبه في شعبان الآخر سنة ١٢٩٣ هـ
 محمد بيرم

محمد بن مصطفى بن محمد بيرم (٧: ٣٢٢)
 من رسالة خاصة محفوظة في خزانة
 الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، بتونس.

وبعد:

فهذه خلاصة وافية لتاريخ «الأرقام العربية» في مولدها ببغداد؛ ونشأتها على يد العرب في كل أمصارهم؛ وتطورها في الأندلس والمغرب، عرضت فيها جميع ما قيل فيه من حيث النسب والحسب، ومن حيث التحوير والتطوير، ومن حيث النقل والانتقال والحل والترحال. وقد أوجزت إذ يكفي الإيجاز وأسهبت في مناقشة بعض تلك الأقوال إذ كان الموقف بحاجة إلى الإسهاب، بأمل أن تكون النتائج أكثر جلاء ووضوحاً وأصدق قبلاً وقبولاً.

وكانت الحقيقة الثابتة والفريدة التي تكشف عنها هذا البحث: أن الشكل العربي البغدادي في كتابة الأرقام هو الأصل الأصيل لها في تراث هذه الأمة، وأن ما عداه مما يتداوله بعض العرب اليوم إنما هو شكل معيّر ومحرف عن الأصل المذكور، وقد طرأ عليه هذا التغيير والتحريف من بعد.

وأجد لزاماً عليّ في الختام أن لا أنهي الحديث قبل أن أقسو قليلاً فأتساءل بمرارة وألم وأقول:

هل ستجني الأمة العربية من وراء تغيير أرقامها الشائعة المتداولة مكسباً في دنيا العلم أو ثمرة في حقول المعرفة؟ وهل سترتب فائدة ما - أي فائدة - على إثارة الضجيج والعجيج حول هذه الأرقام؟.

وهل يعد من الأصالة - ونحن من دعائها وحماتها فيما ندعي - ومن الوفاء لبغداد - ونحن من المتحمسين لإحياء أمجادها فيما نزعم -

أن نربي جيلاً عربياً جديداً يجهل تاريخه أشنع الجهل، وينظر إلى أرقامه الأصيلة التي زخر بها تراثه العظيم في الرياضيات والفلك والعلوم نظرة الجاهل أو المنكر، بل سيحتاج في المستقبل إلى من يفك له رموزها حاجته إلى من يقرأ له الكتابات البابلية والخطوط الهيروغليفية؟.



تَارِيحُ الصَّافِيَّةِ
فِي الْكَافِيَّةِ

الكاظمية بلدة قديمة ذات ماض عريق ومجد أثيل . اقتطع المنصور العباسي أرضها المجاورة لمدينته المدورة فجعلها مدفنًا للقرشيين وسماها «مقابر قريش» ، ثم شاء لها الحظ السعيد أن تكون مدفنًا للإمام موسى الكاظم (ع) المتوفى سنة ١٨٣هـ وحفيده الإمام محمد الجواد (ع) المتوفى سنة ٢٢٠هـ، فدخلت التاريخ من أقدس أبوابه واحتلت أكرم صفحاته .

وبدأ الناس سكناهم في هذه الأرض إثر دفن الأمامين فيها ، ثم أخذ ذلك بالازدياد التدريجي على مر السنين . ورافق هذا التوسع والزيادة في السكنى والسكان مجاورة عدد من رجال العلم والأدب للمشهد واختيارهم إياه مسكنًا لهم ، فكانوا واضعي اللبنة الأولى للحياة الفكرية في هذه البلدة ، ثم ازدهرت سوق العلم والأدب فيها على كر الليالي والأيام وازدهرت معها كل معالم الحياة بوجه عام .

وضمنت الكاظمية بين جوانحها مجموعة من المدارس الدينية والحلقات التعليمية التي تعنى - بالدرجة الأولى - بدراسة العلوم العربية والفقہ الإسلامي ، وكانت زاخرة - كما وكيفا - بطلابها المجدين وأساتذتها اللامعين . كما ضمت البلدة - كذلك - عدداً كبيراً من المكتبات الضخمة الحافلة بنفائس المخطوطات وأمهات الكتب .

ومع إطلالة القرن العشرين الميلادي كانت «الكاظمية» قد برزت

إلى الصف الأمامي الذي يضم المدن العراقية الشهيرة، ولمعت أسماء علمائها ومفكرها داخل العراق وخارجه. ثم كان لها الدور الكبير في مكافحة الاحتلال البريطاني الغاشم، حيث انطلقت منها مواكب الجهاد الزاحفة إلى البصرة عام ١٩١٤م، وحيث كان ملتقى رجال الثورة وقادتها عام ١٩٢٠م وحيث كان صحنها المقدس - خلال هذه الفترة أو الفترات - مركز الاجتماعات الشعبية الكبرى وسوق عكاظ الوطنية بما يلقي فيه من بليغ المنثور والمنظوم، وتتردد في جنباته من روائع الخطب والقصائد الحماسية.

وكان منتظراً لبلدة كهذه أن تظهر فيها صحافة وطنية هادفة، تعبر عن مطالب الجماهير، وتبحث مشاكل الناس، وتعنى بشؤون الفكر، وتبرز الكفاءات العلمية المتوفرة، وتشجع القابلية الناشئة المتفتحة، وهكذا كان.

ومع إشراق صباح الجمعة (٥/٢/١٣٤٣ هـ - ٥ - ٩ - ١٩٢٤م) شهد الرأي العام توزيع أول عدد من أول جريدة تصدر في الكاظمية، تلك هي جريدة اليقظة للأستاذ سلمان الصفواني الذي يعتبر بحق، الرائد الأول للصحافة الكاظمية ومن الرواد الأوائل للصحافة العراقية بشكل عام.

ثم تابعت الصحف الكاظمية في الصدور منذ ذلك اليوم وإلى اليوم.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن مجاورة الكاظمية لبغداد كانت سبباً رئيساً في قلة عدد الصحف الكاظمية، ولولا هذه المجاورة لكان العدد أكبر بكثير. وحسبنا أن نلقي نظرة خاطفة على أسماء

أصحاب الصحف البغدادية لنرى بينها عدداً غير قليل من أبناء الكاظمة الذين اختاروا العاصمة مركزاً لإدارات جرائدهم ومجلاتهم.

ونورد فيما يلي ثبناً شاملاً لسائر الصحف الصادرة في الكاظمة من اليوم الأول حتى اليوم، مع موجز من المعلومات الأساسية عن كل صحيفة من تلك الصحف. أملين أن تغمر الكاظمة في مستقبل أيامها نهضة شاملة في مجالات الفكر والثقافة.

١ - اليقظة:

(١٣٤٣/٢/٥ هـ - ١٩٢٤/٩/٥ م).

جريدة دينية علمية أدبية انتقادية. تصدر في الأسبوع مرة واحدة موقتاً. مديرها ورئيس تحريرها سلمان آل إبراهيم الصفواني. طبعت بمطبعة الفلاح ببغداد. عدد صفحاتها ٤ صفحات بحجم نصف الجريدة. جاء في كلمة الافتتاح الأول:

«وبعد: فإننا - والله يعلم - لم نأل جهداً في خدمة هذه البلاد حسب المستطاع إلخ..»

صدر العدد الأول منها يوم ١٣٤٣/٢/٥ هـ - ١٩٢٤/٩/٥ م.

ويعد صدور عددها الثاني عشر «حكمت عليها مديرية المطبوعات بالسجن الأبدي» كما جاء في العدد التاسع من جريدة المنبر العام التي أصدرها الصفواني بعد اليقظة. ولكن السيد عبدالرزاق الحسيني ذكر أن أعداد اليقظة (١٣) وأنها استأنفت الظهور في تشرين الثاني ١٩٢٩ م فصدر منها عدد واحد فقط واحتجبت^(١).

(١) تاريخ الثقافة العراقية - ٨٨. وذكرها فيليب طرازي في كتابه «تاريخ الصحافة

من اللغة انه واحدة

بعل اشرا كها، ويومان في بكالفة
وهدا في الخويج
من قبل مددا واحدا مد شفركا
اسرة الشعر : ٦ آيات من كل سطر

الْبِقْطَةُ

بحرسة رواية طيبة ادبية انتقادية

« أصدر في الاسبوع مرة واحدة ثوقفا »

الرقاق : ايلول سنة ١٩٢٤

بها ودينس خرموا
سلمات
آل ابراهيم العدماني
السويح : الكتانية البغدادية
الادارة : ريب البغدادية

١٣ سنة ١٩٢٣

ايها المسلمون	عوامال البقطة (١)	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<p>الحركة اللادينية الاسلام اللدني بطناني سومري حقه الله</p> <p>(ايها المسلمون الذين خصصتم له ورسوله ولكامل اولادكم المسلمين وامتهم ومجد جلاله كما سر انواع الانسان في خسر الا الؤمين المسلمين الذين همس بهمم يمنا بلقي وبعبر عليه فقال واحر ان الانسان في خسر الا الذين اشرا وعفرا السامط وتواموا بالحق ويوم يومهم في ادمع والارادة اقال سبطا كانوا ياشاهون من نكر فوره ليش مالورا ياهلون) وقال من الله عليه وآله وسلم زاتون بالمرفوق وتوتون من النكر اريدنا الله عليه صلح شراوك فيدمر عالمه. بكتاب لهم وانبهه فكلمة أصعب أمي تقريبا وقريبا أسودما وايشها.</p> <p>أياها المسلمون أدمركم ان كتاب الله وسه وسوله ونظر فيها ما نقل فخصم الراي الربيع والصلح والصلح في الديا والآخرة أدمركم ان كتاب الله سيمان مليونه هو هو فقلان والمليون ومسكان جزاؤ الله الشريعة من المأويذ وقدم وانا، الحرب والقرس بمعتزك يا أدمركم أهل أفريقيا من عبره وسكان الصعره فكبرى وما، ورها و، مع الفردان يا أدمركم ورواكتمن ببلاد اروبيا وعربها أدمركم ان الاتحاد لتسمو في الدنيا</p>	<p>تدبروا وفتح من لمن حقتا لبيانية وبعد حياتنا الأديبة ان شرف كل من العزوب في جيب من شيرة بكونصول الى دابة : خمسة وثمانين لافيا ثوبية ومن حرف قبل ذلك ايضا ليريش التملك في اخطا هذه الفروع الثيرة من سياتها الديان لشرف</p> <p>لان خدمت انهم في اليازي فتر مختصة الطائفة فظهرت على والرسمية ومن يسمى بوزا والديان والحرية ، وكل ينشد الرقي والتقدم وقل برب الثيرة له السيطرة في ليرة فد يسي دور ذلك في اشكال طاعة والترفع عديدة ، وكل أهدى فرائز الفرع البشري التي جبل عليها منذ خلق الله الانسان ، حتى مليون لاهم وحتى المكروبا وسائر المهنات فكلب لفضها ما يتطلب لوق انواع الانسان فالمليون بهاجم ويحرس من هو ايفد به ، والكروب ببارم الطبيعة وكثيرا ما يطلب عليها ليرة صاحبها كان الملاك وبه من عداد سكان الفرد.</p> <p>نشأ الانسان وفي روحه تلك الامانة التي تفرقه فقتله الى مزاجه التبريق لشرك الجبري ، واعتقت بسانده الى الهورش والتقدم في مياديت المدينة والحضارة ولم تكن في هذه السامطة لكان اكل الظرفه حطا وانتمهم نصيبا والاشمس شعبة استمر اليان ، فاهي</p>	<p>لهم الماشرك عليك صديبا وفيه وليا وكتره صورا وادى عددا وشدة الانبا با واصل الرمال شبة ، دائما لهم على ذلك طبع ملك صبه وشرف ملكته وشرفه وسلفان في صوره نعت صبح جيب .</p> <p>وهذا قلنا - والله يتم - ثم ما جهذا في خدمته فبالله حسب استطاع ... ففهمنا تر الام و من مائة في فشات السجون وأخرى التي والتجيد ان لير ذلك ما لاظه ابدا هذا زمن المكروب من انواع الإنعام من الا لباير انك من مواصلة السل وان كسا الامر ، قد خصنا هذه السيرة بعد جهود كبيرة صادقا خلافا المفضل والنبط والسائل المصائب والمتسمن وغيره فلم يصدنا الا لوزن ما هذه الية عليه ، وقد كثر علينا السؤل عن الحقبة التي سنها والية التي نوحنا ثم نشأ ان يسط لهم الوجود وتطم لهم الجهود ، بل لوجبات ذلك ان اعداد جهدتنا القبية ، ولا غير ، فان ما في الجنان يظهره اللسان .</p> <p>وهنا تقدم الى انفراد الكرام جهاد ان لا يظفوا طيبا بما تجرد به اللام وتسمح قرانهم في المراسم القدية والامات ... طفت الرق قليل بنفسه كثيرا ... بلعلم قرانا الاقل من اناسوف ... ففرد ... ملكا وبا طيبا حال</p>
<h2>شذرات</h2> <p>في مدينة (لوشوا) مأثور المر بعت صومبية سلك دم شرفين على مقبحة الرواج شذبة الاقتصاد على زوجة واحدة في النساء الماطقات لازوايين في</p>		

٢ - المنبر العام؛

(٤/٦/١٣٤٤هـ - ٢٠/١٢/١٩٢٥م)

صحيفة أسبوعية، صاحبها ومديرها المسؤول: سلمان آل إبراهيم الصفواني.

عدد صفحات كل عدد ٤ صفحات بحجم نصف الجريدة، تطبع بالمطبعة العصرية ببغداد.

جاء في كلمة افتتاح العدد الأول:

«المنبر العام محل مرتفع لا يرتقيه إلا الخطيب ذو المواهب السامية أو الواعظ المصلح...».

«ما أكثر مواليد الصحف الأدبية عندنا وما أقصر عمرها. تطلع الشمس كل يوم على مولود جديد فلا تغيب إلا عن وفاة آخر... إلخ».

وجاء في كلمة افتتاح العدد الخامس:

«زهّدوا في الآداب والمعارف فتمنوا أن تكون جريدتنا سياسية - نعوذ بالله -، وزهدنا في السياسة فأردناها أدبية، فأئنا اسدر وأحسن اختياراً... إلخ».

صدر العدد الأول منها يوم ٤/٦/١٣٤٤هـ - ٢٠/١٢/١٩٢٥م.

عطلت بعد صدور عددها الثاني عشر كما جاء في العدد - ١٢ - من صحيفة «المعارف». وقد ذكرها فيليب طرازي في كتابه «تاريخ الصحافة العربية»: ٨٨/٤ والحسني في كتابه «تاريخ الصحافة العراقية»: ٩٠ - ٩١.

٣ - المعارف:

(١٣٤٥/٢/٢٤ - ٣ - ٩ - ١٩٢٦ م).

صحيفة أسبوعية جامعة. صاحبها عبد الملك حافظ. محررها ومديرها المسؤول سلمان الصفواني.

عدد صفحات كل عدد ٤ صفحات بحجم نصف الجريدة.

ومن العدد الثاني أصبح سلمان الصفواني صاحبها ومديرها المسؤول.

جاء في كلمة افتتاح العدد الأول:

«أقدمنا على إصدار المعارف بشير النهضة الأدبية والعلمية في العراق، وهي ذي تطلع على القراء حافلة بكل جديد مفيد...».

«المعارف التي يجب أن تكون مرآة صافية لراقي العراق العلمي والأدبي ودليلاً على نزوعه إلى التجدد والنهوض... إلخ».

صدر العدد الأول منها في ١٣٤٥/٢/٢٤ هـ - ١٩٢٦/٩/٣ م، وعطلت بعد صدور عددها الثامن عشر.

وقد ذكر فيليب طرازي في كتابه تاريخ الصحافة العربية: ٨٨/٤ والحسني في كتابه «تاريخ الصحافة العراقية»: ٩١.

٤ - السعادة:

(١٣٥٠/٨/١٧ هـ - ١٩٣١/١٢/٢٧ م).

«جريدة علمية فنية هزلية. تصدر في الكاظمية مرة في كل أسبوع. لصاحبها ومديرها المسؤول محمد علي الكاظمي. برز عددها الأول مطبوعاً في مطابع بغداد في يوم الأحد الموافق ١٧ شعبان ١٣٥٠ هـ -

٢٧/ كانون الأول/ ١٩٣١م، واحتجبت بعد مدة قصيرة^(١). ولم أعثر على أي عدد منها لأسجل معلومات أوفر عنها.

٥ - الميزان:

(١٢/١ - ١٣٦٠هـ - ١٢/٢١ - ١٩٤١م).

«مجلة أسبوعية تبحث عن أصول الإسلام وفروع الدين. صاحبها ومديرها المسؤول عبد الواحد الأنصاري.

أصدرها صاحبها في العمارة لأول مرة، وأتمت المجلة هناك سنتها الأولى، ثم انتقلت إلى الكاظمة فصدرت فيها ابتداءً من العدد الأول من السنة الثانية.

عدد صفحات كل عدد عشرون صفحة بالحجم الذي يوصف بـ (البطال)، وكانت لصاحبها مطبعة يملكها تسمى (مطبعة الجوادين) لعلها المطبعة الأولى في الكاظمة.

جاء في افتتاح العدد الأول من سنتها الثانية:

«فأينا بعد التأمل والاستبصار، والتروي والاستخبار، من الحكمة والصلاح ضرورة نقلها إلى قضاء الكاظمة، لقربها من بغداد عاصمة العراق المحبوب، ولجوارها من الأدباء والفضلاء ورجال العلم والعمل. فتمكنا - بعون الله ومساعدة بعض الأفاضل - من نقلها إلى الكاظمة، بعد أن لاقت فكرة نقلها من عموم إخواننا الكاظميين الأفاضل وعلمائها الأفاضل. . . ترحيباً بليغاً وإقبالاً قلبياً صادقاً. . . إلخ».

صدر عددها الأول في الكاظمة يوم ١ - ١٢ - ١٣٦٠هـ - ٢١ - ١٢

(١) تاريخ الصحافة العراقية: ١٠١.

- ١٩٤١م واستمرت على الصدور فترة من الزمن لا نستطيع تحديده بالضبط، وقد وقفنا على عشرة أعداد من السنة الثانية ولا نعلم كم صدر منها بعد ذلك.

٦ - العدل الإجتماعي:

(١ - ٦ - ١٩٤٧م)

مجلة قانونية علمية أدبية. صاحبها ومديرها المسؤول صادق مهدي السعيد المحامي، تصدر في كل شهرين مرة. جاء في كلمة افتتاح العدد الأول:

«لقد انتشرت المطبوعات في هذا الظرف انتشاراً عظيماً، وتنوعت مواضيعها... ورغبة في بعث التضامن والتعاون فيما بينهما (أي الفقه والقضاء) أصدرت هذه المجلة (العدل الاجتماعي) لتسد فراغاً طالما شعرنا به وطالما تمنينا وانتظرنا سده بفارغ الصبر. واعترافاً بجهود أسرة التعليم في العراق وتقديراً لتلك الجهود العظيمة المجحودة قد أعددت فيها مجالاً للعلوم والآداب... وأرجو أن تكون هذه المجلة روضة غناء يلتقي عندها الفقه والقضاء... إلخ».

وجاء في كلمة افتتاح العدد الأول من السنة الثانية:

«لقد افتتحت العدل الاجتماعي بهذا الجزء عامها الثاني، وهي ما زالت تشق طريقها في حياة الصحافة بصعوبة. وتعلن للقراء الكرام أنها ستستمر على خطتها، جاهدة في سبيل رفع المستوى القانوني والفقهية والعلمي والأدبي في البلاد... إلخ».

وأصبح المحامي ناجي مهدي السعيد سكرتير تحرير لها في سنتها الثانية، كما أصبحت سنتها خمسة أعداد.

صدر عددها الأول يوم ١ - ٦ - ١٩٤٧م، وصدر العدد الأول من السنة الثانية يوم ١ - ١٠ - ١٩٤٨م، ثم عطلتها الحكومة على أثر صدور هذا العدد فانقطعت عن الصدور.

٧ - الصياد:

(١٣ - ٣ - ١٩٥٤)

جريدة أسبوعية أدبية انتقادية. صاحبها فاضل الطائي. مديرها المسؤول عبد الجبار السويدي المحامي. كان حجمها في أعدادها الأولى حجم نصف الجريدة، ثم أصبحت بحجم الجريدة ابتداءً من العدد الخامس.

لم نعر على عددها الأول لنقتطف من كلمة الافتتاح ما يحدد منهج الجريدة.

وجاء في العدد السادس عشر منها أنها أصبحت «جريدة يومية عامة تصدر يومي السبت والثلاثاء موقتاً» ولكنها استمرت على الصدور في كل أسبوع مرة. ثم احتجبت بإلغاء امتيازها بصدور قانون المطبوعات لسنة ١٩٥٤م.

٨ - مدينة العلم:

(١ - ٧ - ١٣٧٣هـ - آذار ١٩٥٤م)

مجلة أسبوعية دينية علمية اجتماعية جامعة. تصدر في كل شهر مرة موقتاً. صاحبها ومديرها المسؤول عبدالرسول الخطيب، رئيس التحرير محمد هادي الدفتر.

جاء في كلمة افتتاح العدد الأول:

«نفتتح - باسم الله تعالى - العدد الأول من مجلتنا، حاملين مشعل الإصلاح، مستنيرين بنبراس الإيمان، سائرين على هدى القرآن، مقتدين بسنة رسول الله (ص) عن طريق أهل البيت (ع)... و(مدينة العلم) لا تريد أن تستمد مادتها إلا من روح العلم وخضم العرفان... و صدر مجلتنا يتسع لكل ما يصل إليها من توجيه أو نقد... إلخ».

صدر عددها الأول في رجب: ١٣٧٣هـ - آذار/ ١٩٥٤م.

ثم انقطعت عن الصدور وألغي امتيازها بصدور قانون المطبوعات السنة ١٩٥٤م.

٩ - الوسيلة:

(١٥ - ٧ - ١٣٧٣هـ - ٢٠ - ٣ - ١٩٥٤م)

مجلة علمية أدبية اجتماعية أسبوعية. صاحبها ورئيس تحريرها طارق الخالصي. المدير المسؤول المحامي شاعر الدليمي، سكرتير التحرير عبد الصاحب الخطيب، بحجم ربع الجريدة.

جاء في كلمة افتتاح العدد الأول:

«بعد الاتكال على الله والاعتماد على مؤازرة المخلصين أصدرنا مجلتنا هذه، تحدوننا الرغبة الصادقة لخدمة هذه الأمة الكريمة... وسيكون نهجنا إن شاء الله نشر جواهر العلوم والآداب من مواضيع تلائم هذا العصر... هذا ونرحب بكل اقتراح أو توجيه... إلخ».

صدر العدد الأول منها يوم ١٥ - ٧ - ١٣٧٣هـ - ٢٠ - ٣ - ١٩٥٤م وبعد ظهور عدة أجزاء منها صدر قانون المطبوعات لسنة ١٩٥٤م فاحتجبت عن القراء.

١٠ - الصحيفة:

(٦ - ٤ - ١٩٥٤م)

مجلة سياسية مستقلة، صاحبها ورئيس تحريرها رياض حمزة علي. مديرها المسؤول حمد الشبلي المحامي.

كانت هذه المجلة تصدر في بغداد مرة في الأسبوع، ثم أصبحت ابتداءً من العدد الخامس نصف شهرية. ومنحت إدارة المطبوعات لهذه المجلة حق إصدار (ملحق سياسي أسبوعي) فنقل صاحبها المجلة إلى الكاظمة وأصدر الملحق فيها.

صدر العدد الأول من الملحق برقم (١ - ٨) في ٦ - ٤ - ١٩٥٤م بأربع صفحات من حجم الجريدة. وصدر العدد الثاني منه برقم (٢ - ٨) في ٦ - ٥ - ١٩٥٤م بأربع صفحات أيضاً، ثم تعطلت عن الصدور بتشريع قانون المطبوعات لسنة ١٩٥٤م.

١١ - العلم:

(١٩٥٤م)

«مجلة. صاحبها السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني».

كان صاحبها قد أصدرها في النجف الأشرف عام ١٣٢٨هـ - آذار ١٩١٠م، ثم توقفت عن الصدور بعد سنتين من العمر. وجدد صاحبها إجازتها في عام ١٩٥٤م وصدر العدد الأول من سنتها الثالثة في الكاظمة. ثم ألغي امتيازها بصدور قانون المطبوعات لسنة ١٩٥٤م.

هكذا حدثني الأستاذ جواد الشهرستاني، ولكنني لم أطلع على العدد، وليست لديه نسخة منه.

١٢ - الكتاب:

(١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م)

سلسلة ثقافية. تصدرها مكتبة الإمام الحسن (ع) العامة بإشراف هيئتها المؤسسة.

جاء في كلمة افتتاح العدد الأول:

«كان الهدف الرئيس من تأسيس مكتبة الإمام الحسن (ع) العامة هو نشر الثقافة وبت المعرفة بين صفوف أبناء الوطن، وتهيئة المجال الصالح والجو الملائم للبحث والتنقيب والاطلاع... ولهذا لم يكن تأسيس المكتبة - بمفرده - هدفاً نصل إليه لنجمد عليه... وستعنى هذه السلسلة - كل العناية - بشؤون الكتاب والمكتبات... إلخ».

صدر عددها الأول في عام ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م في (١٠٤) صفحات.

وصدر العدد الثاني في عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م (٨٢) صفحة.

وصدر العدد الثالث في عام ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م خاصاً يضم كتاباً واحداً هو «الإقناع في العروض وتخريج القوافي»، وانقطعت عن الصدور منذ ذلك التاريخ.

١٣ - البلاغ:

(صفر ١٣٨٦هـ - حزيران ١٩٦٦م)

مجلة فكرية جامعة. تصدرها الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية. شهرية. سنتها عشرة أعداد.

جاء في كلمة التحرير في العدد الأول من السنة الأولى:

«ومجلة البلاغ هذه - وهي اللبنة الأولى من لبنات الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية - إن هي إلا خطوة متواضعة في هذه المسيرة الشاقة الطويلة، تحاول أن تتلمس طريقها السوي بتريث وتوأدة... لذلك ترى من خطتها فتح جوانحها الرحبية لكل بحث علمي سديد، وعمل أدبي جيد، ونقد منهجي قويم، وملاحظة مخلصه نافعة... إلخ».

وجاء في كلمة التحرير في العدد الأول من السنة الثانية:

«إن البلاغ لم تستقطب في مسيرتها القصيرة مشاعر القراء فحسب، بل أدت على مستوى الصحافة الرائدة دورها المنتظر في تعزيز الجانب الموضوعي من جوانب حركتنا الثقافية... تؤمن بالحرف أداة توعوية فاعلة، يضئ الطريق، ويخطط للمستقبل، ويشيع المحبة بين الناس... وربما كان من تحصيل الحاصل أن نعيد من جديد - والبلاغ في مفتح سنتها الثانية - طرح هذه الالتزامات، والتأكيد على نية التمسك بها، والسير على هداها بحرارة، ما دامت المجلة تصدر في كل فعاليتها عن مبدأ واضح ترتبط تطلعاته بموازين لا تتأثر من قريب أو بعيد بما تتأثر بها الموازين الوضعية... إلخ».

أتمت المجلة سنتها الأولى، وما زالت في سنتها الثانية، وقد ألغيت إجازتها بصدور قانون المطبوعات لسنة ١٩٦٨م ثم أعيد لها امتيازها.

١٤ - رسالة التوحيد:

(١ - ٧ - ١٣٨٨هـ - تشرين الأول ١٩٦٨م)

«مجلة ثقافية دينية شهرية. تصدرها جمعية التوحيد في الكاظمة. رئيس التحرير عبد الرسول النعمة».

جاء في كلمة افتتاح العدد الأول:

«العقيدة هي قاعدة كل نظام. والتوحيد الركيزة الأساس في عقيدة الإسلام وجميع رسالات السماء... ولأن كانت الأمم لا تستغني عن هذه القاعدة في جميع الأزمنة فإنها أحوج إليها إلى حد الضرورة في زمن تسير فيه الأحداث بلا تأمل أو انتظار... ومهمة رسالة التوحيد هي المساهمة العلمية في توضيح معالم عقيدة التوحيد... بهذا الاستيعاب لمفهوم العقيدة وركيزته الأولى التوحيد تنطلق مجلة «رسالة التوحيد» لتؤدي مهمتها... إلخ». صدرت منها الأعداد ١ و ٢ و ٣.

ثم ألغى امتيازها بصدور قانون المطبوعات لسنة ١٩٦٨م.



مَلَجَاتُ
مِنْ مَلَجَاتِ الْكَاطِبِيَّةِ

إن أول ما نعلمه عن منطقة الأرض التي تجثم «الكاظمية» اليوم في طرفها الشرقي أنها كانت - برواية بعض المؤرخين - جزءاً قريباً من الحدود الفاصلة بين دولة الآشوريين من شمالها والكيشيين من الجنوب؛ في العصور البابلية الأولى؛ أي قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً، ويروى أن منازعات وحروباً قد وقعت فيها أو قريباً منها بين الدولتين (*).

والظاهر أن هذه المنطقة قد حُظيت لسبب أو لآخر - باهتمام خاص من حكومة الكيشيين، حيث نجد أن الملك كوريكالزو الأول ملك الكيشيين يومئذ قد بالغ في العناية بهذا الجزء من رقعة ملكه ببنائه لمدينة «عقرقوف» العظيمة التي كانت تسمى حينذاك «دور - كوريكالزو». ولا تزال آثارها باقية حتى اليوم في جوار الكاظمية على نحو ستة أميال عنها من جهة الغرب، وهي تنطق بالمهارة الفائقة المبذولة في بناء هذه المدينة الكبيرة وصرحها الشاهق.

وتدلنا ضخامة أبنية المدينة وجودة بنائها والإسراف فيه على أنها ظلت مأهولة بالسكان حيناً طويلاً من الدهر، ويرجح كثيراً أنها كانت عاصمة السلالة الكيشية منذ بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد وإلى نهاية تلك السلالة.

(* مجلة الإصلاح: ملحق العدد الأول، ص ٣.

وهكذا تظل «عقرقوف» هي الأثر الأول الذي وصل إلينا علمه في أصل الأرض التي سميت بعض أطرافها بـ«مقابر قريش» ثم «مشهد باب التبن» ثم «المشهد الكاظمي» فـ«الكاظمية» بعد ذلك بعشرات القرون^(١).

وبقيت هذه الأرض مجهولة الحقيقة في العهود التالية للعهد الكيشي؛ كالعهد السلوقي والأحميني والفريسي والساساني^(٢)، وإن رجح في أكثر الظن أنها كانت غير خالية من الحياة والسكان؛ ولو لغرض الزراعة في الأقل.

ويتضح من دراسة الأنهار والقرى والمدن المحيطة بدجلة؛ ابتداءً من «دور - كوريكالزو» في الشمال الغربي حتى «المدائن» في الجنوب الشرقي: أن المنطقة التي شيّد المنصور مدينته عليها - وهي منطقة بغداد

(١) كنا قد أشرنا في مقدمة بحثنا عن «تاريخ المشهد الكاظمي» إلى «عقرقوف» باعتبارها أول ما نعرف من تاريخ هذه الأرض، وكان المرحوم الدكتور مصطفى جواد قد اقترح حذف ذلك لعدم ارتباطه بالموضوع؛ في تقرير قدمه إلى المجمع العلمي العراقي عن الكتاب جاء فيه ما لفظه:

«وصل المؤلف تاريخ هذه المقبرة القديمة بتاريخ بلدة عقرقوف والحكام الكيشيين... فما عقرقوف؟ إن كانت اسم مدينة وهو الصحيح فلم نجد لها صلة خطية بأرض الكاظمية... وإن كانت كورة من الكور فليس موضوع الكتاب تاريخ كور العراق. فالأولى أن يكتفي المؤلف بالأخبار التي تنص على اسم الكاظمية القديم كمقبرة الشونيزي الصغير».

ولكن الدكتور مصطفى جواد - يرحمه الله - عاد فراجع عن هذا الرأي فيما يبدو، حيث تحدث عن «عقرقوف» بأكثر مما تحدثنا فيما كتبه عن «الكاظمية قديماً» في الجزء الأول من قسم الكاظمين من موسوعة العتبات المقدسة: ٩ - ١٠ و ٢٥.

(٢) كانت منطقة الكاظمية تعرف في أيام الساسانيين بطسوج قطربل، وكانت قطربل هذه «متنزهاً للبطالين وحنة للخمارين، وقد أكثر الشعراء من ذكرها» معجم البلدان: ١٢١/٧.

بجانبيها الغربي والشرقي - كانت عامرة بريها ومزارعها منذ أقدم العصور^(١).

وأرض الكاظمية الحالية كانت جزءاً من هذه المنطقة العامرة الخضراء بلا شك، وإن لم نكن نعرف شيئاً من تفصيل ذلك.

وترشدنا كتب البلدان إلى أن القرى والمدن الواقعة جنوب أرض الكاظمية وشرقيها وجنوبها الغربي - قبل الإسلام - كانت كثيرة متعددة تتسلسل وتتلاحق حتى تصل إلى مدينة «المدائن» الضخمة شرقي دجلة و«سلوقية» الكبرى غربيها، وكلتا المدينتين الأخيرتين عاصمة كبيرة لدولة كبيرة، وتعدان من العواصم الفخمة الرائعة في تلك العهود.

ومن أقرب تلك القرى إلى أرض الكاظمية قرية «سونايا» التي كانت واقعة في الجنوب الشرقي للكاظمية الحالية، وهي «قرية قديمة... ينسب إليها العنب الأسود الذي يتقدم ويبكر على سائر العنب مجناه، ولما عمرت بغداد دخلت هذه القرية في العمارة وصارت محلة تعرف بالعتيقة لذلك، وبها مشهد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(٢) يُعرف بمشهد المنطقة^(٣)، وما زالت تسمى حتى اليوم بـ «المنطقة» بين الكاظمية والكرخ.

وآخر عهدنا بأرض الكاظمية قبل تأسيس بغداد أنها كانت تسمى «الشونيزي»، فإن صدقت الرواية فمقتضاها أن هذه التسمية قد أطلقت بعد انتهاء العهد الساساني، لأن التسمية عربية، والشونيز في اللغة هو الحبة السوداء، والنسبة إليها شونيزي.

(١) بغداد قديماً وحديثاً: ٤٠.

(٢) معجم البلدان: ١٧٩/٥.

(٣) مرصد الاطلاع: ٢٢٩.

ويروي الخطيب البغدادي ما سمعه بصدد هذه التسمية فيقول: «سمعت بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير، والمقبرة التي وراء التوتة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير، وكان أخوان يقال لكل واحد منهما - الشونيزي - فدفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه»^(١).

ويستفاد من روايات بعض المؤرخين أن المنطقة المجاورة لموضع الكاظمية من جهة الشرق كانت قبل إنشاء مدينة المنصور بستاناً لبعض ملوك فارس، ثم أقطعها المنصور عمارة بن حمزة أحد مواليه؛ فسميت دار عمارة^(٢).



وفي عام ١٤٥هـ، ابتدأ المنصور العباسي بتأسيس مدينته المدورة «بغداد»^(٣)، واستتم البناء في رواية الخطيب البغدادي في سنة ١٤٦هـ^(٤)، ثم استتم بناء سور المدينة وفرغ من خندقها وسائر شؤونها في سنة ١٤٩هـ^(٥).

ولما أنهى المنصور عمارة مدينته اقتطع مقبرة «الشونيزي الصغير» المجاورة لمدينته من جهة الشمال فجعلها مقبرة^(٦)، ولعله اعتبرها خاصة بعائلته وأسرته فسامها «مقابر قريش»، وربما اختار لفظ «قريش» ليشير

(١) تاريخ بغداد: ١٢٢/١، ومثله في وفيات الأعيان: ١٠٣/٢.

(٢) معجم البلدان: ١٠/٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٣٤/٦ وتاريخ بغداد: ٦٦/١.

(٤) تاريخ بغداد: ٦٦/١.

(٥) تاريخ الطبري: ٢٨٥/٦.

(٦) معجم البلدان: ١٠٧/٨.

إلى مشاركة العلويين والعباسيين في الدفن فيها، وقد تسمى أيضاً «مقابر بني هاشم»^(١) ويروي الشيخ المفيد أنها كانت مقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس^(٢).

ومع مرور الأيام درس اسمها «الشونيزي الصغير»، واشتهرت باسمها الجديد «مقابر قريش».

وكان أول من دفن في هذه المقابر جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور، وذلك في سنة ١٥٠هـ^(٣)، ثم توالى الدفن فيها بعد ذلك^(٤).

وفي عام ١٨٣هـ لخمس بقين من رجب توفي الإمام موسى^(٥) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، وكان قد دس إليه السم من قبل السندي بن شاهك ففضى عليه^(٦)، وحمل جثمانه الطاهر إلى مقابر قريش فدفن هناك حيث قبره الشريف الآن.

وذهب بعض المؤرخين إلى أنه «دفن في موضع كان ابتاعه لنفسه في مقابر قريش»^(٧)، فإن صحت هذه الرواية فإنها لتدل على مقدار ما حظيت به هذه الأرض من الأهمية خلال مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة عقود من السنين.

(١) تاريخ الطبري: ٣٠١/٦ وكشف الغمة: ٢٤٩ والبداية والنهاية: ١٠٧/١٠.

(٢) الإرشاد: ٣٢٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٨٨/٦ وتاريخ بغداد: ١٢٠/١.

(٤) دفن فيها الهيثم بن معاوية سنة ١٥٦هـ والخيزران أم الرشيد - على رواية ابن الأثير - سنة ١٧٣هـ.

(٥) تاريخ الطبري: ٤٧٢/٦ وتاريخ بغداد: ٣٢/١٣ والكامل: ١٠٨/٥ ووفيات

الأعيان: ٣٩٥/٤ والبداية والنهاية: ١٨٣/١٠.

(٦) الإرشاد: ٣٢٣.

(٧) إثبات الوصية: ١٦٤.

واشتهر مدفن الإمام بعد ذلك باسم «مشهد باب التبن» نسبة إلى باب التبن الذي كان في شرقيه مما يقرب من دجلة^(١)، كما أن المسجد المجاور لقبر الإمام (ع) كان يسمى «مسجد باب التبن» أيضاً^(٢).

وفي عام ٢٢٠ هـ في آخر ذي القعدة أو لخمس أو لست خلون من ذي الحجة توفي ببغداد الإمام أبو جعفر محمد الجواد^(٣)، بن علي الرضا بن موسى بن جعفر (ع)، ودفن في تربة جده أبي إبراهيم موسى بن جعفر (ع)^(٤).

وأصبح السكن حول مقابر قريش - بعد دفن الإمامين فيها - في ازدياد واتساع على مرور الأيام، وإن لم نعثر في المصادر التاريخية على نص خاص يحدد لنا تاريخاً تحقيقياً لبدء السكنى هناك.

والواقع أننا لو أمعنا النظر جلياً في الموقع الجغرافي لـ«مقابر قريش» يومذاك من حيث قربها من دجلة وجودة تربتها ومجاورتها للقرى والأرياف والمزارع الوارفة الظلال؛ لخرجنا بترجيح يشبه الاعتقاد بكون السكنى في هذه المنطقة قديماً قدم الماء والخضراء، ولكنه ازداد اتساعاً بعد تأسيس المنصور مدينته قريبة منها واختيارها عاصمة الدولة العباسية، ثم أخذ طريقة التجمع والتقارب بعد دفن الإمامين (ع)، حيث دفعت العقيدة الدينية بعض الناس إلى السكنى حول المشهد لحمايته وإدارته وإيواء زائريه إضافة إلى قصد الانتفاع المادي من أولئك الزائرين بتقديم

(١) معجم البلدان: ١٤/٢.

(٢) صدى الفؤاد: ١١.

(٣) الإرشاد: ٣٣٩ وتاريخ بغداد: ٥٥/٣ والفصول المهمة: ٢٥٧ وتذكرة الخواص: - ٣٧٣ ووفيات الأعيان: ٣/٣١٥.

(٤) إثبات الوصية: ١٨٦.

المأكل والمشرب والمأوى لهم، وكان هذا التجمع حول المشهد هو النواة الأولى لمدينة الكاظمية.

ويستفاد من مجموع النصوص التاريخية المتعلقة بالعصر العباسي الأول أن هذه المنطقة المغمورة قد قفزت قفزات واسعة إلى الإمام فأصبحت جزءاً متصلاً ببغداد، بل محلة من محلاتها، وصارت تحدد يومذاك بكونها بين الحربية ومقبرة ابن حنبل والحريم الطاهري^(١)، في الوقت الذي كانت فيه بغداد من الصراة إلى باب التين ثم زيد فيها حتى بلغت كلواذي والمخرم وقطربل^(٢).

ومعنى ذلك أن «مقابر قريش» كانت متصلة بالمحلات الآتية:

١ - باب التين: وهو محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطعة أم جعفر، ويلصق هذا الموضع في مقابر قريش، وكانت في عصر ياقوت خراباً صحراء يزرع فيها^(٣).

٢ - قطعة أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور: محلة ببغداد عند باب التين قرب الحريم^(٤).

٣ - الحريم الطاهري: وهو بأعلى بغداد في الجانب الغربي بين الكاظمية والمنطقة، منسوب إلى طاهر بن الحسين. ويروي ياقوت أن العمارات كانت متصلة وهو في وسطها، ثم خرب جميع ما حوله وبقي كالبلدة المفردة في وسط الخراب^(٥).

٤ - دار عمارة: منسوبة لعمارة بن حمزة أحد موالي المنصور،

(١) معجم البلدان: ١٠٧/٨.

(٢) نفس المصدر: ٢٣١/٢.

(٣) نفس المصدر: ١٤/٢.

(٤) نفس المصدر: ١٢٩/٧.

(٥) نفس المصدر: ٢٦٥/٣ ويراجع تلخيص ابن الفوطي: ٤/٤ ق/٤ ٧٦٩ ح.

ويتصل بها ربض أبي حنيفة وربض عثمان بن نهيك، وهو ما بين دار عمارة ومقابر قريش^(١).

٥ - ربض أبي حنيفة أحد قواد المنصور: محلة كانت ببغداد قرب الحريم الطاهري تتصل بباب التبن من مقابر قريش^(٢).

٦ - الحربية: وهي محلة مشهورة كبيرة عند باب حرب في شمال الكاظمية الغربي تنسب إلى حرب البلخي من قواد المنصور، وقد خرب جميع ما كان يجاورها في عصر ياقوت وبقيت وحدها كالبلدة المفردة في وسط الصحراء^(٣).

ويتضح من هذا كله أن مقابر قريش بعد أن أصبحت تعد جزءاً من بغداد ومحلة من محلاتها صارت منطقة عامرة بالسكان زاخرة بالعمران، شأنها في ذلك شأن سائر المحلات البغدادية الشرقية والغربية.

وفي أوائل القرن الرابع كانت المنازل حول مقابر قريش كثيرة، وكان بعض تلك المنازل مشتملاً على حجر ولكل حجرة باب أو أكثر، ويرشدنا إلى ذلك ما رواه مسكويه في حوادث سنة ٣١٢هـ^(٤).



وفي عام ٣٣٤هـ سيطر معز الدولة البويهبي على أزمة الحكم في بغداد، وكان من جملة أعماله خلال أيام ملكه: تشييد المرقد الكاظمي تشييداً رائعاً في عمارته وإنزال جماعة من الجنود الديالمة ومعهم أفراد

(١) نفس المصدر: ١٠/٤.

(٢) نفس المصدر: ٢٢٣/٤.

(٣) نفس المصدر ٢٤٥/٣ ويراجع تلخيص ابن الفوطي: ٤/١/٥ ح.

(٤) تجارب الأمم: ١٣١/٥.

من المراوزة هناك لغرض الخدمة والحفاظ على الأمن^(١). وكان ذلك سبباً جديداً وذا أهمية في توسع السكن وانتشار الدور حول المشهد.

وكان من جملة آثار استتباب الأمن في العهد البويهبي والتصاق - أو اندماج - مقابر قريش ببغداد: ذهاب الناس في أعداد غفيرة إليها في الجمعات والمواسم والمناسبات الدينية، ولا بد أنه كان في المشهد وحوله من محلات الراحة والأكل والشرب والوقاية من البرد والمطر وشمس الصيف ما يناسب تلك الأعداد الضخمة التي كانت تهرع إلى المشهد في كل مناسبة دينية كذكرى عيد الغدير^(٢)، وذكرى مقتل الحسين (ع) يوم عاشوراء^(٣)، وفيما شابه ذلك من المناسبات^(٤).

وفي سنة ٣٦٧هـ أصيبت البلدة بالغرق^(٥)، ولم تصلنا تفاصيل ذلك.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع تأصل السكن في هذه المدينة حتى صح أن يطلق على المقيمين هناك اسم السكان؛ كما حدث عندما أمر عضد الدولة البويهبي بإطلاق الصلات لأهل الشرف وغيرهم من ذوي الفاقة^(٦).

وكان من أسباب ازدياد العمران في هذه المدينة الناشئة أن أبا طاهر سباشي الملقب بالسعيد حاجب شرف الدولة بن عضد الدولة قام بحفر ذنابة لنهر دجيل وسوق الماء منها إلى مشهد موسى بن جعفر (ع)^(٧)،

(١) صدى الفؤاد: ١١ - ١٢.

(٢) تجارب الأمم: ٢٠٠/٦ هامش -.

(٣) الكامل: ٥٣/٨ والمتنظم: ٦٢/٨ و١٤٠.

(٤) تجارب الأمم: ٤٠٧/٦ والنجوم الزاهرة ٤٩/٥.

(٥) الكامل: ٩٣/٧.

(٦) تجارب الأمم: ٤٠٧/٦.

(٧) فرحة الغرى: ١٣.

وكان ذلك ما بين عامي ٣٧٦ - ٣٧٩ هـ، وهي أعوام مكث شرف الدولة ببغداد.

ويستفاد من النصوص التاريخية المتعلقة بتلك الفترة تزايد السكان حول المشهد في أواسط القرن الخامس؛ وأن كثيراً منهم من العلويين، كما يستفاد منها أيضاً وجود دور للسكنى داخل سوء المشهد ودور خارجه^(١)، وجاء في رواية ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٠ هـ، ما نصه: «وَحُمِلَ الخليفة إلى المشهد بمقابر قريش وقيل له: تبيت فيها، فامتنع وقال: هؤلاء العلويون الذين بها يعادوني»^(٢).

وفي غرق سنة ٤٦٦ هـ - وكان بالغ الخطر - تهدم سور المشهد^(٣)، وتقضي العادة بتأثر ما يحيط بالمشهد من الدور بالماء، ولكننا لم نعرف تفصيله.

وفي فتنه سنة ٥١٧ هـ، جاء العلويون الساكنون حول المشهد إلى ديوان الخليفة يشكون ما أصابهم وأصاب المشهد^(٤)، وهو الأمر الذي يدل على سكنى عدد كبير منهم هناك.

وتأثرت بلدة المشهد الكاظمي بغرق سنة ٥٥٤ هـ^(٥)، ثم بغرق سنة ٥٦٩ هـ، وكان الغرق الثاني شديداً جداً أدى إلى هدم البيوت وأكثر سور المشهد^(٦).

والظاهر أن البلدة قد أصبحت مأهولة بالسكان بنحو يصح أن يقال

(١) الكامل: ٥٩/٨.

(٢) المنتظم: ١٩٤/٨ ويراجع نفس الجزء: ٢١٢.

(٣) الكامل: ١١٩/٨ والمنتظم: ٢٨٦/٨.

(٤) الكامل: ٣١١/٨ والمنتظم: ٢٤٣/٩.

(٥) مرآة الزمان: ٣٥٩/٨.

(٦) المنتظم: ٢٤٥/١٠.

فيه «أهل مشهد موسى بن جعفر» كما يقال «أهل الكرخ» أو «أهل المختارة»، وكانوا كثيرون العدد ويروى أن نائب الوزارة ابن العطار أساء إليهم بقسوة بالغة وقطع أرزاقهم وبدد شملهم^(١).

ولما حدث فيضان سنة ٦١٤هـ، أثر في المشهد ومدينته أثراً بالغاً^(٢)، وقام الناصر لدين الله بتعمير ما خربه الماء كما شيد سوراً جديداً للمشهد، وتم ذلك في نفس السنة ٦١٤هـ^(٣).

وعندما حدث فيضان سنة ٦٤٦هـ، وكان فظيلاً جداً أثر في مدينة المشهد أثراً كبيراً^(٤)، وكذلك فيضان سنة ٦٥٤هـ^(٥).

ويحسن بنا وقد انتهينا إلى أواسط القرن السابع أن نقف قليلاً لنرى ما طرأ على هذه المنطقة من تطور وتقدم خلال العصر العباسي الطويل الحافل. والمشاهد أن هذه الأرض قد سارت بخطى سريعة في طريق الازدهار، فانتقلت - في فترة قصيرة من عمر الزمان - من مقبرة خاصة ببني هاشم أو القرشيين والأشراف من الناس إلى مشهد زاهر خاص بالإمامين الكاظم والجواد - (ع) -، ثم إلى محلة من محلات بغداد العامرة المشهورة، وأخيراً إلى مدينة قائمة بنفسها فيها كل معالم المدن ومرافقها الرئيسية.

وهكذا انطوى العصر العباسي وبلدة المشهد الكاظمي «محلة عامرة، فيها خلق كثير، ذات سور، مفردة»^(٦).

(١) مرآة الزمان: ٣٥٩/٨.

(٢) الكامل: ٣١٦/٩.

(٣) صدى الفؤاد: ١٤.

(٤) الحوادث الجامعة: ٢٣٠.

(٥) نفس المصدر: ٣١٧.

(٦) معجم البلدان: ١٤/٢ و ١٠٧/٨.

ولم نعر في ما بين أيدينا من مصادر على تحديد لتاريخ انفرادها عن بغداد وصيرورتها مدينة ذات كيان خاص، ولكن الراجع أن ذلك قد تحقق في أواسط القرن الخامس إثر الفتن والاضطرابات التي عمت العراق وخصت بغداد نفسها، فدمرت البلاد، وأشاعت الخراب^(١)، وسببت انكماش بغداد على نفسها، فانفردت الكاظمية عنها على أثر هذا الضمور والانكماش.

ولما كان خراب بغداد قد ظهر أثره في أوائل القرن الخامس^(٢) فإن بدء استقلال مدينة الكاظمية كان في هذه الفترة أيضاً، وربما يؤكد ذلك ويؤيده تعيين النقباء الخاصين بالمشهد الكاظمي - ابتداءً من أوائل القرن الخامس^(٣) - ولم يكن قبل ذلك، حيث يرشدنا إلى بدء انفراد البلدة وازدحامها بالسكان أيضاً بالشكل الذي تدعو فيه الحاجة إلى تعيين نقيب خاص بها غير نقيب العلويين أو الطالبين ببغداد.

ومهما يكن من أمر، فإن بلدة المشهد الكاظمي قد أصبحت في أخريات العصر العباسي مدينة مفردة تضم سائر مقتضيات المدن ومرافقها؛ من دور وسكان وعمارة ومؤسسات. ونوجز في أدناه - لزيادة الإيضاح - جريدة ببعض تلك المشتملات:

كان المشهد في وسط المدينة قريباً من طرفها الشمالي الغربي، وقد اشتمل على: قبة فخمة. صندوقين من الخشب الجيد على القبرين. أبهاء وأروقة حول الروضة. أبواب متعددة. صحن فيه حجر وإيوان واحد أو أكثر، ترب كثيرة حول المشهد، سور يحيط بالمشهد كله^(٤).

(١) مختصر مناقب بغداد: ٣٣، ويراجع في خراب بغداد في ذلك الوقت تاريخ بغداد: ١٠٥/١ وبغداد قديماً وحديثاً: ١٥٠.

(٢) أحسن التقاسيم: ١٢٠.

(٣) يراجع في النقابة والنقباء تاريخ المشهد الكاظمي: ١٨٨ - ١٩٦.

(٤) تاريخ المشهد الكاظمي: ٤٣ - ٤٥.

دار للأيتام^(١).

دار قرآن لتعليم الخط والقراءة والقرآن الكريم^(٢).

مكان خاص لدراسة الفقه والحديث^(٣).

مكتبة^(٤).

دار لاستراحة الزائرين^(٥) وإطعامهم في شهر رمضان في الأقل^(٦).

مارستان «مستشفى» فيه الأدوية والأشربة والمعاجين^(٧).

نقيب يشرف على شؤون المشهد والبلدة.

وكانت المناسبات الدينية - في هذه الفترة الأخيرة من العصر

العباسي - غاصة بجماهير الزائرين، وفيهم الخليفة ووزراؤه^(٨).

ثم كانت أسر علوية متعددة - في هذه الفترة - قد اختارت الكاظمية

مقرّاً لسكنائها كـ «بني الحداد» و«بني نازوك» و«بني الحطب» و«بني

العقروق»^(٩) وآخرين غيرهم.

كما كان من جملة سكاّنها أعلام فقهاء وأدباء مبرزون وعلماء دين

لامعون؛ عرفنا منهم أفراداً وضاع عتّا الباقون؛ بسبب إهمال التاريخ لهم

(١) الفخري: ٢٨٦.

(٢) تجارب السلف: ٣٣٧.

(٣) مرآة الزمان: ٥٥٦/٨.

(٤) الإقبال: ٥٩٩ وفرحة الغرى: ١٢٣ وتجارب السلف: ٣٣٧.

(٥) صدى الفؤاد: ١٤.

(٦) الكامل: ٢٩٨/٩.

(٧) تجارب السلف: ٣٣٧.

(٨) الجامع المختصر: ١٤٦/٩ والحوادث الجامعة: ٩٥ و١٨٤ و١٨٥.

(٩) عمدة الطالب: ٦٨ و١٨٩ و٢٥٦ و٢٨٩.

أو نسبتهم إلى بغداد؛ تغليباً لها على كل ما يجاورها من محلات وبقاع.

وكان من جملة من عرفنا من هؤلاء الساكنين في هذه الفترة:

١ - أبو الحسن، علي بن زيد بن محمد بن العباس، المعروف بابن صفية - وهي جارية -، وكان القرامطة قد أسروا جده محمد بن العباس سنة ٣٢٣هـ وهو خارج في ليلة الجمعة إلى مشهد أمير المؤمنين (ع)، ومضوا به إلى هجر، ثم عاد من الأسر في شوال سنة ٣٤٩هـ^(١).

٢ - الناصر العلوي الموسوي الشاعر، كان حياً إلى سنة ٥٩٧هـ^(٢).

٣ - «رافع بن علي بن رافع، أبو البدر، العلوي، الموسوي، من ساكني مشهد الإمام موسى بن جعفر (ع)، علوي خير. سمع من أبي علي أحمد بن محمد بن الرحبي وغيره، وله شعر، سمعنا منه. قرئ علي أبي البدر رافع بن علي وأنا أسمع، قيل له: أخبركم أبو علي أحمد بن محمد بن أحمد بن الرحبي العطار قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به قال: أنبأ أبو العز محمد بن المختار بن محمد قراءة عليه قال: أنبأ أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن لولو قال: أنبأ أبو بكر محمد بن إسماعيل الوراق قال: حدثني أبي ويحيى بن صاعد قال: ثنا علي بن حرب الطائي قال: ثنا أبو الصلت الهروي - وهو عبد السلام بن صالح -، حدثني علي بن موسى الرضا، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب (ع)

(١) نفس المصدر: ٢٥٩.

(٢) مرآة الزمان: ٥٠٠/٨.

قال: قال رسول الله (ص): الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان^(١).

٤ - «علي بن محمد بن أبي منصور بن أبي الغنائم صاحب الحاتم ابن أبي غالب محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسن ابن عيسى الرومي بن محمد الأزرق بن عيسى الرومي النقيب بن محمد بن علي العريضي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب... سكن بمشهد موسى بن جعفر رضي الله عنهما ببغداد مدة... توفي بالحلة في سنة ثمان وستمائة»^(٢).

٥ - الفقيه محمد بن الحسن العلوي الحسيني، الراوي عن القطب الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣هـ. روى عنه السيد علي رضي الدين آل طاووس بواسطة محمد بن عبدالله بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي^(٣)، ولعله محمد بن الحسن بن أحمد المنتهي بنسبه آل زيد الشهيد، والمشتهر بلقبه بهاء الشرف ونجم الدين^(٤).

٦ - الوزير أبو الحسن نصير الدين ناصر بن مهدي بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مهدي بن الناصر بن زيد المنتهي بنسبه إلى الحسن بن علي (ع). «مازندراني المولد والأصل، رازي المنشأ، بغدادي التدبير والوفاة»^(٥).

«كان من كفاة الرجال وفضلائهم وأعيانهم وذوي الميزة منهم،

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي: ٥٣/٢ «مخطوط مصور بمكتبة معهد الدراسات الإسلامية ببغداد».

(٢) جزء من تاريخ ابن النجار (الورقة ٢٤) «مخطوط مصور بمكتبة معهد الدراسات الإسلامية ببغداد».

(٣) فرحة الغرى: ١١٧.

(٤) الفوائد الرضوية: ٤٥١/٢.

(٥) تاريخ الفخري: ٢٨٣.

اشتغل بالآداب في صباه فحصل منها طرفاً صالحاً... وكان في ابتداء أمره ينوب عن النقيب عز الدين المرتضى القمي نقيب بلاد العجم كلها، ومنه استفاد قوانين الرئاسة... فلما قُتِل النقيب عز الدين هرب ولده النقيب شرف الدين محمد وقصد مدينة السلام مستجيراً بالخليفة الناصر، وصحبته نائبه نصير الدين بن المهدي... فاخبره الناصر فرآه عاقلاً لبيباً سديداً، فصار يستشير به سرّاً فيما يتعلق بملوك الأطراف، فوجد عنده خبرة تامة... فاستخلصه لنفسه، ورتبه أولاً نقيب الطالبين، ثم فوض إليه أمور الوزارة^(١) نيابة في سنة ٥٩٢هـ، وأصالة في سنة ٦٠٢هـ؛ حيث «خلع عليه الخليفة خلعة الوزارة: القميص والدراعة والعمامة، وخرج من باب الحجرة فقدم له فرس من خيل الخليفة» وعمل له من المراسم ما استغرب منه الناس^(٢).

«وقبض عليه الناصر كارهاً؛ لأمر اقتضت ذلك، وكان القبض عليه في سنة أربع وستمائة»^(٣) في جمادى الآخرة، واختلف الناس في سبب عزله^(٤). ثم طلب الوزير المعزول من الخليفة أن «يمكّن من المقام في المشهد [الكاظمي] أسوة ببعض العلويين»^(٥)، فبقي ساكناً هناك إلى أن توفي في سنة ٦١٧هـ^(٦).

٧ - السيد النقيب رضي الدين علي بن سعد الدين أبي إبراهيم، موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبد الله

-
- (١) نفس المصدر: ٢٨٣ - ٢٨٤ ويراجع عمدة الطالب: ٦٢.
 (٢) مرآة الزمان: ٥٢٥/٨، ويراجع في بعض ما قيل في مدحه من الشعر: تكملة إكمال الإكمال: ٣١٥ ح.
 (٣) تاريخ الفخري: ٢٨٤.
 (٤) يراجع في أسباب العزل: مرآة الزمان: ٥٣٣/٨ - ٥٣٤ وعمدة الطالب: ٦٣.
 (٥) الكامل: ٢٩٨/٩.
 (٦) نفس المصدر والصفحة.

محمد الطاووس، المنتهي بنسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)^(١)، المولود قبل ظهر يوم الخميس منتصف المحرم سنة ٥٨٩هـ بالحلة^(٢)، والمتوفى يوم الاثنين خامس ذي القعدة سنة ٦٦٤هـ^(٣)، توجه إلى المشهد الكاظمي وأقام به^(٤) مدة من الزمن.

٨ - محمود بن محمد^(٥).

٩ - حيدر بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين الأشقر^(٦).

١٠ - ذرية علي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد ابن عبيد الله الخامس^(٧).

١١ - عقب أبي محمد الحسن بن أبي البركات يحيى بن أبي محمد الحسن بن أبي البركات سعد الله العلوي^(٨).



وفي الشهر الأول من عام ٦٥٦هـ حاصر الجيش المغولي بغداد، وتم احتلالها يوم الاثنين الثامن عشر من المحرم^(٩) أو بعد ذلك بأيام، ورافق هذا الاحتلال عدد من حوادث التخريب والتلف وضروب من المصائب والنكبات.

(١) يراجع بحثنا عن حياة السيد علي ومؤلفاته [المجلد الحادي عشر من هذه الموسوعة].

(٢) كشف المحجة: ٤.

(٣) الحوادث الجامعة: ٣٥٦.

(٤) كشف المحجة: ١١١.

(٥) فرح المهموم: ١٢٦.

(٦) عمدة الطالب: ٢٠٥.

(٧) نفس المصدر: ٣٢١.

(٨) نفس المصدر: ٢٠٠.

(٩) الإقبال: ٥٨٦.

وعلى الرغم من خروج بلدة المشهد الكاظمي عن خط زحف الجيش المحتل وعدم وجود أية قوة عسكرية عباسية فيها فقد أصيبت بشيء من ذلك الخراب العام؛ كما أصيب المشهد نفسه بالحريق. وسارع الوزير ابن العلقمي إلى الأمر بإصلاح ما تلف وتجديد ما اندثر من البلدة، كما قام صدر الوقوف شهاب الدين علي بن عبد الله بعمارة ما أتلّفه الحريق في المشهد المطهر^(١).

وما إن أطل القرن الثامن حتى كانت المدينة قد سارت أشواطاً في طريق تقدمها، عاجّة بسكانها، صاخبة بزوارها والقادمين إليها.

ويصفها حمد الله المستوفي - في أوائل القرن الثامن - فيقول: إنها مدينة صغيرة يبلغ طول محيطها حوالي ستة آلاف خطوة؛ وإن سكانها ستة آلاف نسمة^(٢).

ويشير إليها صلاح الدين الصفدي في أثناء حديثه عن بغداد ومحلاتها السبعة، فيعتبرها خامسة تلك المحلات وأنها مسورة^(٣).

أما الحنبلي فيذكر أنها «محلة فيها خلق كثير، وعليها سور»^(٤).

وبدأ استعمال لقب «كاظمي» في هذه الفترة، حيث جاء في ترجمة السيد عبد الكريم آل طاووس - وهو من سكان الكاظمية في أواخر القرن السابع - أنه «حلي المنشأ، بغدادي التحصيل، كاظمي الخاتمة»^(٥).

والمؤسف أن تظل معلوماتنا عن هذه الفترة وما طرأ على الكاظمية

(١) جامع التواريخ: ٢٩٣ - ٢٩٥ وصدى الفؤاد: ١٥.

(٢) نزهة القلوب: ٣٥.

(٣) الغيث المسجم: ٦٣/١ - ٦٤.

(٤) مراصد الاطلاع: ٣٧٧.

(٥) رجال ابن داوود.

خلالها ضئيلة جداً بل بحكم العدم. ونقدم في أدناه جريدة بالحوادث والمآسي التي أصابت البلدة في الفترة المبتدئة بالاحتلال المغولي والمنتھية بالاحتلال الصفوي، وهو ما أمكننا العثور عليه في مجموع ما رجعنا إليه من كتب ومراجع.

غرق بغداد وأطرافها بما فيها مقبرة أحمد بن حنبل سنة ٧٢٥هـ، «وذكر بعضهم أنه غرق بالجانب الغربي نحو من ستة آلاف وستمائة بيت»^(١).

طاعون عام انتقل من أطراف الدجيل إلى الكاظمية ثم بغداد سنة ٧٤٩ - ٧٥٠هـ، وكان ممن مات به من سكان الكاظمية نقيها علي بن عبد الكريم بن أحمد العلوي^(٢).

فيضان عظيم سنة ٧٥٧هـ^(٣).

غرق أطراف بغداد سنة ٧٦٥هـ^(٤).

غرق بغداد وأطرافها سنة ٧٧٥هـ، حيث «صارت الرصافة والمشاهد والمزارات ومنها مشهد أحمد لا يوصل إليها إلا في المراكب»^(٥).

خراب وقتل ونهب في بغداد وما حولها سنة ٧٩٥هـ^(٦).

(١) البداية والنهاية: ١١٨/١٤ وشذرات الذهب: ٦٦/٦.

(٢) شذرات الذهب: ١٥٨/٦ ومشهد الكاظمين: ١٣.

(٣) العراق بين احتلالين: ٨٣/٢.

(٤) نفس المصدر: ١١٠/٢.

(٥) نفس المصدر: ١٣٢/٢.

(٦) شذرات الذهب: ٣٧٧/٦.

وباء وغلاء سنة ٧٩٧هـ^(١).

طاعون في العراق سنة ٨١٩هـ، حتى «كادت البلدان تخلو من أهاليها»^(٢).

خراب وغلاء ووباء وجراد في العراق والجزيرة سنة ٨٣٥هـ^(٣).

وباء عام في بغداد وجميع البلاد المجاورة لها أهلك الحرث والنسل سنة ٨٤١هـ^(٤).

ثلج عظيم أهلك النخل والشجر سنة ٨٥٨هـ^(٥).

طاعون مات فيه خلق كثير ببغداد والمناطق الشمالية سنة ٨٧٤هـ^(٦).

طاعون عام سنة ٨٩٧هـ، «قيل إن ربع أهل الأرض ماتوا به»^(٧).



وفي أوائل القرن العاشر الهجري دخلت الكاظمية عهداً جديداً من الشأن والاستقلال الإداري الداخلي، وأصبحت مدينة لها كيانه ودورها في الشؤون العامة.

وبدأت الخطوات الأولى نحو هذا العهد الجديد في سنة ٩١٤هـ -

(١) العراق بين احتلالين: ٢٤٤/٢.

(٢) نفس المصدر: ٤٢/٣.

(٣) شذرات الذهب: ٢١١/٧ والعراق بين احتلالين: ٨٠/٣.

(٤) العراق بين احتلالين: ٩٩/٣.

(٥) نفس المصدر: ١٤٥/٣.

(٦) نفس المصدر: ٢٣٩/٣.

(٧) شذرات الذهب: ٣٥٩/٧.

وهي سنة سيطرة الصفويين على العراق -، فقد زار الشاه إسماعيل الصفوي الكاظمية وأمر بتشكيل إدارة خاصة بالبلدة ومحكمة شرعية يرأسها قاض يحمل لقب «شيخ الإسلام» - وقد عين الشيخ عبد الله قنديل بهذا المنصب -، كما أمر الشاه بتشييد المشهد الكاظمي تشييداً رائعاً فخماً وتعيين الرواتب لخدام المشهد والمسؤولين عنه^(١).

وعندما زال الاحتلال الصفوي وتمّ للسلطان سليمان القانوني احتلال العراق سنة ٩٤١هـ لم يتغير وضع الكاظمية السابق، ولما زارها السلطان أمر باكمال بعض ما لم يتم من عمارة المشهد، وأقر رواتب سدنة المشهد والعاملين به^(٢).



وحفلت القرون الأربعة الأخيرة - أي منذ الاحتلال الصفوي إلى نهاية الاحتلال العثماني - بما لا يمكن وصفه من مآسي الأوبئة والطواعين والغرق، وكانت من العنف والشدة والتتابع بشكل حدّ من تطور الكاظمية بل تطور العراق كله إلى أبعد الحدود.

وحسبك من فظائع الأوبئة والطواعين والحميات القاتلة طاعون سنة (٩٦٣) وكان قد عم العراق كله، وطاعون سنة (١٠٤٥) الذي استولى على العراق أيضاً، ووباء سنة (١٠٨٠) الذي كان يموت به نحو ٥٠ - ٧٠ نسمة يومياً، وطاعون (١١٠١) الذي مات بسببه أكثر من مائة ألف نسمة، وطاعون (١١٠٢) الذي بلغت الوفيات به نحو ألف نسمة يومياً، وطاعون (١١٣١) الذي هلك فيه عدد كثير لا يحصى، وطاعون

(١) يراجع في تفاصيل العمارة الصفوية للمشهد كتابنا «تاريخ المشهد الكاظمي» [المتقدم في هذا المجلد]: ٥٧ - ٧٤.

(٢) تاريخ المشهد الكاظمي [المتقدم في هذا المجلد]: ٧٥ - ٧٧.

(١١٥٢)، وطاعون (١١٨٦) الذي مات في اليوم الأول منه نحو سبعين ألفاً وفي الأيام التالية ما لم يحص عدداً، وطاعون (١٢١٦)، وطاعون (١٢٤٦ - ١٢٤٧) الذي صار الناس فيه يرمون الموتى في دجلة، وطاعون (١٢٦٢)، ووباء (١٢٩٤) و(١٢٩٨) و(١٣٠٢) و(١٣٢٨) هـ^(١).

وحسبك من مآسي الغرق والفيضانات: فيضان سنة (١٠٦٨) و(١١٠٥) وفيضان (١١٨٦) الذي غمر دور الكاظمية وطرقاتها، وفيضان (١٢٠٢)، وفيضان (١٢٤٦) الذي غمر الكاظمية ووصل الماء فيه إلى الصحن الكاظمي، وفيضان (١٢٥٥) و(١٢٦٠)، وفيضان (١٢٦٦) الذي نبع فيه الماء في دور الكاظمية وفي الحرم المطهر، وفيضان (١٢٩٤) الذي دخل الماء فيه أزقة الكاظمية، وفيضان (١٣٠١) و(١٣٠٢) و(١٣٠٦) و(١٣١٧) و(١٣٣٣) هـ^(٢).

هذا كله مضافاً إلى هجوم الجيش التركي على الكاظمية سنة (١٠٤٨) وقحط سنة (١١٠٠ - ١١٠١ هـ)، وزلزال سنة (١١١٤ هـ)، الذي أعقبه ربح السموم، والتلف الزراعي الذي حدث سنة (١١١٧) بسبب المطر والبرّد (الحالوب)، وهجوم شمر على الكاظمية سنة (١١٧٢)، ومجاعة سنة (١٢٠٠)، وهجوم بعض العشائر على الكاظمية سنة

(١) يراجع في تفاصيل ذلك تحفة عالم: ٨٦ وروضات الجنات: ٢٥ و ٢٨ ودار السلام: ١٩٩/٢ وحديقة الزوراء: ٨٣ ودوحة الزوراء: ١٤٣ و ٢١٦ وتاريخ العراق بين احتلالين: ٩٨/٤ و ٢٠٦ و ١٠٢/٥ و ١٢٩ و ١٣١ و ١٩٩ و ٢٦١ و ٦/ ٤٢ و ١٤٣ و ٣١٨ و ٧٧/٧ و ٣٤/٨ و ٥١ و ٧٤. وأرقام الوفيات الواردة في الأصل لا تخص الكاظمية وحدها.

(٢) يراجع في تفاصيل ذلك: دار السلام: ٣٣٨/٢ - ٣٣٩ ومناقب أهل البيت - ع - للشيخ محمد علي البلدي (مخطوط بمكتبتي الخاصة) وتاريخ العراق بين احتلالين: ٦٢/٥ و ١٣٧ و ٥٢/٦ و ٤٤/٧ و ٧١/٨ و ٧٤ و ٩٢ و ٢٦٥.

(١٢٢٩)، وهجوم شمر عليها سنة (١٢٤٥)، وقحط سنة (١٢٦٤) الذي أدى ببعض الناس في سواد العراق إلى بيع أولاده، وغلاء سنة (١٢٧٧) وسنة (١٢٨٨ - ١٢٨٩)، وقحط سنة (١٢٩٧) الذي سبب موت كثير من الفقراء^(١).

وعلى الرغم من كل هذه العوائق المانعة لأي تقدم وازدهار فقد سارت الكاظمية بخطوات ثابتة في طريقها نحو التقدم، وحافظت على كيانها الخاص؛ خلال العهد الصفوي الأول فالعهد التركي الأول فالعهد الصفوي الثاني ثم العهد التركي الثاني والأخير.

ولما قرر الأتراك في عهدهم الثاني نظام الالتزام أو الضمان الإداري كانت الكاظمية إحدى المدن المشمولة بهذا القانون.

وخلاصة فكرة هذا الضمان أن تضمّن حكومة بغداد هذه المدينة أو تلك لمن يطلب ضمانها بعد مزايدة يشترك فيها طالبو الضمان ويفوز بها من تقف عنده المزايدة - وقد يفوز بها شخص معين بمبلغ معين من دون مزايدة -، ويدفع الضامن الذي يرسو الضمان عنده جزءاً من المبلغ معجلاً ويؤجل دفع الجزء الآخر إلى أجل مسمى، ويعطى للملتزم حق التصرف المطلق في البلدة لاستحصال المال الذي ضمنه للحكومة وما يفرضه لنفسه من فوائد إضافية، وتتعهد الحكومة بمساعدته أديباً وعسكرياً على تحصيل ذلك. ويكون الملتزم - بعد هذا - حراً طليقاً في التصرف بمقدرات الناس وشؤونهم وكراماتهم بموجب هواه وأطماعه الذاتية.

ونورد فيما يلي قائمة بمن عرفنا من هؤلاء الملتزمين:

(١) يراجع في تفاصيل هذه الحوادث: حديقة الزوراء: ٣٧ - ٣٩ ودوحة الوزراء ١٨٤ وتاريخ العراق بين احتلالين: ١٢٩/٥ و ١٥٧ و ٢٢٢/٦ و ٨٢/٧ و ١٤/٨ و ٤٩ وموسوعة العتبات المقدسة: ٢٤١/١.

- ١ - الحاج كاظم چلبى الكاظمى - جد آل چلبى الكاظميين ويلقب بـ «الحجيجى» لأنه حجّ في أيام صباه فدُعي كذلك تصغيراً من «حاج». وهو أقدم من عثرنا على اسمه من حكام هذه العائلة التي لا نعلم في العصر العثماني أسبق منها في حكومة الكاظمية.
- ٢ - الحاج درويش الحجيجى، كان حياً سنة ١١٥٠هـ.
- ٣ - ابنه عبدالرضا چلبى، كان حياً سنة ١١٧٦هـ.
- ٤ - ابنه محمد آغا چلبى.
- ٥ - ابنه الحاج حسن چلبى.
- ٦ - أخوه الحاج بكر چلبى.
- ٧ - ابنه محمد علي چلبى.
- ٨ - أخوه محمد صالح چلبى، توفي سنة ١٢٤٢هـ.
- ٩ - ابن عمه عبدالوهاب چلبى. تولى المنصب بعد وفاة محمد صالح السالف الذكر، وتوفي سنة ١٢٦٦هـ، وكان سيء السيرة شديد الوطأة، وقد ضرب المثل في الكاظمية به وبعضيه. وبموت عبدالوهاب هذا خرجت حاكمية المدينة من يد هذه الأسرة ومن يد الكاظميين.
- ١٠ - أحمد أفندي الماردلي تولى الإدارة بعد موت عبدالوهاب چلبى، وكان ظالماً قاسياً شكل له حاشية يدعى كل واحد منهم بـ «الداروغة» لتنفيذ أحكامه.
- ١١ - مصطفى أفندي. كان سنة ١٢٦٨هـ.
- ١٢ - حاج أحمد آغا. كان سنة ١٢٧٠هـ.

١٣ - حسني بك. حكم الكاظمية ما بين ١٢٧١ - ١٢٨٠هـ.

١٤ - حسين بك بن سليمان باشا. كان سنة ١٢٨٠هـ.



ولما تولى مدحت باشا حكم العراق كان من جملة أعماله الإصلاحية إلغاء حكومة الضمان والالتزام وتعيين موظفين إداريين يتناولون رواتبهم من خزانة الدولة، كما جعل الكاظمية قضاءً يديره «قائم مقام» بعد أن أضاف إلى حدود الكاظمية الإدارية بعض الأراضي والمقاطعات المجاورة.

ونورد في أدناه جدولاً بأسماء «قوام المقام» الذين حكموا الكاظمية من سنة ١٢٨٦هـ حتى نهاية الحكم التركي سنة ١٣٣٥هـ:

- ١ - القائم مقام عزيز أفندي. كان سنة ١٢٨٦هـ.
- ٢ - القائم مقام خلف آغا. كان سنة ١٢٩٢هـ.
- ٣ - القائم مقام جاويد أفندي. كان سنة ١٢٩٣هـ.
- ٤ - القائم مقام ضياء أفندي. كان سنة ١٢٩٤هـ.
- ٥ - القائم مقام عبدالله بك. كان سنة ١٢٩٤هـ.
- ٦ - القائم مقام رشدي (رشيد) باشا بن مشير باشا الكوزلي. كان سنة ١٢٩٥ - ١٢٩٦هـ.
- ٧ - القائم مقام عبد الوهاب أفندي. كان سنة ١٣٠٠هـ.
- ٨ - القائم مقام راقم أفندي. كان سنة ١٣٠٣هـ.
- ٩ - القائم مقام إسماعيل أفندي. كان سنة ١٣٠٤هـ.

- ١٠ - القائم مقام نعمة الله بك .
- ١١ - القائم مقام أحمد بك .
- ١٢ - القائم مقام نافع أفندي . كان سنة ١٣٠٥هـ .
- ١٣ - القائم مقام يعقوب أفندي . كان سنة ١٣٠٦هـ .
- ١٤ - القائم مقام رشيد أفندي بن إبراهيم أفندي . كان سنة ١٣٠٦هـ .
- ١٥ - القائم مقام عبد الوهاب أفندي . كان سنة ١٣٠٧هـ .
- ١٦ - القائم مقام عبد اللطيف أفندي آل المفتي . تولى القائم مقامية مرتين كانت ثانيتهما سنة ١٣١٥هـ .
- ١٧ - القائم مقام يوسف رفعت أفندي بن حسن أفندي . كان إلى سنة ١٣١٤هـ ، وقد أبعده عن المركز أياماً سنة ١٣٠٨هـ ثم أعيد إليه .
- ١٨ - القائم مقام ممتاز أفندي بن رشيد أفندي دفترى زاده . تولى القائم مقامية مرتين ، أولاهما ما بين ١٣١٤ - ١٣١٨ ، وثانيتهما ما بين ١٣٢٧ - ١٣٢٨هـ .
- ١٩ - القائم مقام أحمد سالم أفندي . كان سنة ١٣١٩هـ .
- ٢٠ - القائم مقام حمدي أفندي الباجه جي زاده . كان سنة ١٣٢١هـ .
- ٢١ - القائم مقام حيدر بك آل الحيدري . كان سنة ١٣٢٣هـ .
- ٢٢ - القائم مقام محمد راسم أفندي . كان سنة ١٣٢٥هـ .
- ٢٣ - القائم مقام رؤوف أفندي آل الجادر جي . كان سنة ١٣٢٧هـ .
- ٢٤ - القائم مقام إبراهيم ناجي أفندي بن يوسف أفندي آل السويدي . كان ما بين ١٣٢٨ - ١٣٢٩هـ .

- ٢٥ - القائم مقام حسن أفندي الجركسي . كان سنة ١٣٢٩ هـ .
- ٢٦ - القائم مقام أحمد عارف أفندي السويدي . كان سنة ١٣٢٩ هـ .
- ٢٧ - القائم مقام إسماعيل حقي بك قائد طابور الجندرية . كان سنة ١٣٣١ هـ .
- ٢٨ - القائم مقام عاطف بك . كان سنة ١٣٣٢ هـ .
- ٢٩ - القائم مقام محمد أمين أفندي . كان سنة ١٣٣٢ هـ .
- ٣٠ - القائم مقام شفيق بك وهو آخرهم . انسحب مع الجيش التركي سنة ١٣٣٥ هـ .



وتوالى الإصلاحات على الكاظمية خلال مدة حكم مدحت باشا، وكان في طليعتها أمره بتأسيس شركة الترامواي لتسهيل أمر النقل بين الكاظمية وبغداد، على أن يكون مجموع السهام ٦٠٠٠ سهماً؛ وثمان السهم الواحد ٢٥٠ قرشاً؛ ليكون مجموع رأس مال الشركة مليوناً ونصف مليون من القروش. ومدت السكة الحديد لمسافة سبعة كيلومترات بين كرخ بغداد والكاظمية، وكانت العربات تجرها الخيول.

ولما قرر ناصر الدين القاجاري ملك إيران زيارة العتبات المقدسة في العراق سنة ١٢٨٧ هـ قامت الحكومة بإدخال بعض التحسينات والإصلاحات على طرق الكاظمية ومرافقها البارزة تمهيداً لهذه الزيارة.

وفي نحو سنة ١٣٠٢ هـ أمر المشير هدايت باشا قائد الفيلق العسكري السادس في بغداد بعمل جسر من الخشب عائم بين الكاظمية والأعظمية على نهر دجلة، وبذلك ارتبطت الكاظمية بالجانب الشرقي من بغداد بعد أن ارتبطت بالجانب الغربي منها بواسطة الترامواي.

وفي يوم السبت ٢٤ رجب سنة ١٣١٨هـ ثم وضع الحجر الأساس لبناء سراي الكاظمية. وأقيم احتفال بهذه المناسبة حضره الوالي نامق باشا والمشير أحمد فيضي وغيرهما من رجال الدولة والوجوه^(١).

وعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة عن هذه الفترة فإن التنف المارة الذكر ترشدنا بوضوح إلى استمرار التقدم في البلدة خلال هذه السنين.



ويؤسفنا جداً أن تعدم تلك الفترة جداول إحصاء تلقي الأضواء على وضع البلدة من النواحي البشرية والاقتصادية والعمرائية؛ سوى بعض الإشارات المقتضبة التي لا تشبع نهم الباحث، ولكنها لا تخلو من الفائدة على كل حال.

فلقد روى المنشي البغدادي أنه كان في الكاظمية في سنة ١٢٣٧هـ ثلاثة آلاف بيت^(٢) ولو قدرنا سكان كل بيت بما معدله خمسة أفراد كان مجموع سكان المدينة خمسة عشر ألف نسمة.

وقدّرت بيوتها في سنة ١٢٧٣هـ بألف بيت وكان عدد الخانات في تلك السنة خمسة، والحمامات أربعة^(٣).

وقدّرت بيوتها أيام الاحتلال البريطاني بثلاثة آلاف دار^(٤) ونفوسها بخمسة عشر ألف نسمة^(٥).

(١) تاريخ العراق بين احتلالين: ١٣٦/٨.

(٢) رحلة المنشي البغدادي: ٢٥.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة: ١٨٧/١.

(٤) أحسن الوديعه: ٢٣٨/٢.

(٥) موسوعة العتبات: ٢٦٩/١.

وحدثنا أوراق مخطوطة تاريخها سنة ١٣٣٢هـ: أن سكان الكاظمية في تلك السنة كان عددهم ١٣,٩٤٢ نسمة؛ موزعين في محلاتهم على التفصيل الآتي:

السكان	الدور	الحيوانات	المحلة
٣٧٨٤	٧٠٧	٦٥	الدباغخانة
٣١٤٧	٧٤٧	٥٧	القطانة
٣٧٥٥	٧٨٥	١٧	الشيوخ
٣٢٥٦	٥٦٨	٦٠	التل
١٣,٩٤٢	٢,٨٠٧	١٩٩	

وعدد معامل الطابوق (الكُور) في سنة ١٣٣٢هـ (٤٢) كورة.

وعدد المواشي في قضاء الكاظمية (١٦٨٠٠٤) رأساً من الأغنام والجاموس والإبل.

وعدد النخيل (٥٤,٠٠٠) نخلة مثمرة.

ومجموع الخانات (٢٥) خاناً، وقد سيطر عليها الجيش العثماني إبان الحرب فجعلها دور نقوة ومستشفيات ومراكز عسكرية؛ على التفصيل التالي:

دور نقوة (نقاهات خانة): خان جرموقة - وهما اثنان، خان اليهودي، خان حسون، خان سركاره - وهما اثنان، خان سيد يونس، خان عقد السادة، خان صويلح، خان قريب المكتب القديم.

مستشفيات (خسته خانة): خان الكابلي، خان فرمان فرما، خان سيد عبد، خان محمد صالح، خان سيد صالح.

مراكز عسكرية: خان سريع، خان خليل، خان علي آغا، خان محلة السادة، خان قريب بيت المصري، خان بيت الديسي، خان مقابل خان جرموقة في طريق السادة، خان البيجات، خان قربان علي، خان حاج محمد علي النجار.

أما الحمامات العامة في هذه الفترة فقد عرفنا منها: حمام باب الدروازة - وهو أقدمها -، وحمام الأمير (الوقف) بين محلي القطانة والبحية، وحمام الميرزا هادي في محلة الأنباريين، وحمام الشيخ مهدي جرموقة مقابل خانة الكبير المعروف، وحمام النقيب في أواسط شارع الشريف الرضي الحالي.



أما الوضع العلمي والفكري للكاظمية فكان أكثر تقدماً واتساعاً وعمقاً من وضعها العمراني، وأنجبت هذه البلدة - خلال عمرها الطويل - عدداً كبيراً جداً من الفقهاء والأدباء والشعراء والمفكرين والأطباء.

وضمت الكاظمية بين جوانحها مجموعة من المدارس الدينية التي تعنى بتدريس العلوم الإسلامية، وكانت عامرة زاهرة بطلابها وأساتذتها، وفي طبيعتها مدرسة الفقيه السيد محسن الأعرجي المؤسسة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، كما ضمت البلدة عدداً كبيراً من المكتبات الضخمة الحافلة بنفائس المخطوطات وأمهات الكتب.

وإن صح ما يروى من تأسيس أول مطبعة عراقية حجرية في الكاظمية في سنة ١٢٣٧هـ^(١)؛ فإن ذلك يعد في صدر قائمة النشاط العلمي لهذه المدينة في النصف الأول من القرن الماضي.

(١) مجلة لغة العرب: ٢٠٦/٤ وتراجع مجلة عالم الغد: ٥١٤/٢.

أما دراسة الأطفال وتعلمهم القراءة والكتابة فكانت موكولة إلى الكتاتيب الكثيرة المنتشرة في البلدة، حتى كانت سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) حيث قامت أول مدرسة ابتدائية في الكاظمية، وهي خاصة بأولاد الإيرانيين المقيمين في الكاظمية، وقد أسست واستمرت بجهود الحاج علي أكبر الأهراي^(١).

وفي سنة ١٣٢٨هـ قرر فرع «جمعية الاتحاد والترقي التركية» في الكاظمية تأسيس مدرسة ابتدائية لتعليم الأولاد، وتم فتحها في نفس السنة بإدارة الشيخ محسن آل ياسين عضو الجمعية، وكان عدد طلابها (٤٠) طالباً^(٢).

وفي السنة المارة الذكر ١٣٢٨هـ شكلت الحكومة هيئة باسم «مجلس إصلاح المدارس» في الكاظمية من خمسة أعضاء هم: المفتي ابن جميل رئيساً، والشيخ محمد تقي آل ياسين، والشيخ مهدي المراياتي، والشيخ علي الشيخ عيسى الكلدار، والشيخ كاظم الدجيلي.

وفي ضحى يوم الجمعة الرابع من ذي القعدة سنة ١٣٣٢هـ جرى احتفال مهيب لافتتاح المدرسة الجديدة في الكاظمية بجوار سراي الحكومة، وقد حضر الاحتفال لفيف من رجال الكاظمية ووجوهها وشارك بالحضور فيه جاويد باشا والي بغداد والقيب عبد الرحمن أفندي والقوماندار محمد باشا الداغستاني.



ومن الناحية السياسية كان للكاظمية رأي وصوت في الشؤون

(١) تاريخ التعليم في العراق للهلالي: ٢١١.

(٢) نفس المصدر: ١٥٤.

والمشاكل العامة منذ العهد الصفوي الأول حتى نهاية العهد العثماني الأخير.

وكان أبرز مواقف الكاظمية السياسية موقفها خلال الحرب العالمية الأولى عندما هجم البريطانيون على البصرة ووصلت برقية استنجد من وجوه البصرة إلى علماء الكاظمية بتاريخ يوم الاثنين ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٢هـ هذا نصها:

«نغر البصرة الكفار محيطون به. الجميع تحت السلاح. نخشى على باقي بلاد الإسلام. ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع».

وقرئت هذه البرقية علناً فهاج الناس وماجوا، وأغلقوا أسواقهم؛ واجتمعوا في الصحن الكاظمي ينتظرون أوامر علمائهم، فأصدر العلماء أمراً بوجوب الدفاع على كل مسلم، وأبرقوا بهذا المضمون إلى العشائر المحيطة بالبصرة، ثم توالى الاجتماعات في الصحن الشريف منذ العشرين من ذي الحجة إلى ١٢ محرم الحرام سنة ١٣٣٣هـ، وألقيت الخطب المثيرة، وركب المنبر في بعض هذه الاجتماعات السيد مهدي آل السيد حيدر - وكان رحمه الله من أقطاب العلماء الثائرين في الكاظمية - فوعظ وحرّض، وأعلن خروجه بنفسه إلى ميدان الحرب، وتشكلت على أثر ذلك في أواخر ذي الحجة سنة ١٣٣٢هـ جمعية باسم «الجمعية الإرشادية» برئاسة قائم مقام الكاظمية يومئذ محمد أمين أفندي وعضوية عدد من الوجوه والأشراف لغرض جمع التبرعات النقدية والعينية للمجاهدين.

وفي يوم الثلاثاء ١٢ محرم سنة ١٣٣٣هـ خرج السيد مهدي المذكور قاصداً ساحة الحرب وبصحبه الشيخ مهدي الخالصي والشيخ عبد الحميد الكلليدار وجماعة من المجاهدين، وخرجت البلدة بأسرها لتشجيع ركب الجهاد الزاحف.

ثم تواردت على الكاظمية وفود العلماء الزاحفين نحو المعركة من النجف الأشرف وكربلاء، وكانت البلدة تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب والتكريم وتودعه بمثل ذلك، ونذكر فيما يلي أسماء جماعة من هؤلاء الأعلام:

شيخ الشريعة الأصفهاني. السيد علي آغا الداماد. السيد مصطفى الكاشاني. الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسن النجفي. الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. الشيخ عبد الكريم الجزائري، الشيخ حسن علي القطيفي. السيد محمد السيد كاظم اليزدي. الميرزا مهدي نجل الآخوند الخراساني. الميرزا محمد رضا الشيرازي. الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي.

وفي أواخر شهر صفر سنة ١٣٣٣هـ خلت الكاظمية من شبابها، ولم يبق فيها غير الشيوخ والنساء والأطفال. وجميع رجالها بين جندي في صفوف الجيش النظامي أو مجاهد في ساحات الشرف، حتى أنفذ الله أمره، وتراجع الأحياء من الغائبين زرافات ووحداناً، وعاد السيد مهدي السيد حيدر ومن بقي حياً من رفاقه وأصحابه إلى الكاظمية في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ بعد أن أبلى هو ومن معه بلاءً حسناً.

واحتل الجيش البريطاني الكاظمية في الساعة التاسعة الغروبية ودقيقتين من عصر اليوم السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ فطويت صفحة احتلال طويل لتبدأ صفحة احتلال آخر بغض.

ولم تنقطع الكاظمية بعد الاحتلال البريطاني الغاشم عن العمل الجاد في محاربه بكل ما أوتيت من طاقات وقوى مادية ومعنوية، بل كان لها من الدور الكبير في مكافحة المحتل الكافر ما حمل المس بل

في رسائلها على وصف هذه البلدة بـ«المتطرفة في إيمانها بالوحدة الإسلامية، والمتشددة في مناوأة الإنكليز»^(١).

ولما قدّم الإنكليز الاستفتاء العام المشهور حول نوع الحكم الذي يريده الشعب وتعيين الحاكم، كان الرد الحاسم من الكاظمية متمثلاً بالبيان التالي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بناءً على الحرية التي منحتنا إياها الدول العظمى، وفي مقدمتها الدولتان الفخيمتان انكلترة وفرنسا، وحيث إننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة، فإننا نطلب أن تكون للعراق الممتدة أراضيها من شمال الموصل إلى الخليج حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال جلاله الملك حسين، على أن يكون مقيداً بمجلس تشريعي وطني، والله ولي التوفيق. حرر يوم الأربعاء ٢٥ ربيع الثاني، سنة ١٣٣٧.

وقد وقع هذا الرد (١٤٣) كاظماً من رجالات البلدة وزعمائها؛ ومنهم العلماء التالية أسماؤهم:

السيد محمد مهدي الصدر، الشيخ إبراهيم السلماسي، الشيخ مهدي الخالصي، الشيخ عبد الحسين آل ياسين، السيد مهدي السيد حيدر، السيد حسن الصدر^(٢).

(١) موسوعة العتبات المقدسة: ٢٧٨/١.

(٢) نفس المصدر: ٢٨٥/١، ويراجع الحقائق الناصعة: ٧٠/١ - ٧١.

وحسبنا من نشاط الكاظمية السياسي في محاربة الاحتلال أن نقرأ ما كتبه الكاتب الإنكليزي فيليب آيرلاند إذ يقول ما نصه :

«وكان الشعور المعادي لبريطانية في الكاظمية شعوراً قوياً جداً، فقد هدد العلماء جميع من يصوت للاحتلال البريطاني بالمروق عن الدين»^(١).

ثم حسبنا من ذلك النشاط ما ذكره مؤرخو الثورة العراقية الكبرى من سبق الكاظمية لبغداد في العمل ضد الاحتلال، ومن قيام السيد أبي القاسم الكاشاني بطبع المنشورات في الكاظمية وتوزيعها سرّاً بتوقيع (الجمعية الإسلامية العربية)، الأمر الذي أفضّ مضجع السلطة العسكرية المحتلة، فبثت العيون والجواسيس لمعرفة أعضاء هذه الجمعية فلم تقف لهم على أثر أو خبر^(٢).



وعندما تسلّم الملك فيصل الأول مقاليد السلطة في العراق؛ جرت الرياح بما لا تشتهي السفن، ووقع ما ليس بالحسبان، وكان ما كان، والله عاقبة الأمور^(٣).



(١) العراق دراسة في تطوره السياسي: ١٢٦.

(٢) الحقائق الناصعة: ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) لنا فصل كبير في كتابنا «تاريخ الكاظمية» عن دور هذه البلدة في الثورة العراقية، وهو دور مشرف مفصل لا تتسع له هذه الصفحات.

المحتويات

تاريخ

المشهد الكاظمي

١١	المقَدِّمة
١٩	المشهدُ الكاظمي في العصر العباسي
٢١	وفاة الإمام الكاظم (ع) ودفنه
٢٥	دفن الإمام الجواد (ع)
٢٨	في العهد البويهي
٣٤	في العهد السلجوقي
٣٦	في العصر العباسي الأخير
	المشهدُ الكاظمي من بدء الاحتلال المغولي إلى نهاية الاحتلال
٤٩	العثماني
٥٧	العهد الصفوي الأول
٧٥	العهد التركي الأول
٧٨	العهد الصفوي الثاني
٨٠	العهد التركي الثاني
١٣٣	المشهدُ الكاظمي في وضعه الحاضر
١٣٦	الروضة
١٤٢	الباب الجنوبي لروضة الكاظم
١٤٤	الباب الشرقي لروضة الكاظم
١٤٦	الباب الغربي لروضة الكاظم
١٤٧	الباب الشمالي لروضة الجواد

١٤٩	الباب الشرقي لروضة الجواد
١٤٩	الباب الغربي لروضة الجواد
١٥٠	الأروقة
١٥٠	الرواق الشمالي
١٥٠	الرواق الغربي
١٥٣	الرواق الشرقي
١٥٤	الباب الجنوبي
١٥٤	الباب الأوسط
١٦٠	الرواق الجنوبي
١٦٤	الطارمات
١٦٤	الطارمة الشرقية «طارمة باب المراد»
١٦٦	الطارمة الجنوبية «طارمة القبلة»
١٦٧	الطارمة الغربية «طارمة قريش»
١٦٧	الصحن
١٦٨	الجدار الشمالي
١٦٨	الجدار الشرقي
١٧٣	الجدار الغربي
١٧٤	الجدار الجنوبي

ملاحق الكتاب

١٧٩	«الملحق الأول» أولاد الإمام الكاظم (ع)
١٨٨	«الملحق الثاني» نقباء المشهد وسدنته
١٨٨	النقباء
١٩٤	النقابة
١٩٤	ابن جعفر القيم
	الشريف محمد بن المحسن بن يحيى بن أبي عبد الله جعفر
١٩٥	التواب بن الإمام أبي الحسن علي الهادي (ع)
	الشريف محمد بن محمد بن المحسن بن يحيى بن جعفر بن
١٩٦	الإمام علي الهادي (ع)

- الشریف علي بن محمد بن المحسن بن یحیی بن جعفر بن علي
 الإمام الهادي (ع)، المکتبى بأبي طالب العلوي ١٩٧
- الشریف محمد بن علي بن محمد بن المحسن بن یحیی بن
 جعفر بن علي الهادي (ع) ١٩٨
- الشریف أبو الفضل علي بن ناصر بن محمد بن الحسن بن
 أحمد بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن
 جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب (ع) ١٩٨
- الشریف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضوء العلوي ١٩٩
- علي بن علي المعروف بالفاخر العلوي ٢٠٠
- الشریف فخر الدين محمد بن محمد بن عدنان بن المختار العلوي ٢٠١
- عز الدين عدنان بن المعمر بن المختار الكوفي ٢٠٢
- نجم الدين أبو نصير محمد بن الموسوي ٢٠٣
- الشریف جلال الدين محمد المصطفى بن رضي الدين علي آل
 طاووس ٢٠٤
- الشریف نجم الدين بن أبي جعفر الهندي الحسيني ٢٠٥
- أمين الدين الهندي الجوهري ٢٠٥
- نجم الدين علي بن الموسوي ٢٠٦
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي الحسيني ٢٠٦
- السيد عبد الكريم آل طاووس ٢٠٧
- رضي الدين علي بن غياث الدين عبد الكريم آل طاووس ٢٠٨
- تقي الدين الحسن العلوي ٢٠٨
- جمال الدين أحمد بن الحسن العلوي ٢٠٩
- مؤيد الدين النسابة ٢٠٩
- علي بن علي بن علي الحسيني ٢١٠
- محمد بن أبي بكر الطاووسي ٢١٠
- علي بن عبد الكريم بن أحمد العلوي الحسيني الحنبلي ٢١٠
- جلال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي المظفر هبة الله
 الموسوي ٢١١
- صفي الدين الحسين بن علي الموسوي ٢١١

- الشيخ عبد الحميد الكلیدار ٢١٢
 السدنة ٢١٣
 «الملحق الثالث» مشاهير المدفونين في المشهد ٢٢٥
 قبر ابن قولويه القمي ٢٣٠
 قبر الشيخ المفيد العكبري ٢٣٢
 قبر نصير الدين الطوسي ٢٣٥
 «الملحق الرابع» خزانة المشهد ٢٣٩

المعمى والأحاجي والألغاز

- الرمز بالأرقام ٢٥٧
 الرمز بالأشجار ٢٥٩
 الألغاز الشعرية ٢٦٩
 الملقق ٢٧٢
 الكلمات المتقاطعة ٢٧٣

تاريخ الحكم البويهى في العراق

- [آل بويه] ٢٧٧
 [في أيام الخليفة عمر بن الخطاب] ٢٨١
 [الاستجابة إلى الدعوة الإسلامية] ٢٨٤
 [الحكم العلوي في الديلم] ٢٨٦
 [إعلان الحكم العلوي] ٢٩١

نصوص الردّة في تاريخ الطبري

نقد وتحليل

- [من ارتدّ عن الإسلام بعد وفاة النبي (ص)] ٣٠٧
 [معلومات الطبري وأسانيده عن الردّة] ٣١٧
 سيف بن عمر ومن نقل عنهم ٣١٧
 [من هو المسلم؟ ومن هو المرتد] ٣٣٨ - ٣٤٦
 متابعة المتنبئين ٣٤٧ - ٣٥٥

- منع الزكاة ٣٥٦ - ٣٦١
 أسباب رفض أسانيد ٣٦٢ - ٣٦٨
 غوامض نصوص الردة في تاريخ الطبري ٣٤٣

الأرقام العربيّة

مولدها، نشأتها، تطورها

- (الوثيقة الأولى) (القرن الثالث الهجري) ٣٩٤
 (الوثيقة الثانية) (القرن الثالث الهجري) ٣٩٥
 (الوثيقة الثالثة) (القرن الرابع الهجري) ٣٩٦
 (الوثيقة الرابعة) (القرن الرابع الهجري) ٣٩٧
 الكلام على السند ٣٩٧
 (الوثيقة الخامسة) (القرن الخامس الهجري) ٣٩٨
 (الوثيقة السادسة) (القرن السادس الهجري) ٣٩٩
 (الوثيقة السابعة) (القرن السابع الهجري) ٤٠٠
 (الوثيقة الثامنة) (القرن السابع الهجري) ٤٠٠
 (الوثيقة التاسعة) (القرن السابع الهجري) ٤٠١
 (الوثيقة العاشرة) (القرن الثامن الهجري) ٤٠٢

تاريخ الصحافة

في الكاظمية

- اليقظة ٤١٧
 المنبر العام ٤١٩
 المعارف ٤٢٠
 السعادة ٤٢٠
 الميزان ٤٢١
 العدل الاجتماعي ٤٢٢
 الصياد ٤٢٣
 مدينة العلم ٤٢٣
 الوسيلة ٤٢٤

٤٢٥	الصحيفة
٤٢٥	العلم
٤٢٦	الكتاب
٤٢٦	البلاغ
٤٢٧	رسالة التوحيد

لمحات

٤٢٩	من تاريخ الكاظمية
٤٦٧	المحتويات